

دراسة وتحقيق
دكتور محمد زكريا عياني

النصوص العقلية

من شعر ابن قلاؤش الاسكندري (ت ٥٦٧) وأثاره النثرية



دار المعارف

النصوص الصقلية

من شعر ابن قلاؤنس الاسكندري (ت ٥٦٧) وآثاره المنشورة

دراسة وتحقيق
دكتور محمد زكريا عياني

١٩٨٢



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إليها

إلى قلب مفعم بالإيمان والوفاء
وإلى روح شفيف وذهن متوقد
ونفس ثرية بالصفاء والنبيل
إلى زوجتي : أهدى هذه السطور

مقدمة

هذه صفحات كتبت الجانب الأكبر منها منذ أمد بعيد ، وحالت عقبات شتى دون نشرها ، فضلا عن أنى كنت أتردد فى إبرازها ، رغبة فى تمحيص بعض جوانبها ، وأملًا فى أن أعثر على مزيد من المواد المتصلة بموضوعها .

وقد شغلت زمتنا بالمخطوطات العربية ، خاصة ما اتصل منها بالتراث الأدبى فى الأندلس وصقلية ومصر ، وكان مما تيسر جمعه ودراسته شعر ابن قلاؤس الاسكندرى ، لكن صفحات ديوانه ، بعد نسخه والتعليق عليه ، بلغت قرابة ألف صفحة ، ولم يكن من سبيل لنشر هذا الركام بكل ما فيه من در وحصا ، ومن ثم اجلت البت فيه إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وها أنا اقتصر اليوم على تقديم النصوص الصقلية من هذا الديوان ومن الأعمال النثرية الأخرى التى لصاحبها ، لما لها من قيمة تاريخية إلى جانب أهميتها الأدبية ، وهى — فى مجموعها — مما ينشر لأول مرة ، إذ أن المصادر المعروفة (ما عدا خريدة القصر) لم تحو شيئا ذا بال من هذه النصوص ، ولم تعرض لها إلّا لماما .

وإنى إذ أقدم هذه الصفحات ، لأود أن أعترف للقارئ الكريم بأن الرغبة لا تزال تلح على أن أترك هذا العمل يقبع حيث كان ، خلف الظلال ، وأشعر فى الوقت ذاته بأنه ضاق بى كما ضقت به ، وأرانى مضطرا لأن أنحيه عنى ولو إلى حين . . .

ونسأل المولى أن يصفح عن زلاتنا ، ويسدد خطانا ، ويلهمنا الصواب .

الاسكندرية ، ديسمبر ١٩٨١ م .

القسم الأول

الفصل الأول

مصادر ومراجع

كان علينا ، قبل كتابة هذه الترجمة عن ابن قلاقس أن نجتمع عنه أكبر قدر من الاخبار والدراسات ، وأن نتفحص كل ما له من نصوص شعرية ونثرية . أما الاخبار والدراسات فقد رجعنا في أمرها إلى :

• «خريدة القصر وجريدة العصر» (١) للحماد الاصمغاني، ويعد هذا الكتاب من أقدم الآثار التي تتضمن مادة هامة عن شاعرنا (توفي ابن قلاقس سنة ٥٦٧ هـ ، وتوفي الحماد سنة ٥٩٧ هـ) وفيها عنه نحو ثلاثة وعشرين صفحة معظمها مختارات . واعتمد صاحب الخريدة فيها على ما رواه له نجم الدين بن مصال، وإلى الاسكندرية على زمن صلاح الدين الأيوبي ، كما اعتمد على كتاب « الزهر الباسم » الذي روى فيه الشاعر خبر رحلته الصقلية ، وألحق الحماد بسيرة الشاعر نبذة عن شاعر صقلي اسمه أبو الحسن علي ابن أبي الفتح بن خلف الأموي ، وكان من المفروض أن يورد الحماد ترجمته في القسم الصقلي من خريدته إلا أنه أثر ذكره هنا وحيث اقتضاه هذا الموضع للمكتابات التي جرت بينه وبين ابن قلاقس .

وإذا كانت الخريدة لا تقدم تفصيلات ذات قيمة كبيرة بالنسبة لحياة الشاعر ، فإنها تتميز بأنها المصدر الوحيد الذي تضمن مختارات مسهبة من كتاب « الزهر الباسم » المفقود .

• «بدائع البدائع» (٢) لابن ظافر الأزدي (ت سنة ٦٢٣ هـ)، ويعد من أجل الكتب التي قصت طائفة من أخباره وإرتجالاته وبجالسه بالاسكندرية والفسطاط وعدن ، غير أن هذه المعلومات تأتي متناثرة في ثنايا « البدائع » ، وهي تأتي مجموعة

في « نفع الطيب » ، (٣) للمقري (ت سنة ١٠٤١) في فصل صغير يقع في أربع صفحات .

• « معجم الأدباء » ، (٤) أو « إرشاد الأريب » ، لياقوت الحموي ، إلا أن ما أورده عن ابن قلاؤس يتسم في مجموعه بالضعف والاضطراب ، وهذه الأخطاء التي وقع فيها ياقوت سندسمع أصداؤها عند من نقلوا عنه بغير تمحيص ، على ما سوف نذكره في ثنايا الدراسة . أما في « معجم البلدان » ، (٥) فإن ياقوت يشير في أكثر من موضع لهذا الشاعر ، وخاصة عند حديثه عن بعض مدن صقلية .

• « وفيات الأعيان » ، لابن خلكان (ت سنة ٦٨١ هـ) ويعمد من أفضل المصادر التي قدمت عنه مادة ذات قيمة ، وعن « الوفيات » ، نقل ابن فضل الله العمري (ت سنة ٧٤٩) في « مسالك الأبصار » ، (٦) والياقوت (ت سنة ٧٦٨) صاحب « مرآة الجنان » ، (٧) والسيوطي (ت سنة ٩١١) في « حسن المحاضرة » (٨) وابن العماد الحنبلي (ت سنة ١٠٨٩) في « شذرات الذهب » ، (٩) وعشرات غير هؤلاء من قدامى ومحدثين .

• « الوافي بالوفيات » ، (١٠) لصلاح الدين الصفدي (ت سنة ٧٦٤ هـ) ، ويعمد من أهم كتب التراجم التي تنسم بالدقة ، ويتضمن مختارات شعرية متنوعة من بينها نص موشحة للشاعر . تعد — على ما سنوضح — من أقدم النصوص الشرقية في هذا المضمار . والصفدي يورد قطعا متعددة من أعمال شاعرنا في « الغيث المسجوم » ، (١١) و « التذكرة الصفدية » (١٢) كما ذكر اسمه بين الوشاحين المشاركة في صدر « توشيع التوشيع » ، (١٣) .

• « مسالك الأبصار » ، لابن فضل الله العمري ، وليس فيما أورده عن حياة الشاعر ما يعتد به ، إلا أهاجى الذروي فيه ، ولكن « المسالك » يتضمن مختارات

من شعره تكاد تشكل ديواناً قائماً بذاته .

وهناك نصوص عديدة له في « مطلع الفوائد » (١٤) لابن نباته ، وفي « خزائن الأدب » (١٥) و « تأهيل الغريب » (١٦) لابن حجة الجوى ، وفي « رياض الألباب » (١٧) و « تأهيل الغريب » (١٨) و « خلع العذار » (١٩) و « صحائف الحسنات » (٢٠) و « حلبة الكميت » (٢١) للنواجى وفي « معامد التنصيص » (٢٢) للعباسى و « الدر المكنون فى السبع فنون » (٢٣) لابن إياس — وهو غير ابن إياس المؤرخ — و « مختصر باوغ الآمال » (٢٤) لابن العديم ، ومن الكتب التى تتضمن إشارات أو نصوصاً من شعره « سير النبلاء » (٢٥) للذهبي ، و « البحور الزاهرة » (٢٦) لابن تغرى بردى ، و « الروضتين » (٢٧) لأبى شامة ، و « البداية والنهاية » (٢٨) لابن كثير و « كشف الظنون » (٢٩) لحاجى خليفة ، و « تاريخ مصر » (٣٠) لابن ميسر ، و « هدية العارفين » (٣١) للبغدادى و « سحر العيون » (٣٢) لأبى البقاء البديرى و « ديوان الصبا » (٣٣) لابن أبى حجلة و « روض الآداب » (٣٤) للشهاب الحجازى و « عدد من كتب « المجاميع » المتنوعة ، و « مدونات الأدب والتاريخ » (٣٥) .

ولدينا ، بالإضافة لما مر ، كتابان كاملان يضمنان مختارات من ديوان شاعرنا ، أولهما : « المختار من ديوان ابن قلاقس الاسكندرى » (٣٦) ، لابن نباته المصرى ، والثانى « ناضج ابن قلاقس » (٣٧) لابن حجة الجوى .

أما « المختار . . . » فيقع فى نحو مائة صفحة ، وله مقدمة قصيرة تقول :
« .. طالعت شعر الأديب الباع .. ابن قلاقس ، فطالعت الفن الغريب ، وفتح على بتأمل ألفاظه ، فتلوت : « نصر من الله وفتح قريب » ، بيد أنى وجدت له حسنات تبهر العقول فضلاً ، وسيليات يكاد يذكرها ابن قلاقس بقلى ، لما أن

يكون قرضها في مبادئ عمره ، وإما أن تكون غواة الرواة ألحقتها بنسب شعره ،
فميزت من نجومه بين الصاعد والهابط ، وأثبت في هذا الكتاب من أبناء فكره
المنجيب ، ونفيت السافط ، وربما أوردت البيت المضطرب متى تعلق به البيت
الشديد ، ووصلت رحمه طلبها لتمام شخص القصيد .

وأما كتاب ابن حجة فإنه يتكى أساساً على كتاب ابن نباتة ، ويقول المؤلف
في المقدمة :

... وقد عن لى أن أهدم البيت المضطرب إذا لم ترفع له قاعدة أدبية بشكته ،
ولا حسب الشيخ وقوعه على صاحب الذوق السليم إذا دخل تحتها ، وقد قابلت
شخص كل قصيد بمראה الذوق ، ولم أبق منها إلا ما يظهر في المראה من المحاسن ،
ولم أرض أن أدخل إلى بيت ليس فيه من أنواع البديع ساكن ، وربما أطرحت
ربع القصيد إذا لم يكن فيه بيت بالمحاسن عامر ، ولم أثبت إلا ما شعرت بمحاسنه ،
وقد لا أكون شاعر ، وسميت ما انتخبته هنا ناضج ابن قلاقس ، وأرجو ألا
أنحف الأذواق السليمة من نفسه إلا بما يطيب المنافس ، وأما المقاطيع فقد أجمعت
نار الذوق مراراً ، وعجزت عن إنضاجها ، ولم يتضح لى في ظلام سطورها لامة من
نور سراجها ، فاكتفيت بما شغفت به الأسماع من طرب مواويله ، اللهم إلا إن
وقع لى مقطوع داخل لم أنخل على أهل السماع بدخوله . . .

وفي العصر الحديث نجد أمامنا ما كتبه عن الشاعر على مبارك في الخطط
التوفيقية ، (٣٨) ومحمد فريد وجدى في دائرة معارف القرن العشرين ، (٣٩)
والمستشرق الفرنسي هوارت في كتابه ، الأدب العربي ، (٤٠) وهؤلاء اعتمدوا
إعتماداً كلياً على ابن خلكان ، ونجد عند بركلان (٤١) ترجمة موجزة للشاعر اعتمد
عليها بعد ذلك د. جودت الركابي في دراسته (بالفرنسية) عن الشعر في ظل

الأيوبيين (٤٢) وأورد جورجى زيدان بدوره ملحقاً عن الشاعر ، يأتي في مستهل ما قدمه عن الشعراء الفاطميين ، ولعل الموضع الطبيعي لهذه النبتة أن تأتي في ختام الحديث عن هؤلاء الشعراء ، لأن شاعرنا توفي في نفس السنة التي انتهت فيها دولة الفاطميين . وأورد ميشيل آمارى ، إشارة سريعة عن الشاعر في دراسته عن تاريخ المسلمين في صقلية (٤٣) كما ترجم للايطالية كل ما عثر عليه من نصوص لابن قلاقس في وصف جزيرة صقلية ، وضمنها كتابه الكبير عن المكتبة العربية الصقلية ، (٤٤) :

وفي سنة ١٩٠٥ نشر خليل مطران ، ديوان ابن قلاقس ، (٤٥) وواقع الأمر أنه إنما نشر المختارات التي صنعها ابن نباته ، غير أن النسخة التي اعتمد عليها خلت فيما يبدو من الإشارة لذلك ، ومن ثم لم يتبين خليل مطران هذه الحقيقة ، ولم يشر قط إلى دور لابن نباته فيها .

ووضع مطران لطبعته مقدمة جاء فيها :

هذا ديوان ابن قلاقس ، أحد الشعراء المبرزين الذين نبغوا في القرن السادس الهجرى ، عثرنا على نسخة مخطوطة منه في مكتبة صديقتنا الذكي ابراهيم بك فاضل ومتخلفة عن شاعر زمانه المغفور له والده ، وهو المرحوم مصطفى بك توفيق الفريق ، نجل المرحوم مصطفى باشا الفريق المعروف برقة نظمه ، ولطف أساليبه في الأبرسل وتوشية الأناشيد .

والواقف على هذا الديوان سيجد من حسن الديباجة ورقة النسيج . . ما يصبر خاطره . .

وقد ترددنا حيننا دون الشروع في تمثيله بالطبع ، على علمنا أنه لا توجد نسخ منه إلا واحدة في مكتبة باريس ، وأخرى في مكتبة ويان ، وثالثة في مكتبة

برلين ، وأنه لولا هذه النسخة لبقى الناطقون بالضاد محرومين أثراً نفيساً من آثار
البقيان الأدبي العظيم ، .

ولم يكتف مطران بهذه المقدمة ، بل عاد وصنع خاتمة في آخر الديوان وضمن
هذه الخاتمة كلاماً عاماً عن الشاعر من قبيل :

... أما شعر ابن قلاقس فقد ألفيته أربع طبقات ، طبقة ابتكر فيها المعاني
فبلغ معها أعلى رتب المجيدين ، وطبقة جود فيها اللفظ .. وطبقة لا يرتفع فيها
قريضه بلفظه ومعناه عن متوسط الشعر ، وطبقة سقط فيها إلى حد أنك لا تمتدى
إلى إقرار كلمة في مقرها .. ، وانتقل مطران بعد ذلك إلى الحديث عن مصطفى
بك توفيق ، الذي اقتنى المخطوطة ، وعن شعره وما خلف من روايات شعره .

ومن الطريف أن د. جمال الدين الرمادى عقد فصلاً في كتابه عن خليل الزيل
وشاعر الشرق العظيم ، (٤٦) تناول فيها تحقيق مطران لشعر ابن قلاقس ، وفيما
يبدو أنه قرأ خاتمة الديوان وهو في عجلة من أمره ، ومن ثم لم يفتبه إلى أن خليل
مطران تحدث عن مصطفى توفيق بعد أن فرغ من تحليله لشعر ابن قلاقس ،
ولذا قال :

... وذكر مطران في ختام الديوان أن هناك رواية شعرية لابن قلاقس ،
وصف فيها فتاة ، وهي تمثيل للامة المصرية ، ووصف عشاقاً لها متهاكين عليها
— هم الدول الطامعة في ملك مصر — وجعلها آية من آيات العصر بحسب ديباجتها
وجمال تركيبها .

ومن عرضوا لشاعرنا في العصر الحديث د محمد كامل حسين في « أدب مصر
الفاطمية » ، (٤٧) ود. محمد زغلول سلام في « الأدب في عصر صلاح الدين » ، (٤٨)

و د. محمد عبد المنعم خفاجى فى « قصة الأدب فى مصر » ، (٤٩) وأحمد النجار فى « الإنتاج الأدبى فى مدينة الاسكندرية » ، (٥٠) وعبد العليم القبانى فى « شعراء الاسكندرية » ، (٥١) وهناك كتابات أخرى متفرقة (٥٢) .

ومن أفضل ما كتب عنه بحث خير الدين الزركلى فى « الأعلام » ، (٥٣) وتعد ترجمته لشاعرنا من أطول التراجم التى ترد فى هذه الموسوعة . وقد اعتنى الزركلى فى بحثه هذا برحلة ابن قلاؤس لليمن .

وعقد د. احسان عباس (٥٤) فصلاً طيباً عن « هجرة الشعر إلى صقلية : ابن قلاؤس الإسكندرى » ضمنه كتابه عن « العرب فى صقلية » وسنعود مراراً لهذا البحث ولبحث الزركلى .

وهناك ثلاث مقالات عن ابن قلاؤس نشرها المرحوم أحمد أحمد بدوى فى « الرسالة » الأعداد ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ (١٩٣٢) فيها كثير من الاستيعاب ، ولكنها لا تنكىء إلا على المختارات التى طبعها خليل مطران ، ومن هنا غابت عن مؤلفها معلومات كثيرة عن الشاعر وشعره .

هذا عن الإشارات والنصوص والدراسات القديمة والحديثة التى تناولت الشاعر ، غير أن المصدر الأول الذى إعتدنا عليه هو ما خلف الأديب ، نفسه من آثار شعرية ونثرية .

أ - أعمال نثرية :

— الزهر الباسم

وهذا الأثر مفقود، ولم يكن هناك بد من الاكتفاء بالمختارات التى قدمها المهاد الأصهبانى فى خريدته .

— ترسل ابن قلاقس

وهذا الأثر كان مجهولا ، ولم يستفد منه الباحثون إلا مؤخرا ، وهناك ثلاث

نسخ منه :

د نسخة الخزانة التيمورية ، (٥٥) وهي مخطوطة كاملة حسنة الخط ، كتبها
رمضان حلاوة في القرن الماضي ولا يعرف الأصل الذي نسخ عنه (وقد اعتمدنا
عليها في هذا البحث) .

د نسخة محفوظة في نيومافن (٥٦) بالولايات المتحدة الأمريكية ، في مكتبة
جامعة ييل ، وناسخها نفس ناسخ المخطوطة السابقة .

د نسخة في حوزة خير الدين الزركلي ، وذكر أنها تعود للقرن السادس
الهجري (٥٧) .

أعمال شعرية .

سنتحدث في ثنايا دراستنا تفصيلا عن شعر ابن قلاقس ، كما سنتحدث عن
نثره ، وأما في هذا الموضع فإننا يكتفي بالإشارة إلى المخطوطات والطبعات التي
ظهرت ، وقد سبق أن ذكرنا أمر ما هنالك من مختارات مختلفة ، ونذكر هنا
الأعمال التي تحمل عنوان « ديوان » ، وهناك أكثر من مخطوطة ، فمن ذلك :

• ديوان ، نسخة المكتبة الوطنية في باريس (٥٨)

• ، نسخة المتحف الآسيوي بليفنجراد (٥٩)

• ، نسخة المكتبة العامة بفيينا (٦٠)

وهذه النسخ متشابهة للغاية في النصوص التي تضمها وفي ترتيبها .

• ديوان مخطوطة دبلن ، خزانة شستريتي رقم ٤٣٢٦ (٦١) :

وتخالف في محتواها تمام المخالفة كلا من المخطوطات السابقة ، ومع ذلك فإن نسبتها لابن قلاؤس لا يعترىها الشك .

• ديوان . مخطوطة دبلن ، خزانة شستريتي رقم ٣٨٠٠ (٦٢)

وهي نسخة قديمة أصيلة ، ولا نستبعد أن تكون أخذت عن نسخة بخط المؤلف نفسه ، وهي تخالف في محتواها وفي ترتيبها المخطوطات السابقة ، وإن كانت بعض القصائد الواردة فيها مذكورة في نسخ باريس وفينا وليمبراد .

وظاهرة اختلاف النسخ ، على هذه الصورة ، ظاهرة فريدة للغاية وسنعود إليها فيما بعد على أمل تقديم تفسير لها .

ولعل هناك ، غير هذه النسخ ، بعض مخطوطات أخرى متفرقة في مكتبات الشرق والغرب .

مراجع وتعليقات

- (١) القسم المصرى ، ١٤٥/١ - ١٦٨ .
- (٢) ط بولاق ، ومخطوطة باريس (مواضع متفرقة) .
- (٣) ط محي الدين عبد الحميد ٢٣٨/٤ - ٢٤٢ .
- (٤) ط رفاعى ، ٢٢٦/١٩ وما بعدها .
- (٥) ط بيروت ، (مواضع متفرقة) .
- (٦) .سيرة رقم ٧٣٣ ، ٢١/٥ وما بعدها ، ط محي الدين عبد الحميد .
- (٧) مصورة القاهرة ، ج ١٢ القسم الأول ، لوحة ٢٣ وما بعدها .
- (٨) مخطوطة باريس ، ج ٤ ، ورقة ١٧٠ وما بعدها .
- (٩) ج ٢ ص ٣٢٤ طبعة مطبعة الوطن .
- (١٠) ط القاهرة ٢٢٤/٤ .
- (١١) مصورة باريس ج ٢٧ ، ونفس النص فى د أعيان العصر وأعيان النصر ، نسخة دار الكتب ، ج ٢ ورقة ٢٢٠ ، مما يرجح معه أن المخطوطة التى تحمل عنوان د أعيان ، ليست إلا جزءا من د الوافى ، لأنها تضمنت ترجمة ابن قلاؤس ، بينما الثابت ان الصفدى أورد فى د أعيان العصر ، تراجم الأدباء الذين عاصروهم لحسب .
- (١٢) ط . القاهرة .
- (١٣) مخطوطة دار الكتب .
- (١٤) ص ٣٢ .
- (١٥) مخطوطة باريس ، مواضع متفرقة .
- (١٦) ط بولاق ، مواضع متفرقة .

- (١٧) الطبعة المصرية ، في أكثر من موضع .
 - (١٨) مخطوطة باريس ، مواضع عديدة .
 - (١٩) مخطوطة باريس ، مواضع عديدة .
 - (٢٠) مخطوطة باريس ، مواضع عديدة .
 - (٢١) مخطوطة باريس ، مواضع عديدة .
 - (٢٢) ط. مطبعة الوطن بمصر ، في مواضع كثيرة .
 - (٢٣) ط. بولاق ، مواضع كثيرة .
 - (٢٤) مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، وتتضمن أكثر من ثلاثين استشهادا من شهر ابن قلاؤس .
 - (٢٥) مخطوطة بلدية الاسكندرية .
 - (٢٦) مخطوطة دار الكتب بالقاهرة ج ١٢ مجلد ٢٧٦/٢ وما بعدها .
 - (٢٧) ط . دار الكتب بالقاهرة ٥٩/٦ .
 - (٢٨) ٥٢٤/١ (ط . د. محمد حليفي القاهرة .
 - (٢٩) ٢٦٩/١٢ ، (طبعة مطبعة السعادة) .
 - (٣٠) اعمدة ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٩٢٣ ، ٩٥٨ (طبعة استامبول) .
 - (٣١) ص ٨٥ (ط. ماسيه ، القاهرة ١٩١٩) .
 - (٣٢) ٤٩٢/٢ (طبعة استامبول) .
 - (٣٣) ط. القاهرة ، نحو عشرات مرات .
 - (٣٤) ط. القاهرة ، ويضم نحو خمس استشهادات .
 - (٣٥) ط. القاهرة ، وبه ستة شواهد .
 - (٣٦) أنظر ، علي سهيل المثال ، (المثل السائر) ٣٣٠/١ والتثنية على التشبيه ،
- للمصنفدي (مخطوطة باريس) ورقة ١٧ ط ، ٧٨ ط ، الخ . . . والخطط للمقريري

١٢/١ وصبح الأعشى ٢٩٢/١ والكشكول (ط. الطاهر الزاوي - القاهرة)
٤٣٤/١ الخ.

(٢٧) في القاهرة نسخ متعددة من هذا الكتاب ، فمن ذلك :

مخطوطة دار الكتب رقم ٥٤٩ ، وتقع في ٥٤ ورقة صغيرة ، ولا
تاريخ لها ، وهي تبدو حديثة العهد ، وعلى غلافها : « مشتمل من
قواميسون حصر » الأملك بالضبطية في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٣ ، والملحوظ
أنها معنونة بـ « ديوان ابن قلاقس » ، لا « المختار » . . . وهي مذكورة
في فهرست دار الكتب ١١٠/٣ .

نسخة ثانية رقم ٩٦ م ، محفوظة كذلك بدار الكتب ، وتقع في ٥٢
ورقة كتبها محمود الباشا سنة ١٢٨٥ هـ ، وهي مذكورة كذلك في
فهرست دار الكتب ٢٣٨/٣ .

نسخة ثالثة بدار الكتب بالقاهرة ، رقمها ٩٠٤٣ أدب ، وأوراقها
٦٤ ورقة ، معنونة بـ « ديوان ابن قلاقس » ، بينما يجيء في ختامها :
« تم المختار من ديوان ابن قلاقس الاسكندري لابن نباله » وهذه
النسخة كاملة ، إلا أن هناك اضطرابا في ترتيب أوراقها . وترى
وصفا لها في فهرست دار الكتب ، ٣٠/١ (الملحق) .

وتوجد بالمكتبة الأزهرية نسخة كتبت سنة ١٢٩٦ هـ وهي محفوظة
تحت رقم ٧٠٦٣ أباطة .

وتوجد في خزانة الشيخ علي الليثي في قويسنا نسخة من « المختار » ،
أشار إليها خير الدين الزركلي فيما سجله في « الأعلام » عن ابن قلاقس .
وفي الموصل مخطوطتان تحملان عنوان « ديوان ابن قلاقس » ،
ولا ندري هل هما لنسختان من « المختار » . . . أم من أحد دواوين
الشاعر ، الأولى بمدرسة جامع الباشا والثانية في مدرسة عبد الرحمن

جلبي الصايغ ، في محلة إبراهيم ، وذكر النسختين داود جابي في فهرست
مخطوطات الموصل ، ص ٤٧ ، ١٥١ .

وتوجد نسخة من « المختار » في خزانة جامعة ييل بفيوهافن
بالولايات المتحدة ، ذكرها ليون نيمورى في فهرسه عن المخطوطات
العربية في ييل ، ص ٤٧ ، ورقم المخطوطة ٣٠٦ .

وأهم النسخ نسخة برلين التى يذكرها اهلورات في فهرسه تحت
رقم ٧٦٩٤ ، وتقع في ٧٤ ورقة ، وتنتهى بـ : « بلغ مقابله على
نسخة منقولة من نسخة أصله ، فيها بعض تحريف ، فأصلحت ما قدرت
عليه ، وأشارت لبعضه بالهامش على قدر الإجهاد ، وبقيت أشياء لم
أطلع على معناها ، كتبه رمضان حلالة ، دشم بعد ذلك : تم نسخة على
يد ياقوت المرسى سنة ١٢٩٩هـ .

والملاحظ أن رمضان حلالة هذا هو نفسه ناسخ مخطوطي
« ترسل ابن قلاقس » المحفوظتين بالخزانة التيمورية وبمكتبة
جامعة ييل .

وقد اطلعنا على هذه المخطوطة وعلى مخطوطات « المختار » بدار
الكتب والأزهر الشريف .

(٣٨) هذا الكتاب نادر الوجود ، ولم نر فيما استعرضنا من الفهارس إلا
مخطوطة وحيدة منه محفوظة في خزانة جامعة ييل بالولايات المتحدة
تحت رقم ٣٠٥ (أنظر فهرست نيمورى ، ص ٤٧) ، وتقع في ٣٩
ورقة كتبت بخط نسخي جيد ، ولعلها من مخطوطات القرن التاسع
الهجرى . ولدينا منها « ميكرو فيلم » .

(٣٩) ٥٦/١٤ ط (بولاق ١٣٠٥ هـ) .

- (٤٠) ٩٢٤/٧ .
- (٤١) أنظر قائمة المراجع باللغات الأوروبية ، وما في كتاب هـ وارت لا يعدو أن يكون تلخيصاً عن ابن خلدان .
- (٤٢) ٢٦١/١ .
- (٤٣) أنظر قائمة المراجع الأجنبية .
- (٤٤) تاريخ آداب اللغة العربية ١٦/٣ .
- (٤٥) ٥٢٦/٢ .
- (٤٦) مواضع متفرقة ، بحسب البلدان .
- (٤٧) طبع الديوان بالقاهرة ، سنة ١٩٠٥ ، بمطبعة الجوائب .
- (٤٨) أنظر الفصل الخاص بـ "تحقيق شعر ابن قلاقس" .
- (٤٩) ص ٢٢١ ، واعتمد اعتماداً رئيسياً على "معجم الأدباء" فأوقعه ذلك في عدد من الأخطاء الجسيمة .
- (٥٠) ص ٣٧٨ (ط. الاسكندرية سنة ٥٩) وصدرت منه طبعة منقحة بعنوان "الأدب في العصر الأيوبي" ، دار المعارف سنة ١٩٦٨ .
- (٥١) ٧٥/٢ (ط. القاهرة ١٩٥٦) .
- (٥٢) مواضع متفرقة (صدر عن المجلس الأعلى للفنون والآداب - مشروع الكتاب الأول) .
- (٥٣) ص ٩٥ (سلسلة "مذاهب وشخصيات" ، رقم ١٠١) .
- (٥٤) أنظر على سبيل المثال : "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" للدكتور شوقي ضيف ، ص ٤٨٢ (ط ٥) المنتخب من أدب العرب والإسكندري وزملائه ، ٩٧/٢ (ط ١٩٤٩) ، "معجم المؤلفين" ، لرضا كحالة ،

وذكره مرتين ، الأولى تحت إسم عبد الله الاسكندري ، ١٤٩/٦ ،
والثانية تحت إسم د نصر الله بن قلاؤس ٩٢/١٣ وفي دائرة معارف
البستانى ٤٦٦/١ ترجمة إعتمدت على ما جاء فى «الأعلام» للزركلى (ظ
سنة ١٩٦٠) وفى دائرة المعارف الإسلامية ، فى الطبعة الأولى ، سيرة
موجزة (ج ٢٦٥/١) وفى الطبعة الثانية نبذة أطول اعتمد فيها على ما
ذكره د. إحسان عباس فى « العرب فى صقلية » .

ويقدم معجم مركيس ملحاح عن الشاعر ص ٢١٧ (ط. القاهرة
١٩٢٨) . وانظر كذلك كتاب د. محمد رزق سليم « الأدب العربى من
عهد الفاطميين إلى اليوم » وهو يعد شاعرنا من بين الشعراء الأيوبيين ،
وكتاب محمود مصطفى « إجماع الأعلام » ص ٣٤ وكتابه « الأدب العربى
فى مصر » ص ٢٣٢ .

(٥٥) ٣٤٤/٨ .

(٥٦) ص ٢٨٧ .

(٥٧) وهى الآن ملحقة بدار الكتب ، وقد رجعنا إليها ، وإسندها
نصها الكامل .

(٥٨) مخطوطة ذكرها نيمورى فى فهرسه ص ٤٧ ، تحت رقم ٤٤٤ .

(٥٩) أنظر مقالته فى « الأعلام » عن ابن قلاؤس :

(٦٠) محفوظه تحت رقم ٣١٣٩ .

وتقع فى ١٢٠ ورقة ، مسطرتها ١٧ سطراً ، كتبت سنة ١٠٢٣ هـ
على يد محمود الملاح ، وفى آخرها أنها نقلت د عن نسخة أخرى قديمة
يرجع تاريخها إلى سنة ٦٢٥ هـ .

والنص مرتب وفقاً لحروف المعجم ، وقد كتب بخط نسخى

حسن ، وليست فيه إلا أخطاء قليلة، ومن التمليكات التي عليه واحدة باسم محمد الجيلي تاريخها سنة ١٠٦٣ ، وأخرى للسيد محمد أبي النصر . وفي فهرست دي ملان ص ٥٥٤ وصف مفصل لها .

(٦١) محفوظة تحت رقم ٢٩٧ .

وتقع في ٨٢ ورقة ، أما ناسخها فهو د عبد الرحمن بن مصطفى الششير بقاضى زاده ، نساخها سنة ١٠٤٥ هـ في قرية سلفين . أولها د هذا ديوان للقاضى الفاضل ، نثر الأقران والامائل ، الأملى المحقق اللوذعى المدقق نصر الله بن قلاقس المصرى الأزهرى ، . والنسخة مرتبة وفقا لحروف الهجاء .

(٦٢) محفوظة تحت رقم ٤٦٨ في مجلد ، ومعه ديوان أبي فراس بن المعلم . ويقع ديوان ابن قلاقس في ١٢ ورقة ، كتبت بخط نسخ واضح ، سنة ١٠٠٢ هـ ، وأنظر في وصفه فلوجيل ، في فهرست مخطوطات فينا ، ٤٥٧/١ .

(٦٣) غير مؤرخة ، وقد رجح آربرى أنها كتبت في القرن التاسع الهجرى ، وتقع في ١٥١ ورقة ، ونسخها نسخى جيد .

والقصائد في هذه النسخة لا تنضج لترتيب محدد ، ويتصدرها :

د ديوان الأديب البارع الأديب اللوذعى الأريب أبو الفتوح نصر ابن عبد الله بن مخلوف اللخمى المعروف بالبختري ، وآخر المخطوطة : وهذا آخر ما وجدته من بديع شعره ، أمطر الله بشآيب الرحمة حفرة قبره .

(٦٤) نسخة غير مؤرخة، ورجح آري برى أنها من مخطوطات القرن السادس الهجرى . وتقع فى ٩٩ ورقة ، وعدد من صفحاتها قد انبهمت معاملة ، وبمض الأوراق موضوع فى المخطوطة فى غير موضعه .
وقد قدم آري برى وصفاً مختصراً لها والمخطوطة السابقة ، فى فهرست خزانة شستريتيق بدبلن ، ج ١٥/٤ .

الفصل الثاني النشأة

هو أبو الفتح نصر بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي ، اللخمي
الازهرى الإسكندري المصرى . وانفرد النواجى فى « تأهيل الغريب » ، بإضافة
« الأوندى » . كما انفردت مخطوطة دبلن رقم ٦٢٦ ، بإضافة : « المعروف
بالبنخترى » ، وأما لقبه فهو « القاضى الأعز » ، واشتهر على مر العصور بـ « ابن
قلاقس الإسكندري » (١) .

وهذه الكنية الغريبة — ابن قلاقس — تبقى بلا تفسير ، ولم يزد ابن خالكان
بصددها عن أن يقول ، « وقلاقس جمع قلفاس » ، وبعض الدارسين المحدثين
يرجع أن « أحد الأجداد فى عمود نسبه يسمى قلاقس » ، فحمل حفيده الشاعر
النسبة إليه ، (٢) ، وهذا القول افتراضى ، ولا يتكىء على أى سند تاريخى ، ونحن
نرى الشاعر يقول فى قصيدة له ، معرضا بأحد الأمراء :

جاد لى باللقب الفاسد إذ لم يتح لى بلغة من نشبه
فما هو هذا واللقب الفاسد الذى ضاق به الشاعر ذرعا ؟ أهو « ابن قلاقس » —
إذا جاز أن نعد ذلك لقيا — أم شىء آخر ؟ .

ومولده بالإسكندرية ، « يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر (٣) سنة اثنين
وثلاثين وخمسمائة » ، (وهى نفس السنة التى ولد فيها صلاح الدين الأيوبي) ،
وغريب أن نعلم اليوم والشهر والسنة التى ولد فيها فى حين أننا لا نكاد نعرف إلا
القليل عن ظروف نشأته وعن أسرته وذويه ، اللهم إلا أنه ينتمى إلى أصل عربى ،
كما تدل النسبة إلى لحم وإن كانت هذه النسبة لا تترك أثرا عميقا فى شعره ،
ومن المرات القليلة التى تلمح ، قوله :

يابنى كنفدة أنتم درر قلدت تيجان صيد العرب
أنا من ثم ولكن جباركم وحقوق الجار فوق النسب
ولنا أصل نمتا فى يمن باسمق الفرع زكى المنتصب

وتلح كذلك فى قصيدته التى هجا بها أحد الشعراء، ويدعى عبد الله بن يوسف
وكان قد هجا بعض المخميين من أهل مصر :

وإلى سرات بنى عدى أنتمى فى حيث تشى العزة القعساء
قوم هم غرر الزمان وأهله والعالمون جبلة دهماء
أبناء لحم الأكرمين عصابة لا يفتشون وفى الثبات ثناء
أخذوا عن النعمان شرع مكارم دامت لضيغهم بهما النعماء

ومن المؤكد أن أسرة الشاعر كانت فقيرة رقيقة الحال ، فى دولوينه عشرات
القصائد التى تدل على أنه الشاعر كان يعانى فى مطلع شبابه من صنوف الجوع
والحرمان ، فمن ذلك قوله يمدح المحدث المشهور الحافظ السلفى ، وكان يحذب على
على الشاعر ، ويعطيه راتبا جاريا :

أجودك أم فيض جود المطر وبشرك أم بشر عرف الزهر
فماؤك كالبیت أضحت تسير وفود النوال إليه زمر
لئن كنت عندك ذا رفعة فما للورى غير ما قد ظهر
يحط الفستى نقصه درهما وكيف الذى نقصاثنى عشر

ويقول فى قصيدة أخرى ، مخاطبا السلفى هذه المرة كذلك :

أصبحت من صرف الزمان الجارى سكران من عون ومن أبكار
متنقل كنتنقل الايام من أنياب حادثة إلى أظفار

بالابساء حلال الشتاء وعاريا دون البرية من ثياب العار
أشكو إليك ثلاثة أوهت قوى جسدى فبت على شفير همار
وأقول ما قال الخليل (٤) مترجما عن حاله بفتائج الأفكار
و أنا شاعر أنا شاكر أنا ناشد أنا راجل أنا جائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين لنصفها بعيار
بل أنه لا يتورع عن أن يجأ بالشكوى من عريه وعويل أحشائه :

فشيبي تمزقت مثل أعرا ض أعاديك لارعوا من طعام
هذيان نظمته لك فى الشمر ولى لصادق فى نظامى

وهذه الشكوى الصارخة (٥) كانت تقابلها فى بعض الأحيان حالات من الأنفة
والاعتداد بالذات تجعله يعلن عن سخريته من ذوى اليسار والجاه ، أو تدفعه
إلى التفلسف وحث النفس على القناعة والرضا بما قسم الله الذى لا تكشف إلا به
الكروب ، (٦) .

فى هذا الطور المبكر اعتمد شاعرنا فى معاشه على الراتب الضئيل الذى كان
ينفحه إياه أستاذه الحافظ السافى (٧) ، وكان هو — فى مقابل ذلك — يدبج فيه
المدائح ، ويضفى عليه أسمى النعوت ولو جمعنا قصائده فى الحافظ السافى لشغلت
مجلدا كاملا . وهذا المحدث الجنيل ، شخصية فريدة من نوعها ، وأصله — كما هو
معروف — من أصفهان ، وقد طوف طويلا فى البلاد ، وقابل العلماء ، ولم يكن
يستقر فى صقع من الأصقاع إلا ليغادره إلى غيره ، ولكنه ما يكاد يصل إلى
الإسكندرية (سنة ٥١١ هـ) حتى يستطيب المقام فيها ويسلو حياة السعى والتطواف
إلى الأبد ، ولم يغادر الشجر بعد ذلك إلا مرة واحدة ذهب فيها للقاء العلماء
بالقاهرة .

وغنى عن الذكر أن الإسكندرية بطبيعتها الساحرة وموقعها الفريد ، ويشتها

العلمية الخشبية هي التي أغرت السلفى بالاستقرار فيها ، ثم اجتمعت عليه عوامل أخرى قوت عزمه ، من بينها أنه تزوج بسيدة تقية واسعة الثراء ، ومن ذلك أن ابن السلاربنى له بالمدينة مدرسة كبرى، وأتاح له هذا المعهد العلى أن يلتقى بالعدد الجهم من العلماء الأفاضل والرحالة وطلاب العلم ، خاصة وأن الإسكندرية كانت محط الرحال ، وحلقة الوصل بين الشرق والغرب ، ولعل السلفى قد شعر بأنه لم يعد يطبق حياة التقشف الخالص التي عاشها أيام الشباب ، فما أن اتبحت فرصة الاستقرار بالشعر حتى مال إليها .

وكان السلفى يدرس بمدرسته علوم الحديث ومسائل الخلاف وفقه الشافعى ، ويؤلف الكتب ويراسل العلماء كالزغنى وغيره وتخرج على يديه نخبة من المشاهير من بينهم ابن الحباب وابن رواج وهبة الله بن المفرج (المعروف بابن الواعظ) وجمال الدين حفص ابن السكندرى والشاعر ابن سبأ الملك ، وقد مدحه بقصيدة مظلما :

حمدنا السرى وهى الحقيقة بالذم لفرقة أرض غاب عن ألقها نجمى
أما ابن قلاقس فانه ، كما أوردنا ، صاغ المدائح الجملة فى وصف مناقب
أستاذه ، ومن ذلك قصيدته :

لن بلغتك العيس نجدا فازدد بها كلفا وزجدا .
وهى تبدأ بمقطع وصفى يفضى بدوره إلى مقطع آخر غزلى ، حتى إذا ما فرغ
من وصف المحبوب ، وأومض الشفق فى خمة الليل كأنه مرج من البنفسج تنأثرت
فى جنباته الورود :

أجريت ذكرى أحمد فلاتها مـدحـا وحـمـيدا

بسط الأنامل غارسا منّا أثبت الذبت جمدا
للشروع منه مشرع يدعى لديه البحر ثمدا
لازال فضلك عاقدا في نحر عيد النحر عقدا
وعلى نظم قصائد ينثرن شمل صدك قصدا
عقدت عليك لواها فحبالهم تنحل حقدا
هيمات لا تصدى أزا هرما وأنت لها تصدى

وهذه المعاني عامة مألوفة ، ومع ذلك تراها تتكرر في كثير من القصائد التي وجهها للمعاني ، وربما كان مرجع الضعف فيها أنها كتب في طور الشباب ، قبل أن تنضج الملكة الشعرية وتستقيم للشاعر المعاني وتعمق الأخيلة ، ومن جانب آخر فإذا يمكن أن يقال في مدح شيخ عالم يحدث إلا أمثال هذه الأفكار المتداولة ؟ .

وستنرى أن شاعرنا أخذ يتبين مكانته شيئاً فشيئاً ، وأن سوق شعره بدأت تروج وتنتهي له بعض الشهرة وقدر من المال ، ولكنه يظل لفترة من الزمن عكوفاً على حضور مجالس أستاذه وعلى نظم المدائح فيه ، ويتصل في الآن ذاته بعدد من سراة الثغر وكبار موظفي الدواوين هناك ، وفي هذا الطور نرى له أشعاراً ينظمها في عرس يهودى أو أحد نصارى الثغر ، فمن ذلك .

فاشرب هنيئاً كأس را حاك ففى مفتاح السرور
أو رتل الإنجيل معتضداً بألحان الزبور
أبناء عيسى سادة أوقادة طول الدهر
أهل البدواوين الذين لهم نفاد في الأمور

وفي ختام القصيدة يعرب عن مطلبه ، وما أهوته من مطلب لا يعدو تهمة
وكن أثير ، ووجبة مستطابة !

ثم نراه يتصل بقبيل من نبله الإسكندرية اسمه أبو الحسن علي بن خليف^(٨) ونحن لا نعلم عن ابن خليف هذا سوى أنه كان موفور الثراء محبا للشعر والشعراء ، وما يدل على ثرائه ما رواه ابن ظافر الأزدي في «بدائع البدائع» عن ابن قلاقس : «وحضر يوما عند ابن خليف بظاهر الإسكندرية ، في قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أبواب السما . . فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه ، فقال :

قصر بمدرجة النسيم تحدث فيه الرياض بسرهما المستور
خفض الخورنق والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
وكأننا والقصر يجمع شملنا في الأفق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل يثنى المعاطف في حبيب حبيور .

والذي يدلنا على أن ابن خليف كان من محبي الأدب ما نراه هنا وهناك من عبارات ترد في إحدى نسخ الديوان ، من بينها قول ابن خليف نفسه :

«وقال (ابن قلاقس) ، وكتبها على مجموع كان بيدي ، يديها . . . » ، وابن نباتة — يذكر نفس النص الشعري ، ويصدره بقوله : «وقال يصف مجموعا ألفه ابن خليف . . . ولا نفسي أن ابن خليف قام بنفسه يجمع بعض قصائد شاعرنا وهذه مسألة سنبحث القول فيها فيما بعد .

ويضم ديوان الشاعر أكثر من مدحة في ابن خليف وفي أبنائه وأقربائه ، ويستفاد منها ومن المقدمات الثرية التي تصاحبها ، أن ابن قلاقس عمل عنده من أشمن ناسخا للكتب^(٩) ، وقد استنتجنا هذا من عبارات متناثرة في ديوان الشاعر ، من قبيل : «وكتب الى (والمتحدث هو ابن خليف) بتاريخ . . . صحة ديوان شعر المتني ، يعتذر الى ، أو «وكتب بها الى معتذرا عن تأخر كتاب كان

لى عنده ، يفسخه لى ، والشاعر يعرب تارة عن اغتباطه بعمله ، وخاعة أثناء نسخه
لديوان المتنبي ، وهو ساخط تارة أخرى لأن الورق الذى يفسخ عليه راسخ
ودى ، غدا معه المداد الأسود فى لون القطن .

وقصائد المديح فى ابن خليف هذا ليست بذات خطر ، وتبدو فى بعض
الأحياء بين شبيمة بالمحاولات الأولى التى لا يلبث الشعراء أن يأنفوا من إثباتها فى
جواربهم حين يصلب عودهم ، وتستوى ملكتهم ، ولعل من أجودها قصيدته :
هو ملتقى أرج النواسم فانظرا هل تعرفان به القضيبي الانظرا
وفيهما يستطرد فى الوصف حتى ينتهى إلى الدن وقد هتك جيب قميصه عن خمر
يتألق وهجها القانى ، وإذا هى :

ريعت بسيف المازج فاتخذت له درعا من الحب المحوك ومغفرا
وغمست ثوب الريح فى كاساتها حتى سرى أرج الشائل أعطرا
فكأنه ذكرى أبى الحسن التى فتقت به الامداح مسكا أزفرا

وفى هذه المدحة يستمرسل فى وصف الرياض المزهرة ثم يعرج على الخمر إلى أن
ينتهى بالمديح ، وهذا التصميم يشبه ، من بعض الوجوه ، صنيع الشعراء القدامى
الذين كانوا يبدؤون بوصف الترحال والمفاوز المترامية والوعول ونحوها ، إلى
أن ينتهى بهم التسيار إلى نبع الجود وأصل الكرم وأس المجد الذى لا يطاوله
بجد ..

وبعد حين يحدث أمر ما لا نعرفه ، يفسد العلاقة ما بين الشاعر ومدوحه ،
ومن ثم يتحول المديح إلى عتاب ، بل ويتجاوزها إلى التصريح بالقطيعة . ومن
قصائد العتاب قوله :

تغير عن مودته وحالا وأظهر بعد رغبته ملالا
فما ينفك يظلمني اعنداما وما أنفك أنصفه اعتدالا
وقد نزهت عن هجر وهجر وإن أبدى الخليل بي إختلالا
ومن طلب الوفاء من الليالي على علائها ، طلب المحالا

ثم يفتنى فيناشد مدوحه القديم ألا يصغى لالسنة الحاسدين ، ولكن الشاعر
لا يفتاب في ضعف وذلة ، بل تسمع في أبياته نبرة الإعتداد والثقة بالنفس، وأما
التصريح بالقطيعة ، والمجاهرة بالخصام فيبدو جليا في مثل قوله :

أقبل بوجهك إني عنك منصرف فما أقول لسؤالي وما أصف
ومنها :

خدعت في وغرتك الضراعة بي ومال تيبها بك الاعياء والصف
وكم صبرت وقلت الحر بوجهه لين الكلام وإن ولي به الأنف

وإلى جانب العتاب والمجاهرة بالقطيعة تبرز نغمة أخرى هي نغمة الفخر بالذات
في صورة أشد وقعا من التي أشرنا إليها من قبل ، وإذا بالشاعر البائس الذي كان
بالأمس يتشكى من قرص الجوع يزعم الآن أنه سليل العز والمجد وأن ما به من
رقة الحال أمر لا يشينه في شيء :

يحاول الحال منه ذل جانبه والعز شيء تغذاه مع اللبن
إن كان كالنبع عريانا بلا ثمر فثله هو طلاع على القنن

والذي نظنه أن القطيعة بين الرجلين استمرت فترة من الزمن ثم انتهت إلى
الصلح في أخريات حياة الشاعر ، وما يجعلنا نرجح مثل هذا الرأي أن ابن خليف
هو الذي أغرى الشاعر بأن يجمع رسائله في كتاب، وكثير ما في «ترسل ابن قلافس»
كتب في خلال السنوات الأخيرة من عمره ، مما يقطع بأن الود تجدد بينهما وخيرا،

بينما لا نرى في دواوين الشاعر قصائد في مدح ابن خليف ، مما يمكن إعتبارها من ثمار المرحلة المتأخرة من عمره التي نضجت فيها موهبته وتمثلت فيها براعته .

ومن الممكن أن يكون شاعرنا قد ترك الشعر في أعقاب خلافه مع ابن خليف وتوجه إلى القاهرة حيث درس بالأزهر الشريف (١٠) ، كما قد تدل على ذلك نسبة «الأزهري» التي ذكرها له ابن خلكان ، وأشار إليها هو من قبل حين قال :

وأزهر منسب حبي له يؤكد أنه الأزهري

لو صح ذلك لجاز القول بأنه إنما لقب بالفقيه والشيخ لأنه تلقى علومه الدينية بالأزهر الشريف ، وإن كان أمر دراسته بالأزهر يبقى محيراً ، فكيف جاز له — وهو السني — أن يكمل دراسته في معهد كان لا يزال إلى هذه الحقبة يتجهه إلى تدريس مذاهب التشيع ؟

ولا يستلزم لدينا معومات واضحة عن طبيعة العمل الذي كان يؤديه على أن لقبه «القاضي الأعز» (١١) يشير إلى أنه كان يؤدي وظيفة ما في بعض الدواوين ، وإن كنا لا نعرف هل كان عمله بالقاهرة أم بالإسكندرية ، وهناك نصوص تثبت أنه لم يكن على وثام مع «ناظر الديوان» ولا مع كثير من أقرانه في الوظيفة :

ومن البلية أني في بلدة	ذل التقى بها وعز الفاجر
أبصرت في الديوان أعمى جالسا	فسألت من هذا فقيل : الناظر
ورأيت وهو الأشل مقلدا	سيفا وما يغنى الأشل البائر
ولقد أبانت لي الدفاتر أنه	شخص كثير العي فقدم فائر
فصرقت عنه عنان حاجي زاهدا	في ناظر قد غص منه الناظر

ما كنت أرغب في زمان أول فيروقي هذا الزمان الآخر
وهناك قصيدة أخرى كتبت سنة ٥٥٩ هـ — أي حين كان في السابعة والعشرين
من عمره — فيها مثل ما في القصيدة السابقة من حنق وسخرية وحدة :

قل للشريف على مقولته	لقد إنتهيت لغاية الكذب
لقد احتلت مخازيا عذرت	من أجلها حمالة الخطب
يا ناظر أعمى وإن لعبت	في وجهه الحافظ مرتعب
غض الخليفة عنك ناظره	فنهبت من نسب ومن نسب

ومقطوعة أخرى كتبت في نفس التاريخ تقول :

إذا أبصرت ناظرنا	وقد حفت به الخدم
فلا تغرك قمعمة	كسته محالها الحرم
وخذ قرطاسه لترى	مقابح خطها القلم
تجدها ثم شاهدة	بأن وجوده عدم !

ولدينا قصيدة كتبت بدورها في نفس السنة تبدأ هكذا :

أما الكواكب فاحتموا بمواكبكم من عراب حولهم وأطارب
ويستهلمها بمقطع غزلي ، لا يلبث أن ينفلت منه إلى الهجاء ، وفيه يذكر كيف
أنه جلى غرر القصائد في مدح المنصور ، وكان قد قصده ليكون من خدامه ،
ولكن الرجل أبي إلا أن يقيمه مقام الصاحب ، ونخصص له راتبا حيل بينه وبين
قبيله ، فقد تواطأت عليه الأقدار ، ورزاه الدهر بناظر أعمى لا مثيل له في
الوجود ولا نظير لجشع أتباعه وعياله :

قوم كأن الله صب شخوصهم واللؤم لما صوبوا في قالب !

ولسنا نعلم على وجه اليقين من هو المنصور ، الذى يذكره الشاعر فى قصيدته السابقة فهل هو وزير مصر ضرغام وكان قد تقاب بـ الملك المنصور ، حين ولى الوزارة سنة ٩٥٥ هـ ؟ وإذا كان الأمر كذلك فبهم نعال ما جاء فى الديوان من أنه ، قال يمدح السلفى ويذكر بناء الصالح ملك مصر مدرسة للفقيه المذكور ، (١٢) :

يد الصالح المنصور أعظم نائلا	وأجزل اعطاء وأوفر مغنا
ملك أضاء الليل من نور وجهه	وأفعله الحسنى وقد كان مظلم
يريك إذا سالت به البدر طالعا	تماما وإن جاريته الليث مقدا
رددت الضحى ليلا من النقع مظلم	وأطلعت فيه بالاسنة أنجما
وشيدت بالاسكندرية بنية	بها أصبح الشجر المبارك معلما

وفى الديوان قصيدتان غير هذه ، تتصدر كلا منهما عبارة تنص على أنه ، قال يمدح الحافظ السلفى ، ويعرض بمدح الصالح بن رزىك سلطان مصر ، وبعض هذه القصائد كتب سنة ٥٥٥ هـ ، أى فى الآونة التى كان فيها الصالح بن رزىك بالفعل السيد المطلق ، وصاحب الكلية العليا فى مصر ، ولكن الملفت للنظر أن كافة المراجع تجمع على أن الصالح كان شيعيا إماميا ، ولا يشير أى منها إلى أنه بنى مدرسة للسلفى بالاسكندرية ، والشئ المؤكد أن الذى شيد المدرسة للحافظ السلفى هو على ابن السلار الملقب بـ الملك العادل ، ومن ثم عرفت باسم المدرسة العادلية ، وليس الملك الصالح بن رزىك . والملاحظ أن أيا من المصادر لم تذكره على أنه كان سلطان مصر ، ، واقب السلطان أطلق فى مصر أول ما أطلق على صلاح الدين الأيوبى ، وليس على ابن رزىك .

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن صلوات الشاعر بالملك الصالح طلائع ، فإننا

من على العكس من ذلك — تملك طائفة من النصوص والأخبار عن علاقاته ببعض رجالات عصره ، وقد أشار هو إلى شيء منها في رسالة بعث بها من القسطنطينية إلى بعض أسانذته بالآخر ، — ولعلم الحافظ السلفي — ومما قاله فيها :

وكتبت . . إلى مصر . . حرسها الله . . وقد خرجت بظاهرها ليلة الجمعة للتمزج مع الأمراء أدام الله على امتداد ظلمهم ، فلما أوقدت السماء مصابيحها وأهدت الرياض إلى المعاطس ريحها ، ورقد الأنعام ، وفي الحى الذى لا يام هزت معاطفى اليكم نشوات الريح ، وحيثنى بفسيمكم الطاف الرياح
وفي الديوان مقطوعة بعث بها إلى ضرغام — قبل أن يتولى الوزارة — وكان قد وعده بتقديمه للإشاد بحضرة شاور :

يا فارس المسلمين انظر إلى تجدد روضا هشيا على قرب من السحب
لا أقضيك لتقديم وعدت به من عادة الغيث أن يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمة وإنما أنا أخشى حرقه الأدب !

ولعل مساعى ضرغام أفلحت ، وعلى كل فإن ديوان الشاعر عامر بقصائد المديح فى شاور وفى ابنه الكامل شجاع ، وله قصيدة يهنئ به فيها بالوزارة وبقضائه على آل رزيك ، أولها :

بك الإسلام قد لبس الشباها وكانت سناء قد ولى فأها

ومنها :

سلوا عنه بنى رزيك لما أفاد الحرب منهم والخضرابا
وأقدم نحوهم أسدا مشيعا فسلوا بين أيديه ذئابا

فإن عمرت جموعهم الفياق فقد تركوا ربوعهم خرابا
أهاب بهم لسان الخوف حتى أقاموا لراحة — نهابا
فإن جعلوا الظلام لهم مطيا فقد جعل النجوم له ركابا
ولو شامت صوارمه القواضي أقامت دونهم سورا وبابا
وساق اليهم عـربا ورعبا يسميها الكتيبة والـكتابا
وكم قادوا الصوامل مقربات ففكان لهم إلى الذل اقترابا

ثم يمضى فيصور ما انتهى إليه أمر آل رزيك من هوان ، وكيف أنه لم تغن
عنهم الدروع ولا الظبا ، ومن ثم استسلموا طوعا لشاور :

وحسن رتبة قبححت لديهم وكان التاج في الأرساغ عابا

وفي هذه القصيدة — ومثيلاتها — يمين في رفع قدر الممدوح وفي الخطم
منزله أعدائه ، وكان يدينه وبينهم ثارا أو ضغينة ، ولا ثار هناك ولا ضغينة
ولكنها تقاليد فن المديح ، والشوق إلى العطاء ، والضعف أمام صولجان الجاه
والسلطان .

وسنعود بعد قليل إلى متابعة الحديث عن صلات الشاعر بشاور وبغيره من
رجال الدولة ، لنتوقف الآن أمام قصيدته التي يذكر الديوان أنها في مدح خليفة
المغرب عبد المؤمن بن علي (١٣) .

وهذا الخليفة توفي ، كما هو معروف ، سنة ٥٥٨ هـ ، فمتى مدحه الشاعر ؟
ولم لم تصل إلينا تفصيلات ما حول هذه الرحلة المغربية ؟ وكيف غاب الأمر
عن مؤرخين لهم وزنهم من أمثال العباد الأصفهاني وياقوت وابن خلكان ؟ ولماذا
لا نرى له إلا قصيدة يتيمة في مدح هذا العامل الكبير ؟

وإذا كنا لا نستطيع أن نصل في هذه القضية إلى يقين فإننا نعمد إلى الظن

والترجيح ، وإذا كانت القصيدة في عبد المؤمن حقا ، فإننا لا نستبعد أن تكون أرسلت إليه مع أحد العلماء أو الشعراء المغاربة ممن كانوا في المشرق لأمر من الأمور ، وليس في ذلك غرابة ، فهناك من الشعراء من عانت الظروف عن أن يشهد قصيدته بنفسه بين يدي الممدوح فاكتفى بإرسالها ، ولشاعرنا نفسه — كما سيأتي — مدائح في بعض زعماء صقلية كتبها وهو بالشعر ، وشيوعها إليهم لكي يعرفوا منزلته وينال عندهم الحظوة حين يصل إلى جزيرتهم . هذا احتمال ، وأما الاحتمال الآخر فهو أن تكون القصيدة في ابن عبد المؤمن ، أبي يعقوب يوسف ، الذي حكم المغرب من سنة ٥٥٨ إلى سنة ٥٨٠ هـ ، ويكون الشاعر قد أنشده أياها وهو في طريقه إلى صقلية أو في أثناء عودته منها .

ولنعد إلى القصيدة نفسها لنراه يقول فيها :

طار عن بركة برق قشعبي ضم سقطيه بسقطي لضم
وعلى السفح عيون جرححت فهمي لا تسفح إلا بالدم
وتمضي هكذا مهومة جياشة ، إلى أن تحين برهة المديح وبأى معان
يمدح ؟ :

بمعان ما تأتي حركتها ازهبر في معالي هـ — رم
عظمت قيمتها منذ علقبت بأبى المؤمنين الأعظم (١٤)
كعبة المن التي من زارها بات في أمن حمام الحرم
قبلة الدين التي تأتممها عندما ينزل عيسى مريم
جوهر النور الذي آنسه لحظ موسى في سواد الظلم

وبعد أن أضفى على الممدوح كل هذه الأوصاف الروحانية مال إلى إبراز قوته

العسكرية المهمة ، فهو :

قائد الجيش الذى من راعه باسمه قبل التلاقى يهزم
 حلقت من خلفه راياته فى أمثال الحمام الحوم
 والذى يجعلنا نرجح أن القصيدة أوسلت إلى عبد المؤمن ولم يسافر بها الشاعر
 بنفسه ليأقياها بين يدي الخليفة ، ما يجيء في نهايتها :

يا إماما نخضع الدهر له وأطاعته رقاب الأمم
 دعوة رجسها مستمسك بعرى القصد التي لم تفصم
 كلما رام موضوعا حثمه قول زغب عنده : لا تقم
 ويضم الديوان عدداً من المدائح في بعض رجالات الدولة ، فمن ذلك قصيدة
 ينص على أنها في مدح بعض أمراء الدولة المصرية ، وأولها :

سفحت عيون الغيث أدمع قطره فالروض يضحك عن مهابم ثغره
 والشاعر يقدم للمدحة بقطع نخرى طويل حتى يصل بعد لآي للممدوح
 الذى يناديه به :

يا فارس الإسلام حين ترحلت فرسانه وتخاذلت عن نصره
 والصارم الذكر الذى فضت به من خلف ستر النقع عذرة بكره
 و فارس المسلمين ، كان من الألقاب التي نعت بها ضرغام ، منذ أن جعله
 الصالح بن رزيك على رأس فرقة البرقية ، ودفعه إلى خوض الحرب ضد
 الصليبيين ، فلعله هو المقصود بالمدح هنا .

ومن جانب آخر فإن شاعرنا كان لا يفتأ يتغنى بأجناد ضرغام بن سوار ،
 ولما دب الخلاف بينه وبين شاور طلب فارس الشام وثاب بن ناصر الدولة
 ياقوت (١٥) من الشاعر أن يهجو ضرغاماً ، ولكنه يأبى ، ثم يهرب وثاب مع

شاور للشام ، وحينئذ يجد ابن قلاؤس الفرصة مواتية لكي يهجو فارس الشام
وينعى عليه هربه ، غير أن نجم ضرغام لا يلبث أن يأفل ، واستيلاءه على الوزارة
لا يمتد إلا زهاء تسعة أشهر ثم يلاقى حتفه ، ويقف شاعرنا موقفا نبيلًا من ولي
نعمته القديم فيرثيه بقوله (١٦) :

أصاب سهم الياص قاب المطامع وصابت بغيث البأس سحب الفجائع
وما كنت أخشى غيره وقد انقضى فكل مصاب بعده غير فاجع
وأقسم لو مات امرؤ قبل موته لسكنت على الأعقاب أول تابع
وربما كانت بغيته في ضرغام صادقة ، ولكنه — على كل حال — لا يملك
إلا أن يطوى هذه الصفحة من حياته ، ويعود من جديد لنظم المدائح في شاور
وأبنه ، وفي الديوان مدحة تتصدرها عبارة :
« وقال في الأجل الكامل بن شاور ، وأنشدنا بين يدي موشحته فيه ،
والتي أولها :

« ضحككت إلى الأحباب عن ثغر العباب ،
ومدحة أخرى مفعمة بالحماسة مستهلها :

طليلة جيشك النصر المبين ورائد عزمك الفتح الية ين
وحيث حللت فالرايات تهفو عليك وتحتهم الرأي الرصين
وصف فيها جيش شاور اللجب الذي أشرق به الفضاء ، وأدخل الرعب في
صدور الأعداء .

وعقب الحملة النورية الثانية ، التي هبت في أثنائها الثورة بالإسكندرية
ضد شاور ، نجد أن شاعرنا مذبذب النفس ، فهو يمدح وزير البلاد وهو في
الوقت ذاته يأسى لمصير رفقاته الذين حاربوا عند شاور ، وله في وصف الصراع

الذي دار بين جيوش شيركوه وجيوش وزير مصر قصيدة مطلعها :

عارض الصفح في يدك الصفاحا ورأى البأس أن تطيع السباحا
وفيها يعلى من قدر شاور ، ويجعله الحافظ لشئون الرعية ، الكابح الجاح
الشائرين :

أى ثغر سما إليه أبو الفتوح فلم يبتدر إليه افتتاحا
وهو الباعث الكتائب لا تحصى براحا وإن دعت لأبرحا
يدع المسرح المباح مصونا ويرى المعقل المصون مباحا
بخيول طارت بأجنحة النصير فراحت بها تبارى الرياحا
وكهانة غمر فقصوا الليل وساقوه في العجاج صباحا
شاركت شيركوه في النفس والمال وصاحت به فصاحا فصاحا
طلب الأمن فاستجيب ومايعرف منك الطلاب إلا النجاحا
بعد ما ضيق الحمام عليه سبلا غودرت إليه فساحا
يحسب الليل قسطلا ويظن الـ برق والشهب أنصلا ورباحا
ويود النهار لو كان ليلا لا يرى في ظلامه مصباحا

ثم يذكر الثورة بالإسكندرية وكيف أعمل شاور السيف في زعمائها وصادر
أموالهم وقمع حركاتهم .

وشاعرنا ، كما نعرف ، سكندري المولد والنشأه ، وكان من الطبيعي أن
يعزن لما لحق بمدينته وبأهلها من بأساء ، ولكن أنى لمثله أن يتصدى للبطش والجبروت ؟
على أننا نرى له في الوقت ذاته وقفة نبيلة بإزاء الأديب الشاعر الرشيد بن الزبير ؟
ناظر الدواوين بالثغر ، وأحد زعماء الثورة فيها ، فقد أرسل إليه شاعرنا حين

كان محتبسا بالمدينة ، خوفا من الوقوع بين محالب شارر ، عدة مكاتب شعرية ،
منها قصيدة مستهلها :

تدائيت دارا والوصول شسوع . فنحك ذو الود الوصول قطوع
وأرسل إليه كذلك أيانا أولها :

عندى فؤاد يكاد الشوق ينزعه وليس يدري بما تخفيه أضلعه
وقد أحابه الرشيد عنها بأبيات أولها :

يا مغرما بنفيس الدر يجمعه ومولما بجميل الدر يصنعه
ولم يقدر للشاعرين أن يلتقيا بعد ذلك أبدا ، فإن رجال شاور ما لبثوا أن
اهتدوا إلى محباً ابن الزبير ، فسبق إلى السجن ثم قتل بعدها بقليل .
ويؤثر ذلك كله في نفس شاعرنا فتراه يعقد العزم على عدم الإقامة بالاسكندرية ،
ونراه يقول في رسالة بعث بها إلى بعض أصحابه :

ه الله يعلم أنى كاره القيام بالثغر لما يتجدد فيه كل يوم من الأسباب الموقية
لهذه العزيمة ، والأحوال الباعثة على مصارمته ولو كان جنة الخلد المقيمة . . .

والى أين يمضى ؟ إن أرض مصر كلها تسودها القلاقل وتنبض بالصراع
والتربص ، ولم يكن غريبا أن يتطلع إلى الأفق المحجوب عن عينيه ، المتوارى وراء
الأمواج ، وهو الذى عاش حياته يشهد السفن القادمة والآية ، فتشير في نفسه
الشوق للمغامرة والأسفار ، وما هو الآن وقد أوفى على الثلاثين (سنة ١٠٦٢ هـ)
واكتسب نصيبا من الشهرة والخبرة بالحياة ، ولم يكن يضيره كثيرا أنه نحيل الجسد ،
لا لحية له (١٧) ، وأنه كان لا يملك من متاع الدنيا إلا القليل ، إنه يقول في تحد
ولا مبالاة :

شرفي جاوز الغنى ومن العسا رض ما انحط عن رؤوس الجبال .
ونحول أجسدى على ولولا دقة السلك لم يفرز بالكل

وفي القصيدة نفسها يقول إنه وإن خف عارضاه فإن ذلك لا ينقص من قدره شيئاً ، وعلى الرغم من هذا التحول والضعف نراه يتأهب لمواجهة الأسفار الشاقة البعيدة ، وفي ديوانه نصوص متنوعة نرجع أنها تتصل بأمر الأسفار التي عول على القيام بها ، منها نص شعري كتبه وليستدعى من أحد رجال الاسكندرية درعا وبيضة وترسا ، ومنها ما قاله رتجالا وقد أهدى إليه ترس :

لله در بحر قد حبليت به صيغت كوابجه فيه على قدر
لم يخط تشبيهه من قال حين بدا إن الثريا بدت في صفحة القمر

ولدينا عنه جملة من الأخبار تصوره بالقاهرة والفسطاط والاسكندرية ، ونرجع أنها تتصل بالفترة التي سبقت قيامه بالأسفار خارج وطنه فمن ذلك أنه كان جالسا ، بمكان بمصر يعرف بدار الأنماط ومعه جماعة ، وقد مرت بهم امرأة مشهورة بالجمال تعرف بابنه أمين الملك وكان تسير ثم تقف وتلفت ، فاقترح عليه الحاضرون أن يعمل فيها شيئا فقال : هذا يشبه قول أبي الطيب المتنبي ... ثم أنشأ ارتجالا .. وأورد ابن ظافر ، غير مامر ، : « واخبرني أبو عبد الله بن المنجم ما معناه : صعدت إلى سطوح الجامع بمصر ، يعني جامع عمرو بن العاص ، في آخر شهر رمضان . مع جماعة ، فصادفت الأديب الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس ، ونشو الملك بن المفرج ابن المنجم (١٩) ، وابن مؤمن ، وشجاعا المغربي ، فانضفت إليهم ، فلما غابت الشمس وماتت ... وتجلى زنجى الليل بمخالخاله ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا في صفة الحال ، فأطرق كل منهما مفكرا .. فلم يكن إلا كرجع البصر حتى انشد ... فكان ما صنعه أبو الفتوح ... » كما يذكر خبرا آخر عن لقاء بالشاعر مع بعض عشاق الأدب وقد صعد الجميع

إلى أحد منائر الجامع ساعة الغروب ، وما ارتجله في ذلك الموقف من شعر (١٩) .

ويتضمن « بدائع البدائع » كذلك طائفة من أخبار الشاعر بالإسكندرية ، فمن ذلك قوله : « والحكاية مشهورة عن ابن قلاؤس والوجيه أبي الحسن علي ابن الذرؤي (٢٠) أنها طلعا منارة الاسكندرية ، والوجيه يومئذ في عنفوان شبابه وحياء ، ومحبوب شيمانه في الجنوب وصباه ، وابن قلاؤس مغرم بحبه ، مكب على تهذيبه ... فاقترح عليه ابن قلاؤس أن يصف المنارة فقال بديها :

وسامية الأرجاء تهدي أبا السرى	ضياء إذا ما حندس الليل أظلمنا
لبست بها بردا من الانس ضافيا	فكان بتذكار اللاحبة معلما
وقد ظلمتني من دارها بقبة	الاحظ فيها من صحابي أجمها
فخيل أن البحر تحق غمامة	وأني قد خيمت في كبعد السما

فحين رأى ابن قلاؤس ما أتى به اشتد به سروره وفرحه ، فقال بديها :
يصفها ويمدحه :

ومنزل جاوز الظلماء مرتقبا	كأنها فيه للنسرين أوكار
راسى القرارة سامى الفرع في يده	للنور والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت	خيل لها في مجال الشعر مضمار
ولم يدع حسنا فيه أبو حسن	إلا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها	بجوهر الشعر بحر منه زخار
ما زال يذكى بها نار الذكار إلى	أن أصبحت علما في رأسه نار

كان الذرؤي إذن تلميذا ، لابن قلاؤس ، غير أن شيئا مما لا يلبث أن يقضى

على ما فيها من وشائج ، وابن ظافر — في الخبر الذي سقناه منذ قليل — يقول
« ولم تكن وقعت بينهما تلك الهزاة ، ولا استحكمت بينهما أسباب المواجهة ، فما هي
تلك الهزاة التي أفسدت ما بينهما ؟ لا أحد يدري ، ولكننا نلمح بعض جوانب هذا
الخلاف في عدة مواضع من ديوان شاعرنا ومن مجموعة ترسله ، فمن ذلك
مقطوعة تقول :

يا ذرويا كان في حبه جسمي في الرقة كالدر
أقصدتي بالهجو من بعدما أقصدتني من قبل بالهجر
كن آمنا فالدهر قد شغعت أحداثه فيك مدى الدهر !

وفي « الترسل » خطاب بالغ القصر كتبه الشاعر إلى ابن الذروري واستتمه
ببيتين هما :

جرح الخواطر ليس يرسى فيه تبين عجز عيسى
فحذارا منه يا وجيب كما زعمت ولست موصى

وفي ذلك الخطاب حديث غامض غن حاجة كانت للشاعر لدى صاحبه ،
ولكنه يأس من أمره ، والدليل على ذلك قوله في الختام : « واعلم أنك لا تعمل
فيك الملام ، فما لجرح بميت إيلام ، والسلام » :

أما ابن الذروري فأننا لا نظن أن ديوانه موجود ، ولكننا نستدل من
مقطوعتين أوردهما الصفدي له أنه كان ناقما حازقا على صاحبه ، حتى ليقول في
المقطوعة الثانية ، وهي الأقل فحشا .

ياسألى عن أبي الفتوح وعن عيشته في البلاد من أين
يعيش من شهره وفقته فاعجبت أن عاش من كنفين !

وفي أعمال شاعرنا ما يدل على أنه تخصم وعبد الله بن يوسف الشاعر (٢١) ،
وكثير بينها الهجاء ، كذلك نجد أمواج عديدة في شاعر سكندري يدعى أحمد
الآبي (٢٢) — وهو من الأدباء الذين أورد ياقوت ترجمة لهم — فن ذلك
مقطوعة ذمه فيها لأنه «سأله مساعدته في شراء سنبوق (نوع من الزوارق) فلم
يفعل » ، من أبياتها :

أتروم خلا في الوداد صدوقا حاولت أمرا لو علمت سحيقا
فاعلق بأطراف الوداد فإنه من دافع الأمواج مات غريقا

وهذه المقطوعة تملو من الحدة التي ستميز بها أبيات الشاعر التي قالها في
الآبي هذا ، حين التقيا في عدن ، على ما سنرى ..

وأما أطرف ألوان السجال فكانت بين شاعرنا وبين مغن بالاسكندرية يدعى
الحسام بن صاحب ربيع ، وفيما يبدو أن ابن قلاقس قد هجاء لأمرما ، فأراد
الحسام هذا أن ينتقم منه ، على نحو ما يتضح من هذه القصة التي أوردتها ابن ظافر
نقلا عن ابن المؤيد عن أبيه :

« كنت عند الأمير شمس الملك نيهان بن عين الزمان ، وعنده الأعراب
قلاقس وجماة من يحالسه ، وعنده مغن يقال له الحسام ، وهو ابن صاحب ربيع
المشهور ، فعمل يغنى بليقة لحسام الدين الاسكندراني في هجاء ابن قلاقس ، أولها :

أسألوا عني فتوح ابن قلاقس
كيف رأى ضرب التلوح بالدرافس

فهر على ابن قلاقس ما فعله ، وقام ، وأوهم أنه يمضي إلى المتوضأ ثم عاد سريعا
حتى وقف بباب المجلس وقال :

ليس الحسام حساماً وإنما هو غمد
يشدر فكم من فؤاد تحسنت السياط يشد

فكأنما القمه حجراً ،

وفي ديوان الشاعر مقطوعة في هجاء مغن - لعله هو الحسام الذي مر بنا
أمره - وكان قد تفاخر بأنه من رواد مجالس السلفي :

إن كان قد زاد في رقاعته وقال إنى يجلس - ولأننا
فالشمس والشمس ما علمت بها تجلس فيها الكلاب أحياناً

ولم نجد للشاعر مدائح في الخليفة العاضد، وإن كانت هناك ستة أبيات اختار ابن
نباتة معظمها وصدرها بالعبارة الآتية :

وقال بديها ، في بعض الخلفاء ، وفي مقابل هذه العبارة نجد أن نفس النص
بالديوان مسجوق بالعبارة الآتية :

« ووجدت له من قصيدة صنعها بالين ، يصاح ان يمدح بها خليفة ، والفرق
جلى بين قول ابن نباتة وما جاء في الديوان ، ونحسب أن الشاعر لو كان اتصل
بالعاضد لوجدنا إشارات عن ذلك ، ولعله كتب أبياته هذه ، وكان يعتزم أن
يوجهها للخليفة غير أن المنية وافته قبل أن يحقق غايته .

وإذا كنا لا نجد في شعره ما ينم عن صلاته بأى من أبناء البيت الفاطمي فإننا
- في مقابل ذلك - نجد له آثاراً عديدة موجهة لبعض رجالات الدولة الفاطمية فمن
هؤلاء القاضي الجليسي (٢٣) وكان شاعراً فائراً وجليد الصلة ببيت الخلافة . وبما
توفي القاضي الجليسي (سنة ٦١٠ هـ) رثاه شاعرنا بقصيدة مطامها :

علينا وقد مات الكمال التمازياً فيا حسبات الدهر عدى مسارياً

ومنها :

سألت فقالوا مصرع لو علمته فأيقنت لكى خدعت فسؤاديا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقى بشيرا وناعيا
وتوطدت صلاته بأشهر كتاب عصره قاطبة ، وهو القاضى الفاضل
عبد الرحيم البيهقي (٧٤) ، ومعروف أنه كان قد عمل فى الاسكندرية فترة من
الزمن ، قبل أن تضيع شهرته ويصبح على رأس ديوان الإنشاء ، ولا ندرى شيئا
عن بدء علاقة شاعرنا به ولا عن تاريخ مدائحه فيه ، والذي نرجحه أن المدائح التى
بين أيدينا قيلت فى القاضى الفاضل بعد أن انتقل للقاهرة وبعد أن أخذ يحتل
المنزلة الرفيعة ، أى منذ عهد العادل بن رزبك ، وما يدفعنا إلى هذا الترجيح
ما نلمسه من سمات النضج الفنى فى المدائح التى ألفها ابن قلاؤس فيه ، ومن أبرزها
القصيدة التى مطلعها :

ما ضر ذاك الريم ألا يريم لو كان يرى لسليم سليم
وكذلك قصيدته :

نضا عضبا من الجفـن يرد العضب فى الجفـن
ومن مدائحه الأخرى فى الفاضل قصيدته التى مطلعها :

طرجنا فوق غاربها الزمام— فأسلمنا العرار إلى النـم—زامى
أما أجود قصائده فى الفاضل فهى الثائية التى أولها :

دعته المثانى وأدعته المثالث فما هو للندمان والكأس ثالث
والشاعر مدائح فى عدد من السراة والأمراء ونحوهم ، ومن هؤلاء الأمير

نور الدين إبراهيم بن شاذى البلوى ، وفى الديوان أن د بلاده بأعلى الصعيد ، وقد
مدحه بقصيدته :

حيث التفت فكثيران وقضبان شجتك يبرين واستموتك نعمان

ويطيل فيها فى المقطع الغزلى إلى أن يصل إلى مدوحه فيقول فيه :

ماذا الضلال ونور الدين متقد يسكاد يبهى منه النور عريان
لو اجتدى كفه حسان ما ظفرت يوما بلفظة شعر منه غسان
ولو حوى البدر جزءا من محاسنه لم يعترض له كمال البدر نقصان
ومن خيرة شعره فى المديح قصيدته :

لا أشن جيدك إن الروض قد جيدا ما عطل الروض من نواره جيدا
وفيهما يقول فى المقطع المدحى :

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد يقول لى قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت عيناى بعد أبى المنصور داودا . .
ملك إذا هم ألقى الهم مقتضيا مهندا فى جبين الشمس مغمودا
والباعث الخيل أرسالا مضمرة والقائد الجيش أبطالا صناديدا
والطاعن الطعنة النجلاء نافذة والضارب الضربة القوماء أخدودا
ولم قطع هجيرا فى مهاجرى فكم تفيأت ظملا منك ممدودا

ونرجح أن يكون أبو المنصور داود من بنى سفس فقد عرج عليهم الشاعر
فمدحهم .

وله كذلك قصيدة مطلعها :

راع لها فى السهب وارم عراض السهب

يشير فيها كذلك لبني سبئس (٢٥) .

ونستطيع أن نتبين من هذه النصوص ومن أخوات لها أن الشاعر كان دائم التسفار في أنحاء مصر ، عارضا بضاعته على الأمراء والقبائل متكسبا بشعره ، وكأنما كان ذلك كله تمهيدا لفكرة الحت عليه ومملكة جماع نفسه ، وهي أن ينتقل في الأصقاع شرقا وغربا على تحو ما تنقل الشعراء من أمثال أبي نواس وأبي تمام والمنتبي ، ولعل طيف المنتبي هو الذي أضرم في أحناؤه الشغف بالمغامرة والضرب في مآهات المجهول ، وما كان الشاعر يحس بأنه يخسر في هذا التجوال شيئا ، إذ لم يكن يملك من الدنيا إلا قصائده يتكسب منها ، وإلا لمقاطع اللهو والهوى يصوغها من حين لآخر ، تعبيرا عن خواخ نفسه وإلا أبيات الهجاء يصبو بها نحو أعدائه ، ولستمع إلى ابن فضل الله العمري جيث يقبول في دمسالك الأبصار ، عن ابن قلاقس :

« . . كان شمس عصره إلا أن وقته ضحى ، . . أظفأ بشعراء عصره على أنهم نجوم سماء تزهو مصابيحها ، وتهب في مهاب الصبا ريحها ، فكدت بسببه بضائعهم ، وفسدت بأدبه صنائعهم ، وجاء بالفن الغريب ، وأتى منه نصر من الله وفتح قريب ، ، ولم تزل تحدى به سفائر آل ، وسفين بحر سما به حجاب الماء حالا على حال ، يغربه منى بها غالبت عمره القصير ، وأسفار بلى بها ولا يعرف إلى أين المصير ، وقد كان له في الدولة صلاحية مقبل لو اكتفى بظلمها ، ووافى بظلمته إلى زلالها ، ولكنه اتخذ القشتيت في البلاد دابة لا يسأم دوامه ، ولا يضره أوامه ، على أن الحرمان ما ملا له كيسان ، ولا أقرب به عيسا ، هذا مع أنه ما حن بأرض إلا وعيقت به رحابها ، وتعلقت بجلاليب إقامته أصحابها ،

وهي بوسيع القرى وسريع الكرم الحثيث ، إلا أن حرقه الأدب كانت عليه
غالبة ، وشهوة الحظ لما لديه سالبة . . .

ولعل في حديث ابن فضل الله هذا ما يهيم ذهن القارئ لكي يتابع الشاعر
وهو ينطلق عبر البحر الأبيض ، متجها إلى جزيرة صقلية .



مراجع وتعليقات

(١) تضطرب المصادر في بعض تفصيلات هذا الاسم وما يتصل به ، فهناك من يذكر « أبو الفتح » بدلا من « أبو الفتوح » ، (مسالك الأبصار ، شذرات الذهب مقدمة المختار من الديوان لابن نباته — وان كان ابن حجة في « ناضح ابن قلاقس » ، يورد نص مقدمة ابن نباته وفيها : « أبو الفتوح ») والذي نظنه أن الكنية الصحيحة هي ما اخترنا ، لأنها هي المذكورة في النسخ المعتمدة من ديوان للشاعر وفي كتاب ترسله ، وكذا في كثير من المصادر الموثوق بها مثل الوفيات ومعظم ما ذكرنا من كتب الثقة ، وبخاصة « بدائع البدائ » ، ومن جانب آخر ، فإن البليقة التي قيلت في هجاء شاعرنا أولها : « اسألو عني فتوح ابن قلاقس » وفي هذا دليل قاطع ، كما أن الوجيه ابن الذروري هجا الشاعر بقوله « ياسائل عن أبي الفتوح .. الخ »

وفي معظم المصادر « نصر الله » بدلا من « نصر » (الوفيات ، معجم الادباء ، اوائى بالوفيات ، سير أعلام النبلاء ، شذرات الذهب ..) أما « نصر » فترد في معظم مخطوطات الديوان الاصلية — مخطوطى دبلن — وفي الترسل وخريدة القصر وبدائع البدائ وكتاب الروضتين ومسالك الأبصار وحلقة الكميت .. ، كما نرى في الديوان بيتا موجها للحافظ السابق أوله . « عبدك نصر وأنت تعرفه » وعلى كل فالخلاف بين التسميتين أهون من الخلاف الذى ذكرنا حول الكنية ، هذا وفى النص الذى نقله د . عبد العزيز الالهوانى عن « توشيع التوشيح » للصفي نقرا « نصر الدين » — انظر « ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار » ص ١٩٢ ، أما نفس النص فى طبعة البير مطلق من « توشيع التوشيح » ففيه « نصر الله » ، وفى حسن المحاضرة « نصير الله » ولعل هذا مجرد خطأ مطبعى .

وتنفرد بخطوطة فينا من الديوان بتسميته « نصر الله محمد المنعمى المعروف
بأبن قلاقس » .

وفي الخريدة « أبن الازهرى » بدلا من الازهرى ، ولعل ذلك لخطأ في
النسخ ، وأما لقبه فى « نهاية الأرب » ، فـ « القاضى الاغر » بدلا من الاعز
« ونرجح أنه من أخطاء النسخ أو الطباعة .

ويضبط « ابن قلاقس » — بضم القاف الأولى — فى « معجم البلدان » كما
يرد « ابن ملامس » فى « شذرات الذهب » وهذا مجرد خطأ مطبعى .

(٢) م . ع . خفاجى ، « قصة الادب فى مصر » ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) استندنا فى ذلك للترسل « ومعجم الأدباء » و « حسن المحاضرة »
« والروضتين » أما « الوفيات » — ط محيى الدين عبد الحميد ففهمنا ربيع الأول .
ولننبه إلى أن بعض الدارسين يخلط بين شاعرنا هذا وبين أبى الفتح نصر
ابن عبد الرحمن بن إسماعيل الفزارى الاسكندرى (انظر على سبيل المثال كتاب
الروضتين ١/ ٥٢١ ، بتحقيق د. محمد حلى ، فى النص إشارة لموت ابن قلاقس ،
أما المحقق فإنه وضع تعليقا بالهامش لا ينطبق على شاعرنا ولكنه ينطبق على
أبى الفتح نصر الاسكندرى الفزارى) .

والفزارى هذا كان فقيها رحالة ، قابله العباد الاصفهاني فى بغداد ، وقال عنه :
« رأيت شابا متوقدا بالذكاء والفطنة ، عارفا بالادب » ونقل عنه فى مواضع
كثيرة . وترجم له السيوطى فى بغية الوعاة . — ص ٣٠٤ ، وقال عنه : « كان
شابا فاضلا زكيا له معرفة تامة بالادب » صنف كتابا فى أسماء البلدان والامكنة
والجبال والمياه ، كبيرا فى معناه ، وقد اعتمد يافوت على هذا الكتاب فى أكثر من

موضع (انظر د معجم البلدان ، ، مواد : بلبس ثبير ، فراص ، الخ .) .
وكان الفزارى قد ارتحل إلى بغداد ، وجالس بها العلماء ، وحدث عن
الحافظ بن عساكر وعن غيره ، ثم اتجه في أخريات أيامه إلى أصفهان ، ومات
بها نحو سنة ٥٦٠ هـ .

وانظر عنه : غير ما ذكرنا ، الوافى بالوفيات ، ج ٢٧ صفحة ٣٠ ، وكشف
الظنون ٥٧ ، ٥٨٥ .

(٤) هو الخليل الأصغر ، محمد بن أحمد الرقى ، شاعر من ديار مصر ، من
ولد عبيد الله بن قيس الرقيات ، وله ترجمة في د معجم الشعراء ، للمرتضى
ص ١٠٤ ، وبيتمة الدهر د ٣٧١/١ ، والوافى بالوفيات ٣٩/٢ ، و «المحمدون»
للقفطي (ط . معامري) ، ص ١٩ ، الخ . . .

والبيت الأول في « الوافى » و د معجم الشعراء ، :

أنا شاكر أنا ذاكر أنا ناشر أنا جائع أنا راجل أنا عارى
وفي «المحمدون» أنا حامد ، بدلا من أنا ناشر .

وفي المستطرف ١٤٧/١ حكاية طويلة عن « حذيفة المرعى رضى الله
عنه ، وكان قد خدم إبراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة ، فقل له ما أعجب
ما رأيت من ؟ فقال : بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما ، فدخلنا الكوفة فأوينا
إلى مسجد خرب فنظر إلى إبراهيم وقال : يا حذيفة : على بدواة وقرطاس ،
فأحضرتها إليه فكتب رقعة لك أسلمها إلى أول من ألتقى به في الطريق ، وقال :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى »

إلى آخر القصة . . .

(٥) من الأشعار الأخرى الواردة في الديوان أبيات أزلها :

الحمد لله ليس لي نشب لا ورق حزته ولا ذهب

غير أن نفس الأبيات المذكورة في ديوان أبي نواس (ط. غزالي) ص ٣٧
وينص الشارح على أن الصولى عدها من المنحول على أبي نواس .

(٦) نشير هنا إلى أبياته التي أزلها :

الفسر في الرزق كيف يأتي شيء به تعب القلوب

ومنها :

فان ألمت بك الرزايا او قرعت بابك الخطوب
فجانب الناس وادع من لا تكشف إلا به الخطوب
ونختمها ببیت عبيد بن الأبرص :
(من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب)

(٧) أبو طاهر أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة (بكسر السين) ،
الأصفهاني . . مولده في جروان ، من هري أصفهان وينسب إلى جده سلفة (ولا
علاقة لهذا النسب بقبيلة سلفة البمينيه . التي يذكرها ياقوت في « معجم البلدان » ،
٣/ ٣٢٨) ولا يعرف بالضبط تاريخ مولده ، إلا أن الأرجح أنه ولد نحو سنة
٤٧٥ ، استنادا إلى ما ذكر من أنه قال : وأذكر مقتل نظام الملك في سنة ٤٨٥ ،
وكان لي من العمر حدود عشر سنوات . .

وبدأ أبو طاهر في طلب العلم صغيرا ، وظهر نبوغه في علم الحديث منذ حداثة
حقى ان الناس كانوا يكتبون عنه وعمره سبع عشرة سنة ، ثم أخذ يلتقل في مختلف
الأمصار طلبا للعلم ، فدرس في بغداد ، وتلقى فيها علوم اللغة على يد الخطيب التبريزي

وغيره كما تلمذ فيها على أبي الحسن المهراس ، وروى عن ابن السراج ، ثم ترك بغداد وسمع بالكوفة وبالمدينة ، وطوف في مدن الجبال والدينور وقزوين ونهاوند وأذربيجان ونصيبين حتى وصل إلى آمد ، ثم تركها ورحل إلى دمشق ، سنة ٥٠٩ ، وبقي فيها نحو عامين ، وغادرها بعد ذلك إلى صور ، ولم يمكث فيها طويلا إذ أنه لا يلبث أن يستقل البحر ميما صوب الاسكندرية حيث سيلبث فيها إلى وفاته ، سنة ٥٧٦ هـ .

وللساني مؤلفات عديدة من بينها : « السداسيات » ، في الحديث ، و « معجم الشيوخ » ، وذكر فيها أكثر من ٦٠٠ شيخ من شيوخه ، و « المشيخة البغدادية » ، و « معجم السفر » ، ويعد من أهم مؤلفاته وذكر فيه نحو ألفي عالم التقى بهم أو ترأسل وإياهم ، و « السلفيات في الحديث » ، و « شرح القراءات » ، في الحديث ، و « الأربعين البادانية » ، وجمع فيه أربعين حديثا سمعها عن أربعين شيخا ، في أربعين مدينة ، له مختارات عديدة في الحديث .

· انظر عنه « وفيات الاعيان » ، سيرة رقم ٤٣ ، « طبقات الشافعية الكبرى ٤٣/٤ » ، « شذرات الذهب » ، ٢٥٥/٤ ، « البداية والنهاية » ، ٣١٧/١٢ ، « الروضتين ٦٦٩/١ » ، « النجوم الزاهرة » ٨٧/٦ ، « الكامل » لابن الاثير ٢١٢/١١ ، « مفرج الكروب » ، ٥٦/٢ ، « أزهار الرياض » ، ١٦٧/٣ ، « الانساب » ، للسمعاني (مادة سلفة) « مرآة الزمان » ، ٣٦١/١ « طبقات فقهاء اليمن » ، ٢٢١ ، « حسن المحاضرة » ، ٢٢٩/٢ « كشف الظنون » ، ٥٤/١ ، ٢٩٣/١ ، ٥٨٧/٢ ، ١٨٦/٣ .

ولمحمد محمود زيتون كتاب مستقل عنه ، صدر بالاسكندرية ، وكتاب آخر للدكتور حسن عبد الحميد صالح (بيروت) وكتب عنه د. الشيال في « اعلام الاسكندرية » ، وأحمد بدوي في « الحياة العقلية » ، وإحسان عباس في مقدمة « أخبار وتراجم » .

أندلسية» وهو فصلة من «معجم السفر» .

(٨) يشير ابن قلاؤس في بعض شعره إلى أن ابن خليف هذا ينتمي إلى أصل عربي صميم . فمن ذلك « ترفع ببنى سعد ذرى شرف ، و «مفاخر قد خصصتم باجذام بها» .

(٩) لقد استنتجنا ذلك مما وجدنا من دلائل أشرنا لبعضها ، ولم تتعرض المصادر والمراجع جميعا لهذه القضية .

ولعل اشتغاله بفسخ دواوين الشعراء كان من أبرز العوامل التي نمت ملكته وقوت محفوظته ، وجعلته — في الوقت ذاته — قادرا على تتبع انتحالات سراق الشعر ، فمن ذلك ما كتبه على أبيات لرجل ينتحل الأشعار يتكسب بها :

يا أمير الذكاء يا ابن خليف أظهر الشعر في يدك اللصوصا

ومن ذلك ما كتبه ، على أبيات لرجل منتحل يعرف بابن سليم ، وما دكتب بها على أبيات رجل منتحل يعرف بابي جمران السقطي ، وما دكتب بها على أبيات رجل منتحل يعرف بعواض ، الخ . .

(١٠) اعتبرت معظم المراجع الحديثة أن «الزهري» نسبة للأزهر الشريف ، ولا نجد أقل إشارة عن ذلك في المصادر القديمة التي ذكرناها ، وفي كتب الأسباب ذكر لاكثر من «زهري» لا علاقة له بالأزهر الشريف ، انظر الباب لابن الأثير ج ١ ص ٤٨ .

(١١) يقول الفيلسوفندي في صبحه (٥١/٥) إن لقب القاضي لم يكن وقفا على القضاة بل كان يطلق كذلك على «أرباب الاقلام في الجملة سواء كان صاحب اللقب متصديا لهذه الوظيفة أو غيرها» .

(١٢) لعل ما في الديوان حول هذه المدرسة قد أصابه التعديل لأمر من الأمور ، ويكون أصل البيت الأول :

يد العادل المنصور . . . الخ .

وعلى ذلك تكون الأبيات قد قيلت قبل سنة ٥٤٨ هـ ، لأن الملك العادل قتل في تلك السنة . لكن المشكلة أن سن الشاعر تكون حينذاك ستة عشر عاما أو أقل (لأنه ولد سنة ٥٣٢ هـ) والأبيات تشي ببراعة فنية تعلوا على مستوى من كان في مثل هذه السن .

(١٣) كان محمد بن تومرت ، رأس الموحدين ، قد اختار قبل موته عبد المؤمن بن علي لكي يكون خليفته ، وجعله على رأس جيوشه .

وبعد موت ابن تومرت سنة ٥٢٤ هـ قاد عبد المؤمن جيوش الدولة الموحدية بمحنة وبأس حتى استطاع أن يستولي على المغرب كله ويقضى على دولة المرابطين ، ولم يكتف بذلك بل اتجه إلى الأندلس واستولى على كثير من أنحائها وقضى على كل نفوذ النورمان في تونس والمهدية وسفاحس وقابس . وفي سنة ٥٥٨ هـ خرج بقصد الفتح حتى وصل إلى مدينة سلا ، وظل ينتظر هناك حتى تكتمل عساكره ، غير أن العلة داهمته هناك فمات في جمادى الآخرة من تلك السنة ، وتولى ابنه أبو يعقوب يوسف ملك دولة الموحدين من بعده .

أنظر عنه : وفيات الأعيان ، ٤٠٢ / ٢ ، د النجوم الزاهرة ، ٢٦٣ / ٥ ،
والروضتين ١ / ٤٠٢ ، د الجامع المختصر ، لابن الساعي ٨ / ٩ .

(١٥) كان أبوه يشغل منصب د صاحب الباب ، أيام الخليفة الحافظ ، وناب عنه مدة ثلاثة أشهر في خلال مرض الخليفة ، وعرضت عليه الوزارة فأبأها ، ثم عين واليا على الصعيد الأعلى بقوص ، ولما كوتب الصالح بن رزيك لكي يخاض

القاهرة من شر وزيرها عياس لم يقدم الصالح على الخروج من قبل أن يستشير ناصر الدولة أما ابنه واثاب فلا توجد عنه معلومات تذكر ، والنص الذي يسوقه ابن قلاقس يحزم بأنه أصبح من أعوان شاور .

وانظر « النجوم الزاهرة » ، ٣١١/٥ .

(١٦) 'ترد هذه المراثية في كل من مخطوطة باريس ومخطوطة دبلن (رقم ٣٨٠٠٠) على انها في رثاء ضرغام بن سوار ، أما « ترسل ابن قلاقس » ففيه أن هذه القصيدة وكذلك قصيدته :

شق الكمال عليه ثوب سواده وافاض طرف المجد ماء فواده

قيلتا في رثاء (الملك المنصور) ، بينما يذكر الديوان ان قصيدة « شق الكمال » قيلت في رثاء « ابن رجا الصقلي » .

والمشكلة أن لقب « الملك المنصور » مشترك بين ضرغام وبين أسد الدين شيركوه ، والذي نرجحه أن الشاعر قال القصيدتين في رثاء ضرغام غير أنه كتم أمرهما خوفا من بعث شاور ، ثم أذاعها بعد ذلك ، على أساس أنه يرثى بالاولى الملك المنصور شيركوه وبالثانية ابن رجا ، وكان قاضيا على صقلية ، وتوفي سنة ٥٦٢ هـ .

(١٧) يشير لشاعر في بعض قصائده إلى نحوله أو لأنه بلا لحية ، فمن ذلك :

ومن العجائب أن نخدى مجذب وعليه من ميل الدموع رذاذ
أو قوله :

لي كالنخلة السموق — ديت غير أني — كما علت — النواتا
ولو أني قدفت يوم — ا حصاة بيدي فطوق أصبت الحصاتا

وكذلك قوله يصف نفسه :

إن كان كالنبيع عريانا بلا ممر فثله هو ط——لاع على القنن
ويقول في موضع آخر :

لا تغـرنك اللاحى من أناس درجوا كالجـير تحت الخال
والـن خف عارضى فإنى لا أبان بهـكل وانى السبال ا

وبعض المصادر التى ذكرناها تقول انه هجى كثيرا بسبب جرده هذا ، غير
أننا لم نجد شيئا من هذا الهجاء .

وما يتصل بصورته البدنية كثرة الأخبار والنصوص التى تشير إلى مرضه فمن
ذلك ما يرويه ابن ظافر فى « بدائع البدائى » : « أخبرنى الفقيه أبو الحسن على
ابن الطوس المعروف بابن السيورى ، قال : دخلت على الأديب الأعز أبى الفتوح
ابن قلاقس وهو مريض فقال : قد صنعت بيتين بديها فى الحمى ووصفتها بأحسن
من صفة أبى الطيب فاستنشدته إياهما فأشدهما :

ويغضنة تدنو وما دعيت فتييت بين الجلد والسكن
يصبو الفؤاد لبيتها فاذا ولت بكأما سائر البدن

هذه رواية ابن ظافر ، أما الصفدى فى الوافى فيذكر بدلا من العجزين فى
البيتين :
« فتييت بين الخلب الكبد ،
و « ولت بكأما سائر الجسد »

وابن قلاقس يشير إلى بيتى المتنبى :

وزائرئى كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاقتها وباتت فى عظامي
من قصيدته « ملومكا يجل عن الملام »

وبما قاله المرض ورواه عنه الأمير نجم الدين بن مصال والى الاسكندرية
نكست في الأمراض بـ — د إفاقي فكس الم — لال
والرأس مثل الك — أس لو لا ع — لة فالت — خالى
وله فى الديوان قصيدة يمانب فيها صديقا لانه أبطأ عن زيارته عند مرضه وبعض
مقطعات فى مدح طبيب يدعى عبد العزيز بن فارس الطبيب ، ويشير فى كتاب
ترسله إلى حالات مرضه وضعفه .

(١٨) أبو المنجم (نشو الملك على بن المفرج) — وبعض المصادر تلقبه بـ
« نشو الدولة » قال عنه العماد : « سمعت القاضى أبا القاسم حمزة بن عثمان ،
سنة إحدى وسبعين (وخمسمائة) بدمشق ، وقد أوفد اليها (ابن المنجم) فى
 مهمة ، يقول : « حضر شاب مبرز فى الشعر مجيد . . وإنما أفسد حاله أنه ضمن
 الصابون والملاهى ، وارتكب العسف والمناهى فاستغاثوا منه ، واستعدوا عليه . .
 فعذب بالنفى إلى عيذاب ، ثم وصل إلى الشام ، فى خدمة الملك المعظم توران
 شاه بن أيوب من اليمن ، فلقبته . . » .

وقال السيوطى ، كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه ، مدح الملوك والوزراء
وفيه فضائل ، وأما ابن أصيبعة فيقول إنه « كان شاعرا مشهورا خبيث اللسان »
ويذكر ابن تغرى بردى أنه مغربى الأصل ، مصرى المولد والوفاة ، ويورد أن
صلاح الدين الأيوبي كان معجبا بشعره .

انظر عنه « الخريدة » ، ١٦٨/١ (القسم المصرى) « حسن المحاضرة » ،
٣٢٦/١ « مسالك الأبصار » ، مجلد ١٢ قسم ، لوحة ١١٧ ، « أعيان العصر
١١٣/٢ ، « النجوم الزاهرة » ، ٥٦/٦ (وفيات الأعيان) — ضمن ترجمة
أسامة بن منقذ .

(١٩) النص في ديوانه (نسخة باريس) وفي مختارات ابن نباتة ، ويذكره
الصفدي في «التلخيص» إلى التشبيه «ورقه ١٧ ط ، وفي «الوفيات» ، ورقة
٢٣٧ و ، وفي خطط «المقريزي ١٠٣ وفي بدائع البدائع ٢٤٤/١ مع تفصيلات .
(٢٠) وجيه الدين ، أبو الحسن علي بن يحيى بن أحمد الملقب بابن الذروي
شاعر مصري ينسب إلى ذروة ، من بلاد اليمن ، ويروي ابن خلكان أن ذليته :
لك الخير عرج بي على ربهم فندى ربوع يفوح المسك من عرفها الشذى
«سارت مسار الأمثال» ، وأما أبو شامة فيقول : «وما أظن أنه نظم على
قافية إلذال أرق منها عنها لفظا وأدق» .

وابن الذروي هو صاحب البيت المشهور :

أقام يعمل أياما قريحته وفسر الماء بعد الجهد بالماء
ويقول السيوطي إنه «من مشاهير الشعراء بمصر ، كان فاضلا نبيلًا ، ذا
معرفة تامة ، له نظم فائق وشعر رائع» .

وتدل ترجمته في «الخريدة» و «بدائع البدائع» وغيرها على أنه كان من
أصحاب ابن قلاؤس وابن المنجم وابن وزير وابن عماتى ، وكانت لهم مجالس الو
ومناديات كثيرة . وللذروي مدائح في العاضد وصلاح الدين والقاضى الفاضل
وغير هؤلاء .

وتوفي ابن الذروي سنم ٥٧٧ ، وهو فى نحو الأربعين .

انظر عنه الخريدة ٥٥٥/١ ، «حسن المحاضرة» ، ٣٢٦/١ ، «بدائع البدائع»
— مواضع متفرقة — ، «مسالك الأبصار» ، مجلد ١٢ القسم الأول لوحة ١٠٦ ،
«وفيات الأعيان» ، خلال «سيرة سيف الدولة بن منقذ» — سيرة ٥٢٥ «النجوم
الزاهرة» ، ٥٦/٦ ، «أعيان العصر» ٢١٩/٢ .

(٢١) لم نعث على شيء عنه في كل مامر من مصادر .

(٢٢) ذكر ياقوت أنه « من أهل آبه ، من ناحية برقة ، وسافر إلى اليمن تاجرا ، واجتمع بأبي بكر العيدى (فى الاصل : السعيدى) بعدن ، وحدثنى المولى المفضل بقصته مع العيدى عنه وقال انه سمعها منه ، ثم قدم الاسكندرية ، وقام بها ، فجرى بينه وبين القاضى شرف الدين عبد الرحمن ، ابن قاضى الاسكندرية ، ما أحوجه إلى قدومه إلى القاهرة ، وشكا منه إلى الصاحب صفى الدين ابن شكر يشكه (أى لم يزل شكواه) فأقام بالقاهرة إلى أن مات . وكان شكواه من قطع رزقه من مسجد كان يصلى فيه أو نحو ذلك . وكان قدومه إلى القاهرة سنة ست وستين وخمسة ، ومات بعد ذلك فى نحو سنة ثمان وتسعين ، وصنف كتابا فى النحو رأيت بخطه ، وهى مسائل منشورة . »

وقد أوردنا معظم ما ذكره عنه ياقوت فى « معجم الأدباء » ، ٥٥/٥ ط .
الرفاعى) لأنه المصدر الرئيسى عنه ، وأما ما أورده السيوطى فى « بغية الوعاة »
ص ١٦٩ فلا يبعد أن يكون تلخيصا لما فى « معجم الأدباء » .

وفى بقية ما ذكره ياقوت شيء من شعره الآبى ، وهو شعر متوسط المستوى ،
وذكر أيضا أنه كان يتردد على مجالس أبى الحجاج يوسف بن خلل ، كاتب الإلشاء .
وفى ترسل ابن قلاؤس مواضع كثيرة يرد فيها اسم أحمد الآبى هذا .

(٢٣) من خيرة قصائد الشاعر فى القاضى الجليل مدحته :

عفا طربى إلى حافى الهشيم فلا روى الغمام ربي الخميم

ومنها ، وقد فرغ من وصف الرحلة ، يذكر أن ناقتة :

إلى الشيخ الجليل استتمضتها أزمة نجدة وحداة خيم

فقال لها لسان الدهر هذا تمام الفضل أودع فى تميم

عجبت لوجهه — ولراحتيه سنا شمس تبدت في غيوم
ولا بن قلاقس مدائح في شخص آخر من أسرة ابن الحباب ، هو جمال الملك
أبو القاسم عبد الرحمن بن الحباب ، وكان قاضيا بالاسكندرية .

(٢٤) وفي الديوان (مخطوطة باريس) قصيدة يتصدرها : « وقال يمدح
الحافظ السلفي ويذكر شاورا ويعرض بالقاضى الفاضل ، ومطلعها :

تعود الطرد بها والطراد أى جواد فوق متن الجواد
ومعظم هذه القصيدة في مدح الفاضل

(٢٥) كانت جماعات كثيرة من بنى سبنس تقطن على مقربة من هرم سقارة ،
وطوائف بدمياط وسنخا والصعيد .

وانظر القلقشندي في « نهاية الأرب » ، ص ٢٤٥ ، و « اللباب » ، ٥٦٨/١ ،
و « تاريخ مصر » ، لابن ميسر ، حوادث سنة ٤٦١ هـ ، ١٩/٢ ، والخريدة
١١٣/٢ (القسم المصرى) .

الفصل الثالث

الرحلة الصقلية

رأيتنا فيما مر بنا عن شاعرنا كيف أنه كان واسع الطموح متقلب الأهواء ، نزاعا إلى الرحلة والمغامرة ، ساخطا على الأقدار لأنها تمنع عنه ما يرى أنه أهل له ، وعرفنا شيئا عن مدائمه في رحلات الاسكندرية والقاهرة وصعيد مصر ، ولم يكن ذلك كله الا تمهيدا لرحلات أخرى أبعد مدى وأوسع طموحا .

وليس غريبا أن يفكر هو أو يفكر غيره من رجال الادب في الهجرة والابتعاد عن مصر ، لأن المناخ السياسي كان مدلهما غائما ينفي بالقلائل والمحن ، وفي مثل هذا الجو المضطرب تنصرف الأذهان عن الشعر وأهله ، وقد صور ذلك العبد الاصفهاني أصدق تصوير حين بين كيف أنه — بعد مقتل طلائع بن رزيك — « انكشف شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سعر الشعر ، وانخفض علم العلم ، وضاق فضاء الفضل ، واتسع جاد الجمل ، وانحل نظام أهل النظم ، وانتشر عقد ذوى النثر ، واستشعر الطاقة الشعراء ، وعدم البلغة البلغاء ، وعد الفضل فضولا ، والعقل عقولا . . . وطفق فضلاء الحضرة يغيبون لحضور الناقصين فلم تزل مصر بعده منحوسة الحظ منسوخة الجد ، (١) .

وقد اختار الشاعر أن يتجه بآماله الكبار ، إلى صقلية (٢) ، ومن البديهي أن نتساءل نحن الآن : ولم فكر في الذهاب لصقلية على وجه التحديد ؟

وربما أمكن التوصل إلى جواب ، ولو نسبي ، إذا ما نظرنا لبيئة الإسكندرية بنحو عام ، وإلى مجلس الحفاظ السابق بنحو خاص ، فقد كانت الإسكندرية مركزا من أهم مراكز التجارة في البحر الأبيض ، كما كانت محط رحال الوافدين من

الاندلس والمغرب وصقلية أو العائدين إلى هذه الاصقاع ، وكانت جموع العلماء وطلاب العلم تتدفق على مجالس السلفى ، حتى إذا ما عاد هؤلاء لديارهم كاتبوه وكاتبه غيرهم من علمائهم وأهل الفضل والرياسة فيهم .

وليس بعيد أن يكون ابن قلاقس قد التقى بعدد من أبناء صقلية من قدموا للمشرق بقصد الحج أو التجارة أو طلب العلم ، وزين له نفر منهم أن يؤم بلادهم ، وتجاوبت كلماتهم مع خواج نفسه ، لاسيما وهو ابن الثغر العتيد ، وقد درج منذ طفولته على أن يمد يصره عبر أمواه البحر ، وعلى أن يرى السفن تجيء وتمضى فتد كي في خياله الشوق للمغامرة والجهاد والثراء .

كان سلطان المسلمين قد زال آنذاك عن صقلية ، إذ كان النورمان قد استولوا عليها سنة ٤٤٤ هـ غير أن المسلمين ظلوا حتى ذلك العهد (سنة ٥٦٣) يشكون الأغلبية السكانية في الجزيرة ، وكان عدد منهم يتولى أعلى المناصب في الحكومة النورمانية (٣) ، وكانوا في معظم الأحوال وخاصة في المدن ، يحظون بمعاملة عادلة وها هو ابن الاثير يقول عن روجار الاول — أول ملوك صقلية من النورمان : — « ولما صار أمرها إليه ، واستقر به سرير ملكه . نشر سيرة العدل في أهلها ، وأقرم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم » (٤) .

وفي عهد غليالم الثانى (وايم الثانى) — مدوح ابن قلاقس — زار ابن جبير صقلية ، وكتب يقول إن الجزيرة معجورة بعجدة الصليبان . . والمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم ، قد أحسنوا السيرة في استعمالهم واصطناعهم ، (٥) وكان غليالم هذا يعرف بالطيب ، وقد تولى الملك سنة ١١٦٦ م ولم يكن قد بلغ سن الرشد بعد ، ومن ثم تولت أمه الوصاية عليه ، واتخذت لها مستشارا يدعى اسطفانو .

وبما يلفت النظر أن هذا الملك النورماندى قد نشأ محبا للعربية وكان يحسنها
قراءة وكتابة ، وجعل علامته : الحمد لله حق حمده ، على نحو ما ذكر ابن جبير ،
ويذكرون أنه نقش على قصره :

تأمل وقف تر خير ايوان لخير ملوك الارض غليالم الثانى

وفى عهده كان يتزعم المسلمين أبو القاسم بن الحजर ، ويورد إحسان عباس
نقلا عن هوجو فلقندو ، أن مسلمى الجزيرة كانوا منحرفين عن غليالم بتأثير من
ابن القاسم ، الذى حز فى نفسه أن يرى المستشار اسطفانو ينحاز إلى جانب
منافسه ابن السديد (٦) .

وكان كل من هذين الزعيمين على صلة بالحافظ السافى ، ونحن نرى فى ديوان
ابن قلافس قصيدة مطلعها :

عرضت لمعرض الصباح الأبلح حوراء فى طرف الظلام الأدعج

وتصدرها فى الديوان (مخطوطة باريس) العبارة التالية : وقال يمدح الفقيه
السديد أبو المكارم هبة الله الحصرى ، وكتب بها إليه من الاسكندرية يهنئوه
بالعيد سنة خمس وخمسين وخميس مائه ، وأما فى مخطوطة دبلن (٧) فنجد نفس
القصيدة تسبقها جملة تقول : . . . كتبت إليه قديما من الاسكندرية ، قبل
اجتماعى به بصقلية ، وكان قد مدح قبل ذلك الشيخ الفقيه الحافظ . . .

وفى تلك القصيدة يصور الشاعر بؤسه وسهده وأمانيه :

لا تنكرن على عادية الأسى	فالحب كأس خمرها لم يمزج
أورحت فى سمل الشياب فإنق	كالغضب يغرى وهورث المنسج
ولقد صحبت الليل قلص برده	لعباب بحر صباحه المتعوج
وسمرت ارقب من سميل خافقا	متفردا فكأنه قلب الشجى

واستعبرت مقل الخرام فأضحكت منها ثغور مفوف ومـديج
وفضضت عن مدح السيد ختامها فغثيت عن زهر الربى المتأرج
ودعوت ياهبة الإله فقال لي لفظ النجاح الهج بذلك تنهج
هو كعبة الأفضال إلى أنـها بعدت ومن لم يستطيع ولم يحجج
وللشاعر قصيدة بعث بها سنة إحدى وستين وخمسمائة إلى أبي القاسم بن
الحجر ، أوامها :

أرقصها مطرب الاغاريد فاسترقت هزة الاماليد
ودب خمر السرى بأذرعها فهي على البيد في عرايد

ولم تصل إلينا هذه المدحة كاملة ولكن العهد الاصفهاني يورد منها في الخريدة
ثلاثة وثلاثين بيتا ، ومن أبياتها في مدح ابن الحجر :

قد أقسم الحمد لا يسير إلى غير أبي القاسم بن حمود
في يـده للنسوال معركة أرى بها البخل صارم الجيد

ومنها ، وفيه دلالة على أن ابن الحجر كان له باع في شؤون التحرير وأعمال
الدواوين :

وتلتقى كتبه الكنائس في جيش من الخط صائد الصيد
بـكل لفظ كأنه نفس غير محل بطول ترديد

هذان قصيدتان مدح بهما الشاعر بعض رجالات صقلية قبل أن يصل إليها ،
ولا نعرف شيئا عن الظروف التي دعته لمدح السيد وابن حجر ولعله سمع وهو
في مجالس السلفي عن مكانتهما وثرائهما ، كذلك لا نعرف إلا النزر اليسير عن السيد
الذي مدحه الشاعر من قبل أن يراه ، ولا نعلم إن كان هو نفسه منافس ابن الحجر
على زعامة مسلمي صقلية أم لا .

ولنصل الآن إليه والسفينة تمضى به تمخر العباب، والآمال تمجيش في صدره،
والأمواج تهدأ طورا وتشور أطوارا، ولدينا في وصف حالته تلك قصيدة من
غرر أشعاره، كتبها في أثناء الرحلة (١)، وارسلها إلى أستاذة السافى من صقلية،
وقدم لها بقوله:

«إني لما تسنمت الأمواج في ذات الألواح، وتفسمت من ذات الأرواح،
قلت بالسلامة إما ميلاد ومعاد، أو يوم معاد، وعجبت من حالى، فى حلى وترحالى،
فتشوقت الوطن والوطر، وكلفت الخاطر وصف ذلك فقال،:

وأول القصيدة:

لو لم يحرم على الأيام إنجادهى	ما وصلت بين إتهامى وإنجادهى
طورا أسير مع الحيتان فى لجج	وتارة فى الفيافي بين آماد
إما بطائرة فى ذا وطارمة	أو فى قتاد على هذا واقساد
وما أسير إلى روم ولا عرب	لكن لريح وإبراق وإرعاد
أقلعت والبحر قد لانت شكائمه	جدا، وأقلع عن موج وازدباد
فعاد لا عاد — ذا ريج مدمرة	كانها أخت ذلك الريح فى عاد

ثم يمضى مصورا العاصفة والأمواج التى ترتفع حتى تطاول السماء وحاله وهو
قابع فى جرف السفينة كأنه «موسد فى لحد»، ورفاق السفر من حوله ركع سجود
وما كانوا أهل ورع وتقى، ولكنه الهلع والتأهب لملاقاة الموت، وفى هذا
الخصم الصاخب ترفرف على الشاعر أطياف الاسكندرية فيحن إلى معالمها التى
توارت عن عينيه، ويذشد:

متى تنور آفاق المنارة لى	بكوكب فى ظلام الليل وقاد
والحظ الشرفات البيض مشرقة	كالبيض مشرقة فى هام انجاد

وأستعد من الباب القديم هوى عن الكنيسة فيه جل إسنادى
بحيث أنشد آثار وأنشدها فيبلغ القدر نشداني وإنشادى
والقصر فالنخل فالجاء بينهما (٩) فالأثل فالقضببان الخضر فالوادی
مق تقرر ديار الظاعنين بهم والبين يطلبهم بالماء والمزاد ؟

ويكون الوصول في النهاية إلى ميناء مسيني بصقلية ، فهل سار منها مباشرة
إلى العاصمة بالرم (١٠) ؟ لسنا نملك تفصيلات عما كان من أمره عقيب وصوله ،
لكن الثابت أنه نظم مدحة في غليالم الثاني (١١) . وقد ذكر ابن ميسر أن درجار
كان يحب مديح الشعراء ويحيزهم . فذهب إليه جماعة من الشعراء ومدحوه ، منهم
ابن قلاقس ، وأمر أن يصنف له تاريخ فصنف له تاريخ كبير ، وهذا وهم من
ابن ميسر فشاعرونا لم يصل إلى صقلية إلا سنة ٥٦٣ هـ ، أى بعد موت درجار بأمد
طويل ، ولم يمدح من ملوكها إلا غليالم الثاني ، وقد عثرنا له على قصيدة يقول فيها :

يقر لغليم المليك ابن غليم سليمان في ملك داود في حكم
وتخدمه الأفلاك بالسعد في العدا فتسطو بسيف البرق أو حربة النجم
وما الملك إلا للذى قالت العدا هو الغيث إذ يهيم هو الليث إذ يحمي
ففاز بنور الزب يدعو إلى الهدى ويحي لنا الموتى ويبرى من السقم
وزاد على الفضل المسيحي بالذى يعلمه حد الحسام من الحسم

ويكشف في ختام القصيدة عن تشوفه للعطاء الجزيل :

مدحك إيقاناً بأنك ملبسى من الفخر ما أنجوبه من يد النهم
وأصبح صرف الدهر في طوع خادى وقد كان يبدى لي مخالفة النهم

وهذه القصيدة تعد من الأعمال القليلة التي نرى فيها شاعراً مسلماً يمدح ملكاً

مسيحيا (١٢) وإن كانت صقلية قد شهدت من قبل عددا من الشعراء الذين مدحوا الماوك النورمان، ومن هؤلاء ابن بشرون صاحب المختار من النظم والنثر في أفاضل أهل العصر، وقد مدح روجار الثاني، ومنهم شاعر يدعى المالطى وصفه ابن بشرون بأنه « استنزف جهده في مدح روجار » ويقول العماد في القسم الصقلى من « الخريدة » وهو يتحدث عن قصيدتين قيلتا في مدح روجار : « واقتصرت من القصيدتين على ما أوردته ، لأنها في مدح الكفار فإثباته » ، واستعمل ابن قلاقس في قصيدته هذه طائفة من التعبيرات المستغربة (١٣) من شيخ فقيه وأوقعه الطمع في مزاق كان حريا به أن يترفع عنها .

ولا نعرف بم كوفى الشاعر على مدحه ، والصفدى يسجل أن الملك نفح ابن قلاقس مركبا يملوا جبنائحين اعتزم العودة إلى دياره ، فهل كانت هذه المركب هي كل ما ناله من غليالم الثانى ؟

وفى البلاط الملكى يلتقى الشاعر بعدد من كبار رجال الدولة ، من بينهم واحد يلقبه بـ « جردن » وزير صاحب صقلية ، وإن كان جردن هذا يبقى غير معروف للمؤرخين إذ أن « التاريخ لا يسمي إلا اسطفان المستشار عند والده غليالم ، الذى كان بمرتبة الوزير ، ولكن إذا صدقنا ابن جبير الذى يتحدث عن وزراء غليالم بصيغة الجمع ، لم نستبعد أن يكون هناك وزراء كثيرون لغليالم ، ولا يبعد أن يكون جردانو واحدا منهم ، بل ربما كان الأرجح أن جردانو وكثيرون غيره كانوا أعضاء المجلس Curia فى بلاط الملك ، واذن فيكون جردانو أحد أولئك الأعوان الشيوخ » (١٤) .

والشاعر يتحدث كذلك عن شخص يسميه القائد غارات بن جومن ، خاصة المملكة الغليامية « ويلقبه بـ » الحضرة السامية الأجلية العلمية القائدية الشجاعة »

ويذكر في رسالة له أنه وفارق جنابها الكريم عتلى اليد نعمة والقم نعمة، والخاطر
آمالا، والناظر أموالا، اصطناعا منها، وتقضلا أبي الله إلا أن يصدر عنها، .
ولا نستبعد أن يكون غارات هو «جردن»، نفسه (أو Giordano) وفقا لنطق
بعض مسلمي الجزيرة، وبما قاله شاعرنا في مدح جردن هذا :

جرت خيل النسيم على الغدير	وردت تحت قسطة العبير
وعب الصبح في كأس الثريا	وكان براحة القمر المنير
وقام على جبين شمس يهفو	كما يهفو اللواء على أمير
فردنا المدائح فاستقرت	على أعطاف جردنا الوزير
وأعجب ما جرى أنا آمنا	ونحن بجانب الليث المصور

ولكن صلات الشاعر الوطيدة لا تتجلى إلا بمسلى الجزيرة من أمثال أبي
القاسم بن الحجر وهبة الله بن الحصري وابن فاتح الفقيه، قاضي صقلية، والشاعر
ابن خلف الأموي .

ومن مدائحه في القاضي السديد هبة الله بن الحصري قصيدته :

أروه الجلائر من الخدود	وأخفوا عنه رمان النهود
وفيها يبدأ بالغزل ثم يثنى بالحديث عن مصر ونخصبها ونعيمها إلى أن يتسامل :	
موارد بي لها عطش شديد	ولكن لا سبيل إلى الورود
هل الرأي السديد البعد عنها؟	نعم، إن كان للشيخ السديد
معي خلع الشاء وليس منها	خليع إن عزمت على الجديد

وفكرة الحنين إلى وطنه تتجلى كذلك في قصيدته :

رحلوا وهم بين الضلوع حاول فأنحل عقد ساوة محـاول

وفيها يمزج حنينه بالفخر، لينتقل بعد ذلك إلى إنجاز المديح في الشيخ السديد :

ومئات أسماع الملوك غرائبها سارت بها الأمثال وهي مشول
غيرى يقال له ازدهاه منزل وزها له المشروب والمأكول
لو كان ذلك سكنت من نهضى مصر وبلبل من صدائ النيل
وتركت بالفسطاط ملكا وجهه متلثا والقول فيه جميل
لكن سمعت عن السديد وفعله فأنتهه لأريه كيف أقول

وفي « الترسل » نص رسالة بعث بها شاعرنا إلى السديد بن الحصرى يلقيه
فيها بصاحب « المجلس السامى » ، وكان ذلك في شهر رمضان ، ولذا يدعو الشاعر
الله أن يعين ممدوحه على صيامه ، وأن يتداركه بحلول شوال ، غير أنه
لا يلبث أن يشعر بأنه تجاوز الحد ، ومن ثم يستغفر عن مزح جرى به
القلم ، ونطق به الفم ، (١٥) .

وإذا ما انتقلنا لابن الحجر ، وجدنا أنفسنا أمام شخصية مبروقة في التاريخ ،
فقد تحدث عنه الهروى في كتابه « الإشارات » ، وأهدى إليه ابن ظفر الصقل
كتاب « الشمير » سلوان المطاع » ، كما أن ابن جبير تناوله في رحلته ، وكان قد التقى
به في مدينة إطرابنش (ترابانى الآن) وقال عنه إنه :

« زعيم أهل هذه الجزيرة من المسلمين وسيدهم » (٦) وهذا الرجل من أهل
بليت بهذه الجزيرة توارثوا السيادة كابرا عن كابر ، وقرر لدينا مع ذلك أنه من
أهل العمل الصالح ، مرید للخير ، محب في أهله ، كثير الصنائع الأخروية من
افتكالك الأسارى وبت الصدقات في الغرباء والمنقطعين من الحجاج ، ويحدثنا
ابن جبير كذلك أن أبا القاسم بن الحجر كان قد تعرض فترة من الزمن للمصادرة
والعزل من مناصب الدولة ، بسبب ما اتهم به من السعى لإعادة حكم المسلمين
ومكاثبة سلطان الموحدین بالماخرب فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، غير أنه نال

العفو بعد حين ، وأنفذه غليالم الثاني في بعض شئونه الديوانية .

وكان أبو القاسم على حالته الأول من الجاه والثراء لما قصده شاعرنا ، وتدل على ذلك المدائح العديدة ، التي دمجها فيه ، ومن بينها مدحته .

زهري فاعجب لروض ما زهر إلا المباسم والألحاظ والطرر
وفي هدة القصيدة يفخر بنفسه ثم ينشئ إلى المدح فتقول :

ولم اطف بركابي إن نبا وطن ولا أطلت اغترابي إن نأى وطر
لكن بنو الحجر استدعت مكارمهم عزمى وقد كان يستدعى به الحجر
نادى لسان الندى فيهم فأسمعنى فقامت أعبر بحرا كله عبر
هذا أبو القاسم المقسوم نائله ما السيب؟ ما البحر؟ ما الأنهار؟ ما المطر؟

ومن قصائده في ابن الحجر قصيدة :

نعم هو البرق على الأنعم فاشق به إن شئت أو فأنعم
وأخرى مطلعها :

سفرت عنك أوجه الاسفندار وجرت بالمنى إليك الجسوارى

وفيها يصف الترحال وأهواله ، إلى أن ينتهى به السير إلى رحاب ابن الحجر فيلقى لديه الراحة بعد طول العناء ، وينال من عطاياه ما يعوضه عما لاقى من مشقات . ولم ينس أن يشيد بفصاحه ومدوحه ، وبعلمه ومهته في تسيير الأمور ، وقد رجح احسان عباس ، استمادا إلى هذه الابيات وغيرها من شعر ابن قلاقس ، أن ابن الحجر كان صاحب ديوان الإنشاء بالجزيرة ، وليس هذا بمستبعد ، والأشياء الثابتة على كل حال ، أن ابن الحجر كان يشغل مناصبا هاما من مناصب الدولة .

وفي قصائد الشاعر ما يؤكد أو هناك جفوة عرضت فأفسدت العلاقة بينه وبين

ابن الحجر ، غير أنها ما لبثت أن زالت وعاد الصفو بينها من جديد :
قد سعى بى الوشاة نحره علاه فسمعوا لى فلا عدمت الوشاة
ودعا من بلرم حججى فلبى ت وكانت سرقوسة الميقاتا
وامتطيت الفلاة اقتحم الهول ولولاه ما امتطيت الفلاة
فى جبال أرسى الشتاء عليها قاطنا لا يخف عن الشتاء

لم يحدد لنا الشاعر ولا غيره شيئا عن فحوى تلك الوشاية ، وإذا ما صح أن
السديد ، الذى مدحه من قبل هو نفسه منافس ابن الحجر على الزعامة فليس بمستبعد
أن يزين بعض الوشاة لابن الحجر أن يجفوا هذا الشاعر الذى يزجى المدائح فى
خصمه ، ولعل ابن قلافس سعى من جانبه كي يثبت أن علاقته بالسديد علاقة
عارضة ، وعلى كل فإن الأبيات التى مرت تقول إن ابن الحجر ، وكان فى سرقوسة ،
أبلغ شاعرنا ، الذى كان فى العاصمه بلرم ، أن اللبس قد زال ، ودعا للحضور
إليه ، فلم يتوان عن التوجه لرحابه على الرغم من وعورة الطريق وطول الشقة .
ولانسى أن بلرم فى الجانب الغربى من الجزيرة ، بينما تقع سرقوسة فى
أقصى الشرق .

وهذه القصيدة التى مرت ، ومطلعا :

قد عصينا النهى فكيف النهايا وأطعنا الصبر فكيف الصباتا
وهى تعد من أعمال الشاعر المناضجة التى تبيض بالحيوية والحركة ، ولكن هناك
[قصيدة أخرى فى وصف دسأل الارتحال ، تفوق فيها على نفسه ، وقد أبدى بإحسان
عباس تقديره لها فى بحثه عن ابن قلافس فى صقلية فقال : لدينا من هذه القصيدة
قطعة فريدة ، هى قصة فيها شيء كثير من صفات الشعر الجليل ، فيها الإنفعال
والحركة ، وفيها قدرة شاعر ذى دربه فى تقليب الأداء الشعرية فى يديه . كالعجينة

المرنة ، ولم يستطع الموضوع نفسه ، موضوع الرحلة ، أن يقف في مصيبتها بحيث يجعلها جامدة ، ويجعلها حقيقة جغرافية منظومة لأنها استمدت قسما وافرا من حيوية ابن قلاؤس الشاعر العنيف دائما ، (١٧) . وأما مطلع القصيدة — وقد عثرنا على نصها الكامل — فيقول :

أبليت بمدك في الأنام ظنوني فظفرت عندهم بكل ضنين
والشاعر هنا لا يتغزل ولا يصف ولا يسترسل في الحديث عن فعل الخمر في النفوس بل نراه ينطلق كالسهم ، قاصا علينا احوال الرحلة وإجفاف الأيام ، وفي البيتين الثاني والثالث يقول :

وشدوا إلى أمك دون أمك راجعا لولا يقيني في عسالك يقيني
وخرجت أطوى من يلرم صحيفة ما نشرت إلا لكى تطويني
وينمضى به السعى إلى مدينة ثمة ثم يمضى منها إلى جفلاوذ ليغادرها بعد قليل :
أجفلت من جفلاوذ اجفلاو أمرى بالدين يطلب ثم أو بالدين
وتركتها والنوم ينزل راسق عن مال قارون إلى قارون
وجعلت بقطس عن لبرى جانبا وركبت جونا كالليالى الجون
كيف الخلاص إلى ملاص وسورها من حيث درت به يدور قريني
وجعلت أنشد حين أنشد صاحبي من ذا يمسينى على مسينى (١٨)
لكنه فى مسينى لا يلقى الراحة التى كان ينشدها إذ أنه اضطر فيها إلى ملازمة ذلك الذى جرى البرد فى « معطفيه وكفه وكلامه وعجانه المعجون » :

ثم استقلت بى على علائها مجنونة سحبت عسىلى مجنون
هوجاء تقسم والرياح تقودها بالنون أنا من طعمام النون
ونكفلت سرقوسة بأماننا فى ملجأ للخسائفين أمسين

ولم تكن سر قوسه المبهقات ونهاية المطاف كما كانت فى القصيدة السابقة ،
إذ أنه يمضى فى الوصف ، قاصدا علينا أنباء رجوعه برا من سر قوسه إلى بلرم ،
مارا بمدينة لتتين ثم انطلق منها ليحس عبر الجبال الشائخة ، على ظهر جواده ،
إلى أن وصل إلى ثرمة ويم منها صوب بلرم حيث قصر أبى القاسم بن الحجر ،
وإذن فقد جانت اللحظة التى نلتقى فيها بالمقطع المدحى :

يامالى اللست الذى مذ حازه ~~حـ~~ به باسمى هالة وغرين
ومقلد الديوان والايوان من أوصافه بالجوهر المكنون
حاشى خلالك أن تعود مطالي منه إلى بصفقة المخبـون

وهناك بعض قصائد أخرى فى ابن الحجر ، من أبرزها قصيدته :
الحق بنفسج فجرى وردتى شفقتى كافورة الصبغ فتت مسكة الفسق
بدأها بالحديث عن الخمر وما فعلته فى لبه ، وذلك الرشا الفاتن الذى يسعى
بها ، وهو يرنو إليه بعينيه الساحرتين فلا يبقى فيه ولا فى الكأس إلا الرمق ، ثم
تستخدم سورتها ويدب فى أوصاله الخدر ، وتتلاقى فى ذهنه السكران أطياف
الاحلام وظلال الواقع ، ويتملكه الخوف على الاحباب ، ولكن هذا الخوف :

خوف أبو القاسم الارزاق قسمه عنى فقد صبح إفراقى من الفرق
القائد القائد الضدين فى شيم كالماء يجمع بين الرى والشرق
ولعل هذه القصيدة قبلى والشاعر يستعد الرحيل عن صقلية إذ أنه يقول
فى ختامها :

وإن يكن جسم عن ذراك مضى فإن عندك قلبا فى ذراك بقى
ولكن الشاعر قبيل مغادرته للجزيرة يجمع قدرا مما سطر أثناء الرحلة من شعر
ونثر فيتكون له من هذا المجموع كتابا يطلق عليه عنوان الزهر الباسم فى أوصاف

أبى القاسم ، (١٩)، والكتاب مفقود حتى الآن ولكن سلت لنا منه بعض النصوص
مرت بنا إشارات عنها .

ومن النصوص التي وصلت إلينا طائفة من المراسلات الشعرية بين شاعرنا
وشاعر صقل يدعى أبا الحسن هلى بن أبى الفتح بن خلف الاموى ، وهو شخصية
تكاد تكون مجهولة ، ولم يذكر العهد عنها فى القسم المصرى من « الخريدة »
إلا عبارة تقول : « لاشك أنه من ساكنى صقلية » ، فإن ابن قلافس أورده فى
« الزهر الباسم » وقال : هو حدة العلم الناضرة ، وحديقة الأدب الباضرة ، وإنما
ذكرته أنا فى أهل مصر حيث اقتضاه هذا الموضع ، للمكاتبات التي جرت بينه
وبين ابن قلافس ، .

ومن هذه المكاتبات ما بحث به ابن خلف إلى صاحبه حين علم باعتزاه
الرحيل عن صقلية :

ياماجدا طبعه أحلى من الماذى ومن يفوق ذكاء أهل بغداد
وهمت فى رقعة سيرتها عجلا إليك ما بين تليذ وأستاذ
فابسط لى العذر واعلم أننى قلق ذو خاطر انـواكم آلم هاذى
فأجابه ابن قلافس أبيات منها :

هذى المحاسن قد أوتيتها هذى فكل شخص تعاطى شأوها هاذى
أقسمت بالنحل إن النحل قائلة ماذا الحلاوة بما يحسن الماذى
وقمت لى من جفاء فى صقلية بلطف مصر عليه ظرف بغداد
إن كان طبعك من ماء ورقته فإن ذاك فرقد بين فولاذ
وكتب إليه ابن خلف أبياتا أخرى مفعمة بالرقّة والمشاعر الجياشة ، أولها :
أيا شمس الجلال على اقتصاد ويابدر الكمال لدى اتقاد
ومن أجمل أبياتها قوله :

ويا من بئد في الأشعار من أباد الدهر من أيام عاد
لقد أصبحت لي خلا صفيا وحبك قد تمكن في قوادي

ثم يصف حزنه لتفرق الشمل بعد أن توطدت بينها عرى المحبة :

يعز على أن تنأى وأبقى فريدا مستهما للبعاد
ولولا طرة للبين تخشى لبست لذاك أثواب الحداد

وقد رد هذه التحية بمثلا ، وتغنى في جوابه بصفاء طبع صاحبه الذي يغاير
مسلك أهل صقلية الخشن الجاف :

هو النادى وأنت به أنادى فيامروى الحيا مورى الزناد
تخذتك من صقلية خليلا فكنت الورد يقطف من قتاد
وشعتك بين أهليها صفيا فكنت الحجر يقبس من رماد
فإن وسعتك حيزوم وللا فما ضاقت حيازيم البلاد
فديتك ، كلنا فيها غريب وذا نسب يضاف إلى الوداد

وفي الديوان مراسلات شعرية بينه وبين د الفقيه ابن قانع ، (٢٠) ، وكذلك
بعض نصوص أخرى تتحدث عن بحيرة في قصر ملك صقلية وقد صفت أمواتها
وصدحت على شاطئها حناجر المغنين وتراجم الأعواد وأصداء المزمار ، أو
تتحدث عن الجليد يكال هلمات الجبال أو تصف النوافير البديعة الصنع . .

ويقودنا هذا الذى مربنا إلى أن نقسامل ما الآثار الذى خلفته صقلية فى
شاعرية ابن قلاقس ؟ وقد حرص د . إحسان عباس على أن يقرر أنه د من
المغالاة أن ننسب إلى صقلية أثرا فى شاعريته وصنعتة لأن ذلك القدر من الإقامة
لا يبيح مثل هذا التأثير السريع ، وإذا كان شعره تحت سماء صقلية إمتلا بأسماء

أمكنة صقلية وأعلام من أهلها ، فهذا لا يضاف على الشعر سمات جديدة ، والذين يدرسون أثر بيئة معينة في الشاعر سيجدون في مثل ابن قلاقس عتده من نوع ما ، لأنه لم يكن يستقر في مكان ، . ويعلق على النصوص التي هجا فيها الشاعر الجزيرة وأهلها قائلا : « علينا إلا نشق كثيرا بأحكام أولئك الغرباء الذين كانت تتغير عليهم البيئة ، وخاصة إن كان ذلك متصلا بعاطفتهم ، وما نظن أن الشاعر يصدق صدقا موضوعيا حين يمدح أو يهجو إلا قليلا ، زد على ذلك أن ابن قلاقس عاش في صقلية تلك المدة محكوما بالحنين إلى وطنه ، يحلم بالعودة . . »

ونحن نؤثر - قبل أن نحاول الإجابة عن مثل هذا السؤال - أن نعيد النظر فيما وصل إلينا من أعماله الصقلية ، وبخاصة قصيدته :

لو لم يحرم على الأيام إنجادي . . ما واصلت بين إتهامي وإنجادي
التي وصف فيها أهوال الرحلة للجزيرة ، ثم قصيدته :

قد عصينا النهى فكيف التمانا . . وأطعنا الصبا فكيف الصباتا
وفيها تسجيل للرحلة من بلرم - عاصمة صقلية - إلى مرقوسة ،
وأخيرا مدحته في الملك النورماندي غيلالم الثاني :

يقر لغيلالم الملك ابن غيلم . . سليمان في ملك داود في حكم
وقصيدة وصف التطواف حول الجزيرة :

أبليت بعدك في الأقام ظنوني . . فظفرت عندهم بكل ضنين

إن هذه الأعمال تعكس في صدق مشاعر المعاناة والخوف من التعرض للهلاك والتربص ، ووتتم عن إحساس الإنسي الذي كان من الطبيعي أن يعترى نفوس المسلمين وهم يرون صقلية وقد انتزعت من أيديهم ، ومن جانب آخر فإن سيطرة

النورمان ولدت الفرقة والشحناء بين مسلمي الجزيرة ، فقد استسلم فريق للواقع المرينيين ظل الفريق الآخر يراوده الأمل في عودة السيادة الإسلامية ، وفيما يبدو أن الشاعر في خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري أخذت تميل لليأس ، حتى أن عددا من مسلمي صقلية تنصر ، ودبت فيما بينهم العداوة والدسائس والمنافسات وربما لم يحس ابن قلاقس بهذا كله احساسا مباشرا واضح المعالم ، ولكنه وجد نفسه مطالبا بأن يتقرب من الملك ومن رجال حاشيته ، وشعر أنه عراط بجو من الريبة والدسائس ، وقد مررنا أنه قال في مدخلة له ، مخاطبا ابن الحجر :

وشدوا إلى أهلك دين أهلك راجعا لولا يقي في علك يقي
وهو في القصيدة نفسها يقول :

من بعد ما أغضت جفونك مرة عني وكنت لقولة تجفوني
وسمى بي الواشى اليك فكاد أن يثنيك بالبهتان أو يثني
ويكرر ذكر الوشاية في قصيدة أخرى :

قد سمى بي الوشاة نحو علاه فسعوا لي فلا عدمت الوشانا
حركوا لي الشبهة منهم وظنوا أنهم حركوا على الشبانا

وتضيق نفس الشاعر بهذا الجو المسموم ولا يزيده ذلك إلا حنيننا لبلاده ، وشوقا لمراتح صباه ومجالس لهوه وأنسه ، وهكذا يقرر العودة بعد أن أمضى في صقلية قرابة عامين ، ولعله لم بالرحيل قبل ذلك لكن الظروف لم تساعد ، ومن الطبيعي أنه كتم أحاسيسه هذه فلم يصرح بها في مدائحه ، ولم ينصح عنها إلا لبعض خلائته من أمثال ابن خلف ، والذي نظنه أنه كان يمتلئ الصدر أسى ونقمة

وهو يهجو أهل صقلية لأنهم أهل غلاظة وخشونة فحسب، بل لأنهم كذلك أهل
شجاعة وفرقة، في وقت كان ينبغي فيه أن تتضافر القوى، وها هو يقول في
أبيات له يخاطب بها ابن الحبحر:

وركب كأطراف الأسمدة عرسوا على مثل أطراف السيوف الصوارم
لأمر على الإسلام فيه تحيف يخيف عليه أنه غـير سالم
وقالوا بلرم عند إبرام أمرهم فنجمت أن قد صادفوا جود حاتم

إن الرحلة الصقلية قد خلفت — فيما نظن — أثرها في نفسية الشاعر وفي
أعماله، فهي التي جعلته ينتج كل هذا الشعر في وصف البحر والأسفار والحنين
للوطن، وهي التي أمدته بتجارب جديدة خاصة حين اتصل بملك النورمان،
وعهد إلى وصف مشاهداته في الجزيرة، ولكن الأثر الأكبر للرحلة إنما ينعكس
على نفسية الشاعر نتيجة للتجارب الفريدة التي اكتسبها والتي سيكون لها أثرها
بعد ذلك في حياته وفي نتاجه الفني على حد سواء.

ولصل في نهاية المطاف للشاعر وقد غادر الجزيرة، وكان ذلك في زمن
الشتاء، وفي صحبة رسول ما، لا ندرى من أين جاء، ولا إلى أين يريد أن
يمضي، ولم تلبث الرياح أن ردت السفينة التي تقل شاعرنا ومن معه إلى الشاطئ،
فكتب إلى أبي القاسم بن الحبحر:

منسح الشتاء من الوصو ل مع الرسول إلى ديارى
فأعادنى وعلى اختيار رى جاء من غير اختيار
ولربما وقع الحما ر وكان من غرض المكارى

وهذا بيت العاصفة، فالطقلت السفينة من جديد عبر البحر الأبيض، إلى أنه

وصلت إلى الاسكندرية ، ولدينا وصف طريف للحظة وصول ابن قلاقر ، سجله ابن ظافر في بدائع البدائنه ، (٢١) :

« وأخبرني الأنجب السخاوي (٢٢) بالإسكندرية ، قال : لما وصل الأديب ابن قلاقر من صقلية ، وكان قد انتجع أبا القاسم بن العجور ، فانبجس له بعيون العطايا والفجر ، خرج للسلام عليه جميع معارفه ، وخرجت في جملتهم ، فلما نزل من المركب وازلنا للسلام عليه ، إذ بالفقيه أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الصلاح (٢٣) قد خرج ، فحين وقعت عينه على الأعز (ابن قلاقر) أنشد مرثجلا :
أطل هلال الفاسقين فلا أملا ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا (٢٤)

ثم انصرف ، فتركنا متعجبين من سرعة بديهته ، وقلة وفائه .
ولا نعرف الدافع لمثل هذا التصرف . أتراه خلاف قديم بينها أم لأن الشاعر قد عرف عنه أنه مدح ملك صقلية النصراني بما أحق عليه بعض الناس ؟

مراجع وتعليقات

- (١) « تخريدة القصر ، القسم المصرى ج ١ ص ١٤٥ وما بعدها .
- (٢) كانت صقلية تحت النفوذ البيزنطى عندما تطلع إليها المسلمون ، وقد جاءت أولى محاولات الفتح سنة ١٢٢ هـ على يد حبيب بن أبى عبيدة - حفيد هبة بن نافع - ولم يقدر لهذه المحاولة أن تنجح ، وتجدد الهجوم على صقلية بعد ذلك فى زمن زيادة الله بن الأغلب سنة ٢١٢ هـ وكان ذلك بقيادة أسد ابن الفرات ، وعلى يديه تم الاستيلاء على معظم أنحاء الجزيرة ، وبذا أصبحت صقلية تابعة للدولة العباسية ، ثم تمكن الفاطميون من بسط نفوذهم عليها ، إلى أن دب الوهن فى دراستهم ، ومن ثم نجح النورمان فى الاستيلاء على الجزيرة ابتداء من سنة ٤٤٤ هـ وكان أول ملوكهم روجار الأول ثم خلف ابنه روجار الثانى - وعمر فى الملك طويلا - وتلاههما غليالم الأول فغليالم الثانى ، وفى عهده قدم ابن قلافس إلى صقلية .

- (٣) انظر على سبيل المثال مادة صقلية بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية مجلد ١٤ ص ٢٥٧ - ٢٦٣ بقلم كروانر جوردن) وفيها أنه على الرغم من زوال النفوذ العربى فإن الثقافة العربية وجدت عصب حياتها فى كيان الغزو النورماندى . . ذلك أن روجار لم يكن متحمسا فى مسيحيتته ثم انه شجع هؤلاء المسلمين على أن ينمو مواهبهم إن لم يكن شجعهم على أن يفسروا دينهم ، بل لقد اتهم هو نفسه بأنه مسلم ، واذا رأى بعينه اللتين لم تظلمها غشاوة التعصب عبقرية العرب العظيمة أبى أن يقتل روح هذه العظمة فمنح المسلمين الحرية التامة فى ممارسة شعائر دينهم .. وأخذ بنظام الإدارة الإسلامى بل أبقى على الموظفين المسلمين فظلوا يعملون تحت إمرته . . وكذلك ازدهر علم الطب ، ولم يكن بلاط روجار

مشهوراً ببراءة أطبائه فحسب ، بل كان مشهوراً بكثرة عددهم أيضاً ، وازدهرت اللغة العربية بوصفها وسيلة التفاهم الكبرى ، كما كانت هي اللغة الرسمية ، وراجع كذلك بحث جابر يلقى عن « الإسلام في عالم البحر المتوسط » ص ١٠١ — ١٦٠ من كتاب « تراث الإسلام » تصنيف شاخت وبوزورث ، وبخاصة ص ١١٦ - ١٢١ (الترجمة العربية)

(٤) الكامل ١٠ / ١٨ .

(٥) رحلة ابن جبير ، ص ٢٢٥ وما بعدها (ط . القاهرة ١٩٦٨) .

(٦) « العرب في صقلية » ص ١٥٠ .

(٧) مخطوطة رقم ٣٨٠٠ .

(٨) هذا ما يرد في « خريدة القصر » ، وأما الديوان فيجيء فيه : « وقال بصقلية وكتب بها إلى أصحابه في الإسكندرية » ، ووصلت في آخر شوال سنة ٥٦٤ هـ ، (٩) الشطرة من بيت لأبي قطيفة (توفي نحو سنة ٧٠ هـ) وكان عبد الله ابن الزبير قد نفاه إلى دمشق ، فبقى فيها حينما يتغنى بالحنين إلى دياره بالبادية حتى أعيد إليهما ، وعجز إليهما :

أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وانظر الخبر في « معجم البلدان » ٢ / ١٥٨ ، مادة « الجراء » .

(١٠) كتب النويري في « نهاية الأرب » ج ١ ص ٢٣٤ عن يارم (أو يارمو أو يارمة) : « فيها يكون الملك ، وكانت قصبة الجزيرة بعد أن فتحها المسلمون ، ثم انتقل الناس منها إلى الخالصة . وهي محدثة ، بنيت في أيام « القائم » ابن المهدي القبيدي ، سنة خمس وعشرين وثلاث مائة ، ثم حارت يارمو العاصمة ، وصارت الخالصة ربضا لها . وفي رحلة ابن جبير (ط . القاهرة ٦٨) ص ٢٣٠ أن المسلمين كانوا يطلقون عليها اسم « المدينة » .

ويشير ابن قلاؤس في « الزهر الباسم » بعد وصف البحر وأحوال السفر إلى أنه وصل « طرف الجزيرة بمسيفى غرة شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولعله بقي فيها حيناً ، قبل أن يتابع المسير إلى العاصمة .

(١١) غليالم الثانى (أو ولیم الثانى) ويعرف باسم « الطيب » :

ولد نحو سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م ، وتزوج ملكاً فى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) على أثر وفاة أبيه غليالم الأول (الذى يلقبونه بالفاسد) وفى دائرة المعارف الكبرى Grand Encyclopédie ج ١٩ ص ٥٧٦ أنه حكم فى أول أمره تحت وصاية من أمه ولكنه سرعان ما استعزذ على حب رعاياه حين أفر العذل وفتح أبواب السجون وألقى الضرائب الباهظة التى كانت قد فرضت على عهد أبيه ، واشترك فى إرسال حملات بحرية وبخاصة إلى مصر . وكانت وفاته فى سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) .

وترك عنه ابن جبير شهادة هامة تمكس بعض صفات هذا الملك ، فمنها ما ذكره بحدود وضوابطهم إلى غير منسحق بعد أن تعرضت السفينة التى كانت تقطع لعاصفة هوجاء :

« ثم تمكن الشروق فجاءتنا الزواريق مغيثة ووقعت الصيحة فى المدينة فخرج ملك صقلية غليالم بنفسه فى جملة من رجاله متطلعا إلى تلك الحال . »

ومن العجيب — على ما أخبرنا به — أن هذا الملك الرومى المذكور أبصر فقراء من المسلمين يتطلعون من الركب ، وليس لهم شىء يؤدونه فى نزولهم ، لأن أصحاب الزواريق أغلوا على الناس فى تخليصهم ، فسأل عنهم فأعلم بقصتهم فأمر لهم بمائة رباعى من سكته ينزلون بها ، وخلص جميع المسلمين . ومن جملة صنع الله عز وجل لنا ، ولطفه بنا فى هذه الحادثة كون هذا

الملك الرومى حاضرا فيها ، ولولا ذلك لانتهب جميع ما فى المركب انتهابا ، وربما كان يستعبد جميع من فيه من المسلمين لأن العادة جرت لهم بذلك . وكان وصول هذا الملك لهذه البلاد — بسبب اسطوله الذى ينفثوه — رحمة لنا .

ص ٢٢٣ من ط . القاهرة ١٩٦٨) .

ويقول (ص ٢٢٥ من نفس الطبعة) :

« وشأن ملككم هذا عجيب فى حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجاييب ، وكلهم أو أكثرهم كانوا إيمانهم متمسك بشريعة الإسلام وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكنا إليهم فى أحواله والمهم من أشغاله حتى إن الناظر فى مطبخه رجل من المسلمين ، وله جملة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم ، ووزارؤه وحجابه الفتيان ، وله منهم جملة كبيرة هم أهل دولته والمتسليمون بخاضعته ، وعليهم يلوح رونق مملكته لأنهم متمسكون فى الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة ، وما بينهم إلا من له الحاشية والخول والأتباع .

ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الأنيقة . . . وهو كثير اتخاذ للفتيان والجواري ، ولا أنعم ولا أرفه منه ، وهو يشبه فى الانغماس فى نعيم الملك بترتيب قوانينه ووضع زيفته بملوك المسلمين . . .

ويقول ص ٢٢٦ :

« ومن عجيب شأن المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته — على ما أعلمنا به أحد خدمته المختصين به — : الحمد لله حق حمده ، ، وكانت علامة أبيه : الحمد لله شكرا لأنعمه ، وأما جواريه وحظاياها فى قصره فمسلمات كاهن . . .

(١٢) أنظر الخريدة ج ص ٢١ — ٢٤ (قسم الأندلس وصقلية من ط . الدسوقي

وزميله) .

(١٣) اعتمد الشاعر في الوقت ذاته على بعض المعاني المستمدة من القرآن الكريم وبخاصة الآية ٤٩ — من سورة آل عمران : « ورسولا إلى بني اسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم أنى أنخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله » .

(١٤) د. إحسان عباس « العرب في صقلية » ص ٢٨٧ وما بعدها .

(١٥) استمرت صلة الشاعر بالسديد بن الحصرى طيلة فترة مقامه بالجزيرة كما يدل على ذلك قوله :

يساهية الله دناسيره فما ترى يا هبة الله
قد أزف الوقت وداعى النوى أطنب فى ناه ونهنااه

وإذا كان السديد بن الحصرى هذا هو نفسه منافس ابن الحجر على زعامة مصلى الجزيرة ، فكيف ظل الشاعر على صلاته بها على الرغم مما بينهما من تنافس الأهم إلا إذا افترضنا أن الصراع بينهما لم يكن على أشده .

(١٦) لدينا فى رحلة ابن جبیر نبذة هامة عن ابن الحجر هي (ص ٢٣٦ من طبعة القاهرة ١٩٦٨) :

« ووصل إلى هذه البلدة (مدينة اطرابلس) زعيم أهل هذه الجزيرة من المسلمين وسيدهم : القائد أبو القاسم بين حمود ، المعروف بابن الحجر ... »

وكان فى هذه المدة تحت هجران من هذا الطاغية (يعنى غليالم الثانى ملك صقلية) ألزمه داره بمطالبة أوجهته إليه من أعدائه ، افتروا عليه فيها احاديث مزورة اتسبوه فيها إلى مخاطبة الموحدين — أيدهم الله — فكادت تقضى عليه ، لولا حارس المدة ، وتوالت عليه مصادرات أغرمته نيفا على الثلاثين ألف مؤتمية . ولم يزل

يتنخلى عن جميع دياره وأملاكه الموروثة عن سلفه حتىبقى بدون مال .

فاتفق في هذه الأيام رضى الطاغية عنه ، وأمره بالنفوذ لمهم من أشغاله السلطانية ، فنفل لها نفوذ المملوك المغلوب على نفسه وماله ، وصدرت عند وصوله إلى هذه البلدة رغبة في الاجتماع بنا فاجتمعنا به ، وأظهر لنا من باطن حاله وبواطن أحوال هذه الجزيرة مع أعدائهم ما يبكي العيون وما يذيب القلوب الما وفارقناه باكيا مبهكيا ، واستمال نفوسنا بشرف منزعه وخصوصية شمالك ، ورزاقه حصاته ، وشمول مبرته وتكرمه وحسن خلقه وخليقته وكنا قد أبصرنا له ولإخوته ولأهل بيته بالمدينة (يعنى بالرم) ديارا كأنها القصور المشيدة الانيقة وشأنهم بالجملة كبير ، لا سيما هذا الرجل منهم .

ومن عظم هذا الرجل الحمودى المذكور في نفوس النصارى ... أنهم يزعمون أنه لو تنصر لما بقى في الجزيرة مسلم إلا وفعل فعله اتباعا له وافتداء به .

(١٧) « العرب في صقلية » ص ٢٨٧ . ولم يقع د. إحسان عباس على النص الكامل للقصيد ، ولكنه جمع عددا من أبياتها التي ترد في معجم البلدان (ونقلها ميشيل أمارى عن ياقوت) وقاد البحث د. إحسان عباس إلى العثور على أبيات غزلية لابن قلاؤس مذكورة في المخطوطة التي تحمل عنوان أعيان العصر فظن أن هذا المقطع الغزلى هو بعينه مستمل القصيدة الضائعة في وصف صقلية ، لأنها تشترك مع ما وصل إلينا منها في الوزن والقافية وواقع الامر أن هذا المقطع الغزلى لا علاقة له بقصيدتنا الصقلية هذه وإنما هو مستمل قصيدة قالها الشاعر في مدح الأمير جلال الدين ابن الأمير ناصر الدين بن نصر العسقلانى .

(١٨) يرد كثير من هذه الايات متفرقا في معجم البلدان . وانظر نصها في القسم الثالث من دراستنا هذه .

(١٩) هناك كتاب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عنوانه ، الزهر الباسم
في سيرة أبي القاسم ، من تأليف أبي عبد الله مغلطاي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ ، يشير
إليه هنا حتى لا يختلط الأمر بكتاب ابن قلاقس ، الزهر الباسم في أوصاف
أبي القاسم ، .

(٢٠) ترد الآيات التي أولها :

هو الناصي وأنت به أنادي فيا مروى الحيا مروى الزناد
في خريدة القصر ، على أنه أجاب بها الفقيه أبا الحسن بن خلف الاموي
الصقلي عن أبيات كتب بها إليه ، بينما يأتي في الديوان (مخطوطة دبلن ٤٢٢٦)
أنه بعث بها إلى أبي الحسن بن فاتح .

ويأتي اسم ابن فاتح هذا في الديوان (مخطوطة باريس) على أنه ، أبو عبد الله
محمد بن فاتح قاغى صقلية ، أما ابن نباتة في المختار من الديوان فلا يذكر سوى
الكنية ، أبو عبد الله ، .

وليست لدينا معلومات محددة لا عن ابن خلف ولا عن ابن فاتح ، وكل
ما نعرفه عن الأول جملة جاءت في القسم الأول من الخريدة هي ، لا شك أنه من
ساكني صقلية فان ابن قلاقس أورده في الزهر الباسم وقال : هو حدة العلم الناضرة
وحديقة الأدب الناضرة ، وإنما ذكرته أنا في أهل مصر حيث اقتضاء هذا الموضع
للمكاتبات التي جرت بينه وبين ابن قلاقس ، .

واما ابن رجا فلم نذكر له على ذكر في المصادر التي رجعنا إليها ونشير هنا إلى أن
المعاد في الخريدة (قسم الأندلس وصقلية ج ١ ص ٢٤٥ تحقيق الدسوقي وزميله)
يشير إلى أديب صقلي هو أبو الضوء سراج بن أحمد بن رجا الكاتب ، كانت بيته

وبين أمية بن أبي الصلت مراسلات . وربما كان ابن رجا الذي يشير إليه ابن قلاؤس
من نفس أسرة ابن رجا الكاتب

(٢١) النص في « بدائع البدائع » مخطوطة باريس ورقة ١٧٧ ط وطبعة محمد
ابن الفضل إبراهيم ص ٣٩٦ ، وأعيان العصر ، ورقة ٢٢٠ (وقد ألمعنا قبلا إلى
أن مخطوطة القاهرة هذه هي - في حقيقة الأمر - بعض أجزاء « الوافي
بالوفيات » وليست من « أعيان العصر ») وكذلك في « نفع الطيب » للمقرئ
٢٤٢ - ٢٣٨/٤ وتضم هذا الخبر وغيره من أخبار الشاعر المبتثرة في « بدائع
البدائع » وقد جمعها المقرئ ووضعها ضمن باب عنوانه « فضائل أهل الأندلس »
وأما في الطبعة القاهرية (نشر محي الدين عبد الحميد) فتردد مسبوقة بعنوان
هامشي : « أمثلة من ارتجالات ابن قلاؤس » ، وواضح أن شاعرنا ليس من أهل
الأندلس ولا علاقة له بهم ، بل وردت ارتجالاته على سبيل الإستطراد ، وقد نبه
المقرئ نفسه إلى ذلك حين ختم ارتجالات ابن قلاؤس بقوله : « وقد آن وقت
الرجعة إلى كلام الأندلسيين الذي حلا ، وأبعدنا عنه بما مر من النجعة » .

(٢٢) شاعر مصري ذكر العمد في الخريدة نبذة عنه ، وسماه الفقيه البليغ
أبو عمران ، موسى بن علي السخاوي ، من الأعمال الغربية بمصر ، وسكنه بمصر ،
وذكر أن الأمير عز الدين محمد بن مصال نوه به له سنة خمس مائة وسبعين ،
وأثنى على فضائله ، وأنشدني من أشعاره التي حفظها ، وذكر أنه الآن شاعر تلك
المدرة ..

وكان أبو موسى السخاوي من مداح صلاح الدين الأيوبي ، وكثيرا ما أثنى
العاهل الأيوبي على بلاغته ، وله كذلك مدائح في القاضي الفاضل وغيره من أعلام
العصر الأيوبي .

(٢٣) نرجح أن يكون هو نفسه : احمد بن محمد الآبى (ابو العباس) الذى ذكرنا فى الفصل السابق أنه كان مع خلاف مع ابن قلاقس .

(٢٤) جاء البيت فى الطبعة الجديدة من (بدائع البدائى) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

اظل هلال العاشقين فلا أهلا ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
ولا تتلائم هذه القراءة والمناسبة التى قيل فيها البيت .

الفصل الرابع

العودة

عاد شاعرنا إلى مصر في غضون سنة ٥٦٥ هـ ، ليبدأ الخلافة الفاطمية تعاني من آلام النزاع الأخير ، وكان العاضد لا يزال وقتها الخليفة الشرعي للبلاد ، إلا أن جماع الأمر كله كان بين قبضتي وزيره صلاح الدين بن أيوب . وكانت له آمال عراض قدر لها أن تتحقق ، منها القضاء المبرم على الخلافة الفاطمية ، وجعل مصر تحت هيمنة الخلافة العباسية مرة أخرى ، على أن يكون له هو السلطان المطلق في البلاد .

وفي هذه الفترة التي نعرض لها كان صلاح الدين قد أمر بأن يذكر اسم نور الدين في الخطبة بعد اسم الخليفة ، وإلى هذا يشهد ابن قلاقس في مدحته التي ودع بها السيد الحصري وهو في صقلية :

لو سئلت مصر على أنها منازل العاضد لله
من عرفت سمته في أول الـ بسم وثنت بشهنا
جائتك

ولعل شاعرنا ، وقد عاد إلى الإسكندرية ، سعى حثيثا إلى توطيد الاواصر بنجم الدين بن مصال والى الإسكندرية من قبل صلاح الدين ، وسرغان ما نجح في ذلك ، وساعده أن الرجل كان حنينا بالشعر والشعراء ، والدليل على ذلك أن العماد كثيرا ما ينقل عنه في خريدته وقد اعتمد في ترجمته لابن قلاقس على ما رواه له هذا الوالي ، وأورد : ذكر لي ابن مصال أنه كان من أهل الإسكندرية ، وقاد الخاطر ، ذو الفضل الوافر .. أنشدني له من أبيات يصف أمراضه .. .

وفي الديوان أكثر من مدحة في نجم الدين هذا ، فمن ذلك قصيدة :
لم يشف طيفك لما زارني ألما وإنما زادني إلمامه لهما
وفيها صور طيف الحبيب إذ راح ينادمه وهو في الدجنة بلا نديم ولا كأس ،
حتى إذا ما شاب فود الليل انطلق مع رفقاء السفر ولكن إلى أين ؟ إلى مجلس
نجم الدين الذي تتألق في البعيد أضواؤه ... وهكذا يتسلسل الشاعر إلى المديح
فيقول :

فكلما قيل نجم الدين قد وضحت أنواره فحون الظلم والظلماء
قلنا وعاد إل شرح الشباب به جود مضى هرم عنه وقد حرما
ملك تحرم الدنيا بسطوته فردما وهي حل والندى حرما
كأنما الدهر إفشين يخسر له وقد أقام عليه سيفه صنما (١)
ولا ينسى الشاعر أن يلمح إلى عرافة نسب بمدوحه فيقول :

إن قال آل مصال فيه : من يمن قال الأغالب من مر ولا سيما
أمل على العرب من تسييره سيرا في مصر هزت على فسطاطها العجا

ولا يكاد يذكر اسم نجم الدين بن مصال الا وتذكر معه بسالته في صد هجوم
الفرجة حين أغاروا على دمياط وحاصروها مستعينين في ذلك ببعض أساطيل
بيزنطة ، وإلى هذه البسالة يشير الشاعر في قصيدة له مطلعها :

: راح يرى في طراذه طرده قال سمر لا السمر تيمت كبده

وتسبقها في الديوان عبارة تقول : « وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين » .
ويذكر الوالي على نجر الإسكندرية . . . وليس في القصيدة غزل ولا خمر ولا
وصف ، فمدوحه مشغول عن ذلك كله بمقارعة الأعداء ومغالبة الصعاب ،
وماتيمت كبده الاسمر الرماح ومضات السيف الصقيل . . . وإذا تقرب من

الخاتمة ، نرى الشاعر يعرض لصالح الدين وللخليفة العاضد فيقول :

حق انتهى الملك عند ناصره فقول الله عنده أيده
وأصبح العاضد الإمام به في دولة بالسعود معتضدة

ولدينا في ابن مصال مدحة أخرى مطلعها :

لمن الشموس عرين في الأكوار وطلعت بين معاهد الأزار
وأخرى مستهلها :

ضرب الناس في العلا الأمشالا وسمعنا بها ولكن كذا لا

وهذه القصيدة الأخيرة كتبت على أثر محاولة الفرنجة غزو دمياط واستقبال
صالح الدين في الدفاع عنها ، وفيها يشيد الشاعر بدور نجم الدين بن مصال
في انزال الهزيمة بالمغيرين واجبارهم على الفرار ، ويبرز مدى بأس قواته ،
فخيوله :

كلما حومت أدارت جناحا عد من ريشه الصبا والشمالا
أقبلت كلما صدورا فرت خيل مري (٢) كلما اكفالا

والمقالة الشجمان تدافعت جموعها الغفيرة :

وأقامت لشجر دمياط ثغرا ضاحكا عن كمامها يتللا
مخلف سور من الظباء العوالي قد تعالى بناؤه وتعالى
وليوث يظن يا ابن مصال أن يملك علمتها الصالا
لحت نجما على سماء رشيد (٣) فاجتلى منك الهلال هلالا

وفي الديوان قصيدة أخرى تنصدها عبارة تقول : « وقال يمدح السلطان
الملك الناصر صلاح الدين » ، ويهنؤه بهزيمة الفرنج ، ونخلهم الله ، عن ثغر دمياطه

فى بعض شهور سنة خمس وستين (وستمائة) ويعرض بمدح أمير كان على ثغر
الاسكندرية حينئذ وهو الامير نجم الدين محمد بن مصال ، ويذكر حال أسطول
السلطان .. وهذا الذى وجد منها ،

ويبلغ عدد الايات التى وصلت أربعة عشر بيتا ، منها :

تهز بك الخطوب من الخطاب	وتنهزم الكتاب بالكتاب
وتخشى نار حربك وهى تخبو	فكيف إذا ارتمى شرر الحراب
ركزت حشا اللعين بمنكصات	على الأعقاب من جهة العقاب
قطائع تستهل لها المنايا	فتحسب أنها قطع السحاب
يصارعها العباب فتعتليه	فقل لعب الجباب على الجباب

ثم يستدير موجه الخطاب للفرنجية قائلا :

أغربان الشام حذار شؤما	لكم مستوطننا فى الاغتراب
هفت بكم المنى فاطعموها	على الامواه من عدد التراب
وعند الطير فى الرايات رأى	فما يخلو عقاب من عقاب

ولا ندرى إن كان شاعرنا قد أنشد مدحته هذه بين يدى صلاح الدين أم أنه
قالها فى مجلس ابن مصال الاسكندرية ، ونحن نرجح أن نكون قد أنشدت على
مسمع من صلاح الدين ، لأن المصادر تشير إلى أن الشاعر كان من مداح العاهل
الايوبى الكبير (٤) .

وفى الاعمال التى تحدثنا عنها ما يفصح عن ملكة شعرية فاضحة ويكشف عن
قدرة ابن قلاؤس على معالجة فنون المديح ، مما أتاح له الفرصه كي يتصل بأكبر
رجال عصره ، غير أنه لا يستقر طويلا فى مصر ، وما هى إلا شهور قلائل ،

حتى نراه وقد استهواه الترحال من جديد ، وكان من الممكن أن يوجه له ، كما يقول العمري ، « في الدولة الصلاحية مقيل ، لو اكتفى بظلالها ، ووافى بظمئه إلى زلالها ، ولكنه اتخذ التشقيت في البلاد دأبا لا يسأم دوامه ، ، ولنا ان نساءل عن أسباب هذه الرحلة الجديدة عن مصر كما نساءلنا من قبل عن أسباب رحلته السالفه إلى صقلية .

ولو عدنا لأحداث العصر في مصر لربما اهتمدنا إلى معرفة شيء من هذه البواعث التي جعلته يسير جنوبا هذه المرة ، صوب عدن وسواحل افريقيا الشرقية ، ففي هذه الفترة (سنة ٥٦٥ هـ) كانت كل الدلائل تشير إلى أن البلاد مستشهد عما قريب أحداثا جساما وتغييرات جوهرية ، وكان واضحا أن الخليفة العاضد يحاول أن يتخلص من صلاح الدين ورجاله بالحيلة حينما وبالقوة أحيانا ، وكان صلاح الدين من جانبه يتحين الساعة التي يضرب فيها ضربته ، ويسقط العاضد عن عرشه ، ومن الناحية المذهبية فإن الشيعة كانوا يشعرون بأن أمامهم معركة حياة أو موت وأما أهل السنة فانهم راحوا يستجمعون قراهم بغية القضاء على النفوذ الشيعي وكانت القوى الصليبية بالشام تؤثر على نحو أو آخر في مجريات الأمور ، والأوضاع — على الرغم من السكون الظاهري تنبئ بأن الموقف على وشك الانفجار ، ودليلنا على ذلك أن صلاح الدين وجد نفسه في مأزق صعب حين أتته انباء الهجوم الصليبي على دمياط ، لأنه خشى أن تسقط دمياط في أيدي الغزاة إن هو لم يخرج اليهم ، غير أنه عرف أن غيابه عن القاهرة يتيح للخليفة وللشيعة فرصة ذهبية كان يحرص أشد الحرص على أن يحرمهم منها ، ولم يجد العاهل الايوبي بدا من أن يختار أخف الضررين ويبقى في العاصمة ، معتمدا على جهد رجاله وذوى قرباه في الذود عن دمياط .

وفي الديوان مدائح في القاضى الماضى (٥) أشرنا لشيء منها قبلا ، وهى قصائد غير مؤرخة ، ومن ثم يتعذر الحكم بأنها قيلت قبل السفر لصقلية أم على أثر العودة منها .

ومن الجائز أن يكون الشاعر قد أحس بأن رحلته الصقلية لم تحقق كل ماكان يصبو إليه ، ومن ثم قرر الرحيل المبكر لى ينأى عن جو مصر المضطرب من جانب ، ويحقق من جانب آخر — أحلامه فى المجد والثراء .

مراجع وتعليقات

(١) قائد تركي (أو فارسي) الأصل ، خدم المأمون ثم المعتصم ، وكان له دور مرموق في إخماد ثورة بابك الخرمي ، وهو الذي ساق هذا الثائر مكبلاً بالحديد إلى سامرا ، غير أنه لم يلبث أن اتهم بالزندقة وسجن ثم قتل .
ولأبي تمام مدائح فيه ، وله كذلك بعض قصائد يصم فيها الأفشين بأقبح النعوت .

(٢) المراد به عموري أو (أموري) ملك بيت المقدس ،
(٣) تشير بعض المصادر إلى أن ابن مصال كان والياً على إقليم الإسكندرية والبحيرة معا ، ولا يستبعد أن يكون قد تركز فترة في رشيد ليجمع فيها رجاله وينظم صفوفه قبل أن يسير لدمياط .

(٤) انظر في ذلك كتاب د. أحمد أحمد بدوي عن «صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه ، والحق أن المصادر المعتمدة مثل «مسالك الأبصار ، ووفيات الأعيان ، لا تدع مجالاً للشك في أن ابن قلاؤس قد مدح صلاح الدين غير أننا لا نملك قصيدة واحدة خالصة فيه ، وكل الذي بين أيدينا مدائح موجهة في الغاهل الأيوبي وفي ابن مصال معا .

(٥) يقول د. بدوي في دراسته عن ابن قلاؤس (المنشورة بمجلة الرسالة) :
« وإذا قرأت شعر ابن قلاؤس في مدح القاضي الفاضل لحظت فيه تأنيقا واجتهادا في استعمال المحسنات اللفظية ، ولا غرو فالقاضي الفاضل زعيم طريقة عرفت به وعرف بها ، هي طريقة الجمال والتزيين اللفظي ، فكان من حسن الذوق أن يجتهد مادحه في السير على نهجه واتباع مذهبه لأن في ذلك اذاعة لطريقة

يريد أن يذيعها . ويقول إن أول قصيدة قالها هي التي أولها :
ما ضر هذا الريم الأيريم لو كان يرثى لسليم سليم
ولو صدق هذا الاستنتاج لجاز لنا القول بأن هذه المدحة قيلت بعد عودة
شاعرنا من صقلية لأن القاضي الفاضل وإن كان قد عد من المبرزين من قبل ، إلا
أن منزلته لم تصل إلى ذروتها إلا في ظل صلاح الدين بن أيوب .

الفصل الخامس

الرحلة اليمنية

بلغ النفوذ الفاطمي باليمن (١) أوج خطره في منتصف القرن الخامس الهجري عندما تمكن علي بن محمد الصليحي من أن يسيطر سلطانه على عدد من مدن اليمن وقلاعها الحصينة ، واستطاع بالقهر والترغيب أن يعيد الدعوة الإسماعيلية شيئاً من مجدها القديم ، وأن يقيم الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر باليمن ثم هيمن على الحجاز وقطع الخطبة عن بني العباس في كل من مكة والمدينة .

وقد اغتيل الصليحي سنة ٤٥٩ هـ وهو في طريقه لأداء فريضة الحج وخلفه ابنه المكرم أحمد ، الذي خلع عليه المستنصر لقب دأمر الأمراء ، وغير ذلك من الألقاب ، ولم يكن للمكرم ما كان لأبيه من الدهاء والحنكة غير أنه استطاع أن يبقى اليمن تحت حوزة الفاطميين ، وقضى على سعيد الأحول بن نجاح الذي كان قد أوقع بأبيه ، وكانت له الكلمة المسموعة بالحجاز وعمان وغيرها من أصقاع الجزيرة العربية .

وبما ساعد المكرم على توطيد نفوذه زوجته « السيدة الحرة الصليحية » ، وكانت ذات طموح وحزم وتدير ، ولما توفي زوجها سنة ٤٨٤ هـ سعت لدى المستنصر حتى عينت ابنها (عبد المستنصر) خلفاً لأبيه (وكان المكرم قد أوصى بأن يخلفه ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر) ، ودبت على أثر ذلك سلسلة من المنازعات ولم يلبث عبد المستنصر أن توفي ، وتطلع أبو حمير سبأ مرة أخرى لتولي زمام الأمور ، واستوجب ذلك أن يتدخل الخليفة الفاطمي نفسه للتوفيق بين أنصاره ،

وانتهى الموقف بأن تزوج أبو حمير من السيدة الحرة واقتسما السلطة فيما بينهما ،
وبقيت هي إلى أن توفيت (سنة ٥٣٢ هـ) مرهوبة الجانب نافذة الكلمة .

أما آل زريع — الذين سيزرون في عدن خلال الحقبة الأخيرة من ملك
الفاطميين هناك — فيعود أمرهم إلى فترة على بن محمد الصليحي إذ كان جدهم
عباس بن المكرم قد عاضده في نشر الدعوة للفاطميين ، كما عاضد ولده المكرم من
بعد ، وحين انقسمت صفوف الفاطميين إلى حافضية (نسبة للحافظ الذي نصب
نفسه خليفة على أثر مصرع الخليفة الأمر — سنة ٥٢٤ هـ) وطيبية (نسبة لولد
للأمر اسمه الطيب — وكان اللاحق بالخلافة ، وفقا لنظام الفاطميين) وانحازت
السيدة الحرة إلى جانب أنصار الطيب ، فبادر الخليفة الحافظ إلى الاستعانة بآل
زريع ليكونوا دعاء هناك ، وخلع على محمد بن سبأ الزريعي لقب « الداعي
المعظم المتوج المكنى بسيف أمير المؤمنين » وعقب موت السيدة الحرة عظم شأن
آل زريع خاصة بعد أن اشتروا قلاع الصليحيين سنة ٥٤٧ هـ .

ويشير بعض المؤرخين إلى دور أبي الندا بلال بن جرير الحمدي في توطيد
الأمر لآل زريع ، وفي هذا الصدد يذكر ابن الجاور في « صفة بلاد اليمن » خبر
تسيير بلال بجيش أعاد محمد بن سبأ لليمن ، وكيف أنه أكرمه وأعلى منزلته
واستحلف له الناس ، وزوجه بلال ابنته وجمزه في جيش فحاصر أنيسا ويحيى
العامل بالدمومة فملكها وأطاعته البلاد كافة ، وبعد موت الداعي ابن سبأ آل أمر
الدعوة لابنه عمران بن محمد ، ولما توفي هذا (سنة ستين وخمسمائة) أصبحت
الزعامة من الناحية الاسمية ، في ولديه محمد وأبي السعود (٢) ، وأما من الناحية
الفعلية فإن الذي كان يسوس عدن وما جاورها هو بلال بن جرير وولده مدافع
وياسر ، وفي عهد ياسر بن بلال فتح الأيوبيون اليمن ، وكان على رأس الحملة

توران شاه الشقيق الأكبر لصلاح الدين ، وانتهت بهذا الفتح السيطرة الشيعية على عدن .

والملاحظ أن معظم المصادر المتصلة بهذه الفترة يتحدث عن ياسر بن بلال (٢) في شيء من التقدير ، وفيما يبدو أن كان ينهج نهجا يجمع بين الحزم والعدل وفيه يقول عمارة النيني قصيدته :

أدركت أوطارا من الأعداء وهلكت من عدن إلى صنعاء

وكان صاحب ديوان الانشاء على عهد ياسر بن بلال هو ابوبكر بن احمد العيدي (ابو العتيق ، فخر الدين) (٥) ، وهو أحد الشخصيات الأدبية الهامة في عصره ، وقد شغل هذا المنصب منذ أيام الداعي عمران بن زريع ، ويشير صاحب طبقات فقهاء اليمن ، إلى أن هذا الداعي أمر بأن « من دخل دار الشيخ الأديب — يعني العيدي — فهو آمن » ، ومن المصادر ما ينعتة بالوزير .

والعلة بين العيدي وابن قلاقس قديمة ، تعود إلى سنة ٥٥٦ هـ ، ففي هذه السنة يرسل الشاعر الإسكندري إليه قصيدة يقول فيها :

بكرت لنصحك يا أبا بكر غريبة من مشرق الفسح
قطعت إليك البر حاملة فيها فنون عجائب السحر
من صاحب لك لو بصرت به لمجهت من نخب ومن نخب
لو سألته يوما قواده لم يرض عند سواك من وكر

ويشير في هذه القصيدة إلى شاعر من جزيرة دمالك يدعى الكمكي (٦) سطا على مدائنحه وذهب بها إلى العيدي طمعا في نيل عطاء لا يستحقه ، ويرسم صورة ساخرة للكمكي ولجراته على الإنتحال فهو :

أعي زهيرا كم ينازعه (لمن الديار بقنة الحجر)
 وثني (قفا نيك) التي اشتهرت تبكي قرائنها من الذعر
 واضيعتا للنظام يملكه دعوى ، ووا أسفا على النثر
 حبرت ما حبرت من مدح فاحتازها بصورام الحبر
 وكسونها زيدا فجرده منها وأفرغه على عمرو !

ولا ينسى شاعرنا في النهاية أن يبين منزلته ويفخر بدورته في النظم ، وبملو
 كعبه في نسج برود المديح :

وعاسن لو انصفت كتبت بيد الدجى في صفحة الفجر
 رقت وراقت فهي جامعة بين الغدير ورونق الزهر

وإذا فرضنا أن تاريخ القصيدة سنة ٥٥٦ بالفعل ، فإنها تكون قد كتبت
 قبل أن يرحل الشاعر لليمن بنحو تسع سنوات ، ويظل الغموض قائما حول
 الظروف التي تمت فيها هذه الصلة بين الشاعر الإسكندري وبين الشيخ العدني ،
 ونحن لا نستبعد أن يكون هناك خطأ ما في التاريخ الذي مر ، وليس يبعد أن
 يكون التاريخ الصحيح هو سنة ٥٦٥ ، ففي غضون هذه السنة سافر الشاعر لليمن ،
 ولم يذكر أي مصدر معروف شيئا بالمرّة عن رحلة للشاعر هناك قبل ذلك .

والشيء الثابت أن ابن قلاؤس تشاور في أمر رحلته إلى عدن مع الشاعر
 المؤرخ عمارة اليمني فوجد من جانبه تحجيذا وتعصييدا ، ولا ننسى أن عمارة كان قد
 قصد في أيام شبابه أبا بكر العيدي فأعانه وشد من أزره ، وكان العيدي حفيا
 بالادباء ذوي با على وصلهم ورعاية جانبهم .

ولدينا نص رسالة بعث بها شاعرنا الإسكندري من عيذاب إلى العيدي ،
 يقول فيها :

« وقد كنت أعد النفس بإلقاء الحضرة فتقتضيقي وتمضيقي ، ... حتى نشطت
من عقدة الكسل ، وخرجت من عمدة الفشل ، وعزمت على مقارعة الدهر ،
وقلت : من يخطب الحسناء يغفل في المهر ، على أنى عرضت عليها السير وإزعاجه ،
والقفر ومنهجاجه ، والبحر وأمواجه ، والريح وأفواجه ، فأبت إلا البدار ..
وما زال المولى الفقيه الرشيد نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكمي يختصر لي
قرآن عماد الحضرة في سورة ، ويجمع لي العالم منها في صورة ، حتى رأى السقر
وآلاته ، والسير وحركاته ، فقال : قبلت الدلالة ، وردت الضالة ، إنك تظهر
إلى الحال التي ما بعدها مظهر فآثار الدفين ، وزعزع السفين .. وقد علمت الحضرة
أن السفر إليهما ، فليكن السكون والسكنى مضمونا لديهما .. »

وهكذا بدأ شاعرنا رحلة جديدة عبر البحر الأحمر هذه المرة ، حتى انتهى
به التسيار إلى عدن ، وفي الديوان قصيدة تسبقها عبارة تقول : « وقال عند وصوله
إلى عدن في الشيخ ياسر بن بلال المحمدي ، وصنعها على اقتراح ، بديهة ، فهل هذه
أور مدائح ن ابن بلال ؟

أما القصيدة فمطلعها :

إليك من ملك سام ومن ملك كانت لنا الفلك مرقاة إلى الفلك

ومنها في مدح ياسر :

والملك شمس ولولا ياسر أخذت كما أدلك - تلك الشمس في الداك
هذا هو العروة الوثقى لمسكها عز فلا انفصمت في كف ممسك
وهذه القصيدة - وتبلغ ثلاثة وثلاثين بيتا - لاتعد من بين أعماله المنتقاة ،
ولكنها ، إن صح أنها قيلت بديهة ، دلت على سرعة ملكة في الإرتجال وبصر
بموقع الكلام على نحو قل له النظير .

وهناك قصائد أخرى عديدة في ياسر بن بلال ، منها مدحته :

هي دولة موصولة الإقبال محفوفة بترادف الأجلال

وأخرى مستهلها :

لم ترض أنى قد حرمت وصالها حتى سميت في المنام خيالها

ومن أجل إيمانها في المديح :

ملك إذا حفيت سنابك نخيله جعل الرؤوس من الملوك نعالها

لو كان يخلق للعـكارم والعـلا باع لـكان يمينها وشمالها

وله مدحة أخرى في ياسر مطلعها :

لو حل في خديبه عقد لثامه نقل الهلال إلى صفات تمامه

وكذلك مدحته :

أحكم على الثقلين الإنس والجان فانت أفوم بالملك السليمان

وواحدة تبدأ بـ :

أنا من جوارك في أعز مكان ومن اصطناعك في منى وأمان

ومن البديهي أن يحظى ياسر بن بلال بالنصيب الأكبر من اهتمام الشاعر ،

وأن يعرج من حين لآخر على غيره من رجالات اليمن ، ومن هؤلاء ولدى الداعي

عمران وهما محمد وأبوالسعود وكانت لهما — كما ألمعنا — السيادة الإسمية ، أما

السلطة الفعلية فكانت في يد ياسر ، ولدينا في الديوان قصيدة تسبقها عبارة تقول :

« وقال في الأميرين ولدى الداعي بعدن ، عمران بن سبأ ، وهي أول ما أنشدهما ،

ولعل الشاعر ، وقد وصل إلى المدينة ، يمم أول ما يمم صوب قصر ابن بلال

ومدحه ، أما قصائده في ابني عمران (٦) فلم تنظم إلا بعد ذلك وقصيدته . الأولى
هذه أيتها :

منتاب مصر كما بالرغد مغرور وباب قصر كما بالوفد معمر
ومن أبياتها :

الله أكبر لم أنطق بمبدعة فشان من نظر الأقوام تكبير
الحمد لله زالت كل داجية عنا وبالصبح تنجاب الدياجير
أمر الأميرين عند الدهر بمنثل فالدهر كالعبد منى ومأمور
ولا ينسى أن يعرج على ياسر بن بلال فيرفعه إلى أعلى منزلة ، وكان كل
ما سبق من حديث في آل زريع إنما هو تمهيد لا ينبغي الاكتفاء به وحده .

ويقول في صدر قصيدة أخرى مدح بها ابني عمران :

سعود سفيكا كملت سناء فعد الانتهاء الابتداء
ومن أبياتها :

أمننا في فنائكم الليالي فلا طرق الفناء لكم فناء
وأحرزنا الغنى بندا أكف كفت من رام سقياها العناء
سحائبها إذا نشأت بأفق جرت ديماء تدفق أو دماء
فطورا في العدو تشب نارا وطورا في الولي تسح ماء
ولا يغوته في هذه القصيدة كذلك أن يتغنى بما لياسر بن بلال من سطوة
وعظيم شأن :

تقدم ياسر منهم إماما ولولاه لما ركبوا وراء
مطاع الأمر تقضى مرهفاه وهل أبصرت من رد القضاء ؟
وكم زرنا من الأملاك لكن تلت أفعالهم ليسوا سواء

ومن مدائمه الأخرى في آل زريع القصيدة التي منها :

مأمر في التنزيل فضل أول إلا ومعناه لكم يتأول
أما الملوك فإنها خول لكم حقا وإن عظم الذي قد خولوا

وأخرى مطلعها :

نثرن عليه من صدف الخيام لآلىء يفسلان من النظام

والمقطع الغزلي فيها : فغمم بالعذوبة والركة ، حيث نرى وصفا لمؤلاء
البدويات الحسان اللاتي رفقن البراقع عن وجوه وتوارى البدر منها في الظلام ، :

وحى من كنانة قد رموني بما حوت الكنانة من سهام
إذا انتضلوا ومائل أبوم أتوك بكل رامية ورام
وكل بين جانحيه قلب له خفقان اجنحه الخمام
وتحت يدي إذا ضمت لصدري كلوم لا يقوم بها كلامي

وفي القصيدة وصف للترحال وما فيه من تعرض للأهوال والصعاب ، لكن
الشاعر يحمي نحو هدفه لا يشنيه شيء :

وهاهو فوق لج الليل طاف كأنجمه ولج الليل طام
يحاول أن يشق بمكنيه إلى البدرين اجنحة الظلام

وأما البدران فأنها بطبيعة الحال ، ابنا الداعي ، غير أنهما - في هذه المرة
كذلك - لا يذكوان إلا لكي يذكر وزيرهما ياسر بن بلال :

وهاهو شاعرنا ، وقد استطاب المقام بعدن ، يبعث منها برسالة إلى صاحب
له في مصر هو القاضي الأشرف ابن الحباب ، يقول فيها :

د .. كآنى (بسيدنا القاضي) يقول : مثل هذا البائس في الاغتراب مثل

الغراب رأى خطوة الداجن فاستحسنها ، ورامها فما أحسنها ، وعاد وقد خسى
وطلب المشية الأولى فنسى ، فهو بقيد بخجل ، كلما رام النموض حجل ، ألم يكن
في كنفنا السعيد ، يبدى ويعيد ، ولا ينظر إلا من بعيد ، ينفصل من القلم والقرطاس
إلى الجام والكاس ، ويتصل من المجالس الشارعة ، إلى المجالس الصارعة ، كأس
وكيس ، وأعطاف تميم ، وكوب ومركوب ، فلم يزل به البطر حتى ركب الخطر ..
ظن أن بينه وبين البحار شجارا والدمن سفارة وأسفارا ، إن الهوى لغشاء
البصيرة .. أما أنا ففقت فارمت ، فاجتنبت واجتليت واختليت ، .. ويكفي
سيدنا ، أنى وطئت من اليمن عتبة صارت مرتبة ، وذلك أنى نزلت من الشيخ
السعيد ياسر بن بلال ، ملكا صلاته كصلاته ، تلك يبيض بها وجه الليل ، وهذه
يسود بها وجه الليل .. وناهيك بملك أنا شاعره المفحم .. ، ويمضى فى رسالته
على هذا النحو غير أن طيف الإسكندرية لا يلبث أن ينزعها مما هو فيه ، وصور
مراتع الصبا تتابع أمام مخيلته فيهتف مرددا قول الشاعر :

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلى ان تلوح هضابها
بلاد بها نيطت على تمامي (٧) وأول أرض مس جلدى تراها
ونراه يورد فى رسالة أخرى بعض أبيات له يصف فيها رحلاته فى مشارق
الأرض ومغارها :

بالثغر يوما ويوما فى صقلية ومصر يوما ويوما فى ربي عدن
برا وبحرا تجرى بذاك وذا مواراة البزل أو مواراة السفن
كأنما أناسهم والفلا غرض والبين قوس وراميا يمد الزمن

والذى نظنه أن شاعرنا رجع إلى وطنه غير أنه لم يطل المكث فيه ، وسرعان
ما سنراه يكر عائدا من جديد إلى عدن ، فها هو يقول فى رسالة له بعث بها إلى
بعض اصحابه فى الإسكندرية :

« .. وما زالت والإسكندرية فرار رسائل ومدار رسائل ، امسح بيد الأمل
أعطاف الشوق الجامحة ، وأسكن بأنامل المنى أجفان الشوق الطامحة ، .. والأيام
تدب بما لا أحب وتأتى بما لا يوافق ، حتى أتفتت سفرة ركبت سنامها ، وسلبت
منامها وأرخيت زمامها ، وتوخيت إمامها ، وشمت بقوص فى ذلك التراب
رائحة الاقتراب ، فجالت العرب والعرب . والحروب والحرب ، وكان من
مسيرى إلى اليمن وعودى ما قوم أودى ، وأثبت طردى ، وأقبل جودى ،
وضاعف ذودى ولم يبق الآن إلا دارها ومدارها وجامها واتجاهها إن شاء الله
من نحر عذاب . »

وفى غضون سنة ست وستين وستائة يقوم الشاعر برحلة بقصد التجارة ،
ولكن التوفيق لا يحالفه ؛ ولنتركه يروى لنا ما حدث ، نقلا عن رسالة بعث بها
إلى أبى بكر العيذى : « .. كنت قد سافرت من التجار بزاجملة ، واشتريت به
من العبيد ، وعولت على قطع اليد إلى زيد . . وأدخل من هناك إلى عدن اليمن ،
أشترى جلبة (أى سفينة) لطيفة بمقدار حملى ، . . لقد هجر الشعر اذن إلى حين
وتفرغ للتجارة بيعا وشراء ، ولكن من هم العبيد ، الذين اشار اليهم ؟ إن الذى
نرجحه أنه سار حتى وصل إلى السواحل الشرقية لإفريقية ، جهة مصوع وأسمره
وهناك باع بضاعته واشترى بثمانها أحمالا من الفلفل والتوابل والطور ونحو
ذلك ، ثم مضى بقصد العودة إلى اليمن ، غير أن السفينة جنحت به ، وتبدد ما كان
معه ، ولنتركه يتابع بسط الذى حدث ، مخاطبا العيذى .

« .. من جانب الصخرة بفخرة (١) ، وليست صخرة الكليم موسى بل الكليم
يوسى . . . شوقى إلى تقبيل تلك اليد الكريمة واستقبال تلك الغرة الوسيمة يسكائر
الفلفل المهدد فى السواحل ، وبالقيم المفرق فى المراحل ، فان ذلك تزيد على الرجل

أعداده ، وهذا تفضل عن الشجر أعواده ، . . وما زالت تترامى بنا الأفواج
والأمواج ، حتى استأثرت بأموالنا وآمالنا ، فلم تفضل فضلة ، ولا عدلت عن
عدل ، ولا سرت بصرة ، . . قد سلم الثلث والثلث كثير ، وحصلنا بجزيرة دهلك (٩)
والسلطان المالك بن أبي السداد (١٠) مطلب القاصد عند اعتراض الممالك ، لاجرم
أنه ساعدني بالبرء والبر وأصناف البر . . ،

اضطر ابن قلاقس إذن إلى اللجوء لجزيرة دهلك وسلطانها ، ولم يكن في تلك
الجزيرة المجذبة ما يعزیه عن فقدان تجارتها وضیاع آماله ، وما نحن نراه يقول في
رسالة أخرى :

.. لما عطبت الجلبة ، وحصلت السلامة واتصلت الملامة ، وفل سبها الفلفل ،
وقال الموج مالك مالك ، أما تاجر البضائع ضائع ، وأما أكثر الأعدال للأعدال . إما
بنقطة من البحر على الصرة تصير ضرة ، نعم حصلت من المسك على المسك ،
ونزلت على أم العنبر فلعنت البحر مع البر ، ولم أصل من العود إلى عود ، وأما
البرد فكم بيني وبينها من برید ، وما ارتد وما ارید . ،

وعما ضاعف من محنته أن جانباً من قصائد عدت عليه الأمواج فيما عدت ،
وفي هذا الصدد يقول ، . . كانت معي كتب كتب البحر عليها نحو ، فلا شعر
ولا لغة ولا نحو ، لم يسلم سوى ديوان شعر ابن الهبارية ، بعد أخذه من الببل
بقسطى النهل . . ضاع شعري كله ، وانحط عن متن نظري فيه كله ، فقد كنت
لا أدخل من إصلاح فاسد ، ومدارة حاسد . . ،

ونراه يقول في قصيدة أرسلها من جزيرة دهلك إلى الشيخ ابن الحسن علي
ابن أبي الكتائب (١١) يهويين :

لو أن في قلبي قوى كلمي نابت يدي لي عن حديث فعي
ولكنت تبصر كل منسكب يسري إليك وكل مضطرم
وشرقت بالملح الأجاج فعا أنسيت شكر البارد الشيم
واضيعتاه خرجت من عرب واضيعتاه دخلت في عجم
وبضاعى نطقى وأكسدهما بيع الكلام عل ذوى الصم

ثم يمضى واصفا ملاقاته من أهوال ، وما يعتمل في نفسه من ندم على فراق
أرض عدن وحاوله عقد قوم دكلامهم عجمة ووجوههم مدلهمة ، .. وإذ يوشك
أن يصل إلى خاتمة المطاف يطلب أن يذكر لياسر بن بلال ما حل به ، ويستدير
إلى ولي نعمته فيستصرخه :

يا ياسر بن بلال انتقم منى صروف الدهر فانتقم

ويصور صنيع البحر به وكيف تبددت ثروته فيه :

أعطيتني ما قيام يأخذه منى ، وظنك فيه لم يقم
كم صارخ منا وملتطم فى زاخر منه وملتطم
مالى رميت بكل عاصفة أنا لست من عاد ولا إرم
وعلى ابتدائي ذا الحديث جرى ياليت شعرى كيف تحتتمى

ومن الطبيعى أن يصوغ الشاعر المدائح فى مالك بن أبى السداد ، سلطان
جزيرة دهلوك ، وبما قاله فى قصيدته :

أراه البان اذ لم يقض آرابا فارتد ناظره المرتاد مرتابا

رواحدة أخرى مطلعها (١٢) :

قفا فاسألا منى زفيرا وأدعيا أكنا لهم إلا مصيفنا ومرهبنا

وفيه يقول :

ولولا صفات المالك المالك والاعلا تنوعت في أوصافه ما تنوعا
أفاض أبو الفياض في —واله ووسعت قولي في نداءه فوسعا
ركبت إليه زاهر المجد طاميا وعاصفة الهبات نكباء زعزعا
وصفت له تاج المديح ولم أكن لأتركه حتى يكون مرصعا
فإن قلت : زرنا أكرم الناس راعنا بفتكاته ، حتى نقول : وأشجعا
وما زالت زوار الملوك مبهجلا لديها عريزا عندها مترفعا
يمج به شهد المدائح منطقى وينفث في أعدائها السم منقعا

ومدحه في نفس السنة (٥٦٦) بقوله :

آيات مجدك لم تزل تتلى وصفات جدك لم تكن تبلى
لا مثل سؤدده فإن طلبوا فأبو السداد ولم نجد مثلا .
فلمين أهلى إذ عديمهم —م إني وجدت بدملك أهلا
وله فيه مدحة (١٣) مستهلها :

الناس دونك كلهم أكفاء لك بالكمال عليهم إيفاء

ويشير في بعض أبياتها إلى رغبته في الرحيل عن دمهلك :

ما أنت والبدر المنير وإن غدا ملء العيون وراقهم —ن سواء
للبدن في العرض الضياء وأنت قد جمعت بحوجه —ر ذاتك الأشياء
ماض من لبس السواد بجسمه ووراءه نفس له يبيضاء
وأشاء إذنك في الرحيل قانئ أسرى وشكرى فيك كيف تشاء
هذا مقام المستجير ولم يخب للمستجير لديك قط رجاء

إلا أن ابن أبي السداد يحتجز الشاعر فترة من الزمن ، ويعده بالموافقة على

رحيله ولكنه يماطله ، ثم يعلن له أنه سيأذن له بالرحيل ، عند عود رسوله من بر العرب ، الأمر الذي قد اضطرب فلا اقترب ، وحصول العلم عنده بمستقر عدوه ومستودعه من جوه ودوه .. ،

وكان ابن أبي السداد يتوقع هجوما على بلاده من قبل بعض الأمراء الأحباش ، ولذا بادر بإرسال رسوله إلى اليمن ، واحتجز ابن قلاقس عنده ليرد له على المراسلات التي سوف يحملها رسوله معه ، وفي الترسل ، ثلاث رسائل كتبها شاعرنا على لسان ابن أبي السداد ، الأولى تصدرها عبارة تقول : « وكتب عن السلطان المالك ابن الفياض ، ابن أبي السداد ، وقد وصله الخبر بأن أبا حربة بن فخرى الحبشى دخل إلى الأمير قاسم ، واستأذنه على أبي الفياض المذكور ، وأن وعدا تقدم من الأمير المذكور له ، وذمة عقدت بينهما ، والثانية كتبت إلى « القاسم ابن أبي الغنائم بن وهاس الحسنى صاحب بلاد عثر بين الحجاز واليمن ، وأما الثالثة فأرسلت إلى السيد عبد النبي بن مهدي صاحب زبيد ، وكان ابن أبي السداد يدين له بالطاعة : ويكتب له بلفظ « المملوك » .

ونجد فضلا عن هذه الرسائل الثلاث ، رسالة ديوانية تصدرها عبارة تقول : « نسخة كتاب سلطاني ، بعد التصدير ، ، فيما :

« المملوك يقبل البساط الشريف ، وينهى أنه لما أنجد الله الإسلام بعزائمه الماضية ، وأحكامه القاضية ، وأفعاله التي كل فرقة من الامة الحنيفية عليها راضية ، وعساكره التي ملأت البسيطة دما والجو نقعا ولم تأل في بلاد المشركين — دمرها الله — ضرا ، وفي بلاد المسلمين — عمرها الله — نفعا ، ... ولما كان في هذه المدة حدث بالجانب المتملك عليه البليغ من خرق حرمة الاسلام وهدم مساجده ، وإلجاء من فيه من الموحدين إلى دين النصرانية ، ومنع الوصول إلى السواحل ،

بما كانت العادة لم تزل جارية به من الغلال وغيرها من الاطعمة ، كل ذلك برأى المطران الواصل اليها من الديار المصرية ، حماما الله ، هذا ولم يخرج المطران المذكور عن تلك الديار إلا بعد أخذ المواثيق عليه من البطررك (١٤) بأن لا يحدث حادثا من إلقاء المسلمين إلى التنصر ولا يهدم مسجدا ، ولا يخرج عن الطريق المعهودة من مثله ، وهذا الأمر يحرم الكارم المصري السعيد الزوج إلى بر من السواحل .. والرغبة إلى المجلس السامى ، أدام الله ملكه ، وجعل المملوك ملكه ، أمره المطاع إلى البطررك المقيم بظله الشريف بتنفيذ مطران ثان عوضا عن (هذا) المطران ، وأن يكون طريقه على ثغر دهل .. والمملوك يسأل المراحم العالية فى تقويته على ما هو موقوف بصدده ..

وقد وقف خير الدين الزركلى طويلا أمام هذا النص ، واستنتج منه أن الشاعر كان آنذاك ، على اتصال بالسلطان فى مصر ، أى بصلاح الدين الأيوبي وأكد أنه « يستفاد من الجملة الأخيرة معنى كبير قد يجعل رحلاته كلها باصطفاه السلطان .. (١٥) أما نحن فنؤثر التحفظ ولا نمضى فى الاستنتاج إلى هذا الحد ، والذي نرجحه أن الشاعر كتب هذه الرسالة على لسان سلطان دهل مالك بن أبى السداد ، وكان يدين باولاء للفاطميين من جانب ولعبد النبي بن مهدي من جانب آخر .

وتمدنا بمجموعة « ترسل » الشاعر ببعض المناحى الطريفة عن الحياة فى دهل ، كما نعلم منها أنه لم يكن منقطع الصلة بما يدور فى مصر من أحداث ، يدلنا على ذلك قوله فى رسالة له « ووردت كتب متضمنة جملة من الأخبار المصرية ، منها أن السلطان الاجل صلاح الدين ، خلد الله ملكه وجعل الارض ملكه ، غزا غزة ، من بلاد الفرنج — نخذ لهم الله — ، وكسر وأمر وطاد غانا ، والحمد لله رب العالمين ، ورفع المكوس ، وإلى الله تعالى له بالدعاء الايادى والرؤوس ،

وجعل دار الشحنة بمصر مدرسة للعلم ، واستنبط من حرارة البأس ظل الدعة
والسلم .

وكانت له بدملك مداعبات ومناظرات أدبية فمن ذلك ما قاله يجاوب بعض
أصحابه هناك :

قد فزت من نثر الكلام ونظمه ما استصغر الدر النثر لعظمه

وله يهجو رفاق السفر :

وصحبة قوم لو يقاس أجلمهم إلى الكلب كان الكلب أعلى وأرأسا

والتحم في تلك الجزيرة النائية مع « رجل غزال » ، لا يسميه ، ولندعه يصف
لنا ما وقع ، وكان ذلك بمحضر من « الفقيه ابى محمد عبد الله بن الحسن التميمي
المعروف بابن زنتخت » .

.. وطالت المخاصمة فانتطعها الفقيه بقصيدة أوردها لتكلم عن معانيها
أولها :

أخلى فصد عن الحميم فما اختلى ورأى الحمام يغصه فتوشلا

فقلت : حسبك تكلم ونسمع ، أو اسمع وتكلم ، فأساء الادب ، وأخذ
يقسم بالله لقد يدري من النحو ما لا يقوم الاخنشان به . فخففت له الصوت
حتى انقطع هوسه ، وقلت : إنما الكلام على المعاني ، والواجب النظر في لغة
البيت لتتوصل معناه ، وحينئذ يكس من النحو ما يستحق من فتحة ونضبه في
موضعها ، فقال : هذه جمجمة .. ، وحينئذ ينبرى له فيورد حديثا طويلا عن
مواضع الحركة وعلل النحو ، وحديثه هذا يأتي مرسلا لا مسجع فيه ولا تعقيد .
ويمضي في نفس الرسالة يهجو شاعرين هناك هما « عمر الطلا » و « أحمد » .

الكمكى د ويسوق بعض ارتجالاته ومداعباته ، إلا أن ذلك كله لم يجده شيئا ،
وسرعان ما تملأ نفسه باليأس والسأم ، ولا يلبث أن يكتب لبعض أصحابه
يصف له ما فيه من ضيق .

د . . وناهيك أنى فى جزيرة دمالك على حالة لا تستقر حلاها ، تقول ثرياها
إذا ما رأتى ولو قلت فى الحق قلت ثراها ، ولولا أن يعثر القلم لجرى وجر وسرى
وما سر ، فقد امتلأت المسامع بسوف وعلبت المطامع أنها بوادى عوف :

وكنتم أمتع بيع الشعر فى زمن أقل ما يتساوى فيه بالذهب
فصرت أصرفه بالبخس فى زمن يرد أكثره فى الماء والحطب ،

والذى يرجح أن ما لك بن أبى السداد كان يستعد آنذاك للحرب وكانت
المصاعب تحيط به من كل جانب ، ونرى الشاعر يقدر له ما يوليه إياه من عناية
ويقول : د . . اللهم الغفران ولا كفران ، بي من السلطان المالك أكبر آية من
العناية ، يقاسمنى فى الدرة بل الذرة . . . غير أن هذه الرعاية لا تزيل عنه
أحاسيس الكآبه ، وما هو يصرخ :

حيل بينى وبين من أنا أهوى آه لو فرج التأوه بلوى

ثم يؤذن الله بالخلاص وتحين ساعة الرحيل عن دمالك بعد أن قضى فيها
زهاء ستة أشهر ، وحينئذ يشعر بشعر بإحساس السجين يغادر محبسه وينظم :

وأقبح بدمالك من بلدة فكل امرئ حلها مالك

كفاك دليلا على أنها جحيم وخازنها د مالك ، !

حتى إذا ما وصلت به السفين إلى ميناء عدن (١٦) ، مضى نحو قصر وزيرها
ياسر بن بلال ، وأنشده قصيدة من غرر أعماله ، صور فيها قصة رحيله وعطب
سفينته وإضراره للمقام فى دمالك ، وختمها بالمديح ، والقصيدة مظلما :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد

ومن أبياتها :

فيا أيها البحر الذى من هبانه أعدد فيا أنتى...قى وأعدد
أجرى من البحر الذى أنا صارم أجرد من مالى به حيث أعمد
طواني بسحب الموج تحت سمائه على أنى يا أيها الشمس فرقد
وحاول إطفائى وإنى لجمـرة يكاد بنارى ماؤه يتوقـد
وقيدت فى أرض كأن رسومها تمشى عليها الدهر وهو مقيد
أقمت بها فى الضيق ستة أشهر وذاك أقل الخل ، واليوم مولد
دعوت بصوت الجودحى على النداء لأنك تروى عن بلال وتسد

وتتوالى مدائحها فى ياسر بن بلال ، ويبدع فى كثير منها ويتعسف فى بعضها

كما فعل فى ضادية :

أجل اللهم خمره فى بياض بين آت من السرور وماضى
ويعوضه بمدوحه عن خسارته وضياح تجارته ، ولا يكون أمام الشاعر بعد
ذلك إلا أن يتأهب للعودة لوطنه ، وهكذا ينظم طائفة من قصائد التوديع ، من
بينها قصيدته :

نزلوا فادعوا نزال نزال بعد ميلى عن حربهم واعتزالي
وقد أنشدتها فى موضع يعرف بشعب ، ومن أفضل أبياتها قوله فى إظهار
ماله من فضل وما اكتسبه فى حياته من تجارب :

أين أمثال ما أقول ولفظى بات يقتاد سائر الأمثال ؟
أنا مالى وللبخيل وعندى فكرة قد جعلتها رأس مالى
شرفى جاوز الغنى ومن العا رضى ما انحط عن رؤوس الجبال

إن ترفني على الثلاثين أوقى من حضيض الصبا إلى الأكمال
فأقد كنت في الشيوخ زمانا كنت في عصره الأطفال

ثم يصل إلى المديح وينفلات منه إلى الحديث عن الرحيل المرتقب :
كم نذرت الرجال عندك فلازلا محل الندى محط الرجال
والق شكري بما عهدت من الترحال حال من قبل حادث الترحال
ويمدحه بأخرى مطامها :

صاحبت في سفرى لك الآمالا فأعدتني وأعدتها أموالا
وفيها يشير إلى أسفاره وما حل به من أهوال :

وسريت نحو عاك بدرا كاملا حتى انثنت من الصخور هلالا
والشهم مثلى من يسير مهجرا ومهاجرا يتقيل الاقيــــــــالا
ومن أشهر قصائده في وداع ياسرى بلال قصيدته :

سافر إذا حاولت قدرا سار الهــــــــلال فصار بدرا
والحق أنها قصيدة مفعمة بالحياة والتعبير المتقن والممانى الأميرة ، انساب
أبياتها طورا تهنف وتحمند وطورا تلين وترق ، وقد استحوذت على إعجاب
القدامى كابن خالكان وغيره ، ومن أجمل أبياتها قوله يصف ما أصابه في رحلة
الحياة من كلوم وأهوال وعبر :

إما ترفني صاحب الـــــــــــــــــ	وجنات قد ألست طمرا
فوقائع الأيام تنـــــــــــــــــ	رج أهلبا شعشا وغبرا
مدت إلى الأربعــــــــــــــــو	ن يدا وقد قهرت عشرا
وإستحدثت في لــــــــــــــــق	نقطا فهلاكن حــــــــــــــــوا
مرت على النائــــــــــــــــا	ت تذوقنى فوجدت مرا

ومروعى بالبحر يحسب أننى أرتاع بحرا
أوما درى أنى بتسميه ————— ل المصاعب منه أدرى ؟

ثم حانت ساعت الرحيل عن عدن . .

وقد مر بنا أن الشاعر ، وهو فى صقلية ، وصف فى قصيدة له جولاته حول
الجزيرة وعبر جبالها ، وعرفنا أن قصيدته الصقلية هذه تعتبر من غرر قصائده .
وقد أراد أن يعيد التجربة واصفا رحلة العودة ذاكرًا المراسى موضعا موضعا ،
ونعنى بذلك قصيدته التى يقول فيها :

جرعت بعد إقامتى من رحلتى	ليست عقود هواك بالمنحلة
تحت الشراع أبيت خير مرسد	إلا يدي إذبت تحت السكة
وأطوف فى الأقطار لا عن رغبة	فى كثرة أو رغبة عن قلة
كم ضاحك حلقى وتحت ضلوعه	نار تشب بأدمع منهلة
نطقي الذى خفض اللثام فلا هوى	ويدي التى عثت به لا شلت

ثم يمضى واصفا سفينته وربانها الذى بلغ الذروة فى المهارة حتى أن سيدنا
روح عليه السلام لو كان رأى دربته لشاهد ربانا لسفينته ، وفى القصيدة ذكر للباب
— ولعله باب المندب — ولعشرات من أسماء الموضع والمراسى المتناثرة على
شواطئ البحر الأحمر ، ومن آخر ما يذكره هلايب ، فى أقصى الشمال الشرقى
من السودان على البحر الأحمر ، ثم يرد فى البيت الأخير :

نشرت فأنشرت الشراع ولم تعق عند العيوق بمدة عن مدة
وهذا هو البيت السادس والستون منها ، ولعل لها بقية ، خاصة وأن هناك
فراغا فى المخطوطة الوحيدة التى توردها يوازى مسافة ثمانية أبيات فى أعقاب
البيت الذى ذكرناه .

والذى نعتقد أن الشاعر دأبته العلة فى الطريق فكتب الأبيات الباقية بقلم

مرتجف وخط لا يكاد يقرأ ، أو لعل أحد رفقاء السفر كان يحفظ بقية القصيدة
ثم غابت عن ذاكرته ، وأيا كان الامر فالقصيدة هي آخر ما كتب الشاعر قبيل
أن يموت عند عيذاب ، على الساحل الغربي للبحر الاحمر (في مواجهة مدينة فوس)
في الثالث من شوال سنة سبع وستين وخمسمائة ، ولما يبلغ من العمر خمسة
وتلاثين عاما (١٧) .

مراجع وتعليقات

(١) انظر في هذا الموضوع : « أقباء الزمن من أخبار اليمن » ليعحي بن الحسين (ط برلين ١٩٣٦) المختصر المفيد ، - مخطوطة القاهرة رقم ٨٠٤٨ خ - أخبار اليمن الميمون - مخطوطة القاهرة - لابن الديبع الشيباني ، « السلوك في طبقات العلماء والملوك » - مصورة القاهرة رقم ٩٦٦ ، للجندي ، « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » ، والمسماة تاريخ المستنصر ، لابن المجاور (ظ . ليدن ١٦٥٤ ، تحقيق أو سكر لو فغرين) « طبقات فقهاء اليمن » للجندي ط . القاهرة (تحقيق فؤاد المسيد) .

ومن المراجع الحديثة دراسة د . محمد جمال الدين سرور « النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب » ط . القاهرة د . حسن إبراهيم حسن واليمن : البلاد السعيدة - القاهرة ١٩٥٨ - والباب الثامن من كتابه « تاريخ الدولة الفاطمية » ، وكتاب د . حسين الهمداني ود . حسن سليمان محمود « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » ٢٦٨ هـ - ٦٢٦ هـ (القاهرة ١٩٥٥) والملكة أروى سيدة ملوك اليمن للدكتور حسين سليمان محمود (القاهرة ١٩٥٥) .

(٢) ترك الداعي عمران ثلاثه أولاد قصرهم منصور وأبو السعود ومحمد ، غير أن ابن قلاقس في مدائمه لا يشير إلا إلى أبي منصور وأبي السعود .

(٣) ظل السلطان في يد ياسر بن بلال إلى أن فتح توران شاه - شقيق صلاح الدين - اليمن سنة ٥٦٩ هـ ، فانهى بذلك حكم آل ذريع نهائيا ، وانتهت الهيمنة الفاطمية عندئذ على اليمن .

وقد رعى توراه شاه لياسر بن بلال قدرا من مكانته إلى أن اتهم بأنه يبعث

برسالة إلى صاحب صنعا يجرسه فيها على عصيان الأيوبيين ، وقال له (والرواية عن أبي شامة) : « بأى شيء استحققت منك ، وقد قربت منزلتك وأبقيت عليك بلادك ، ورفعت بضبعك على أهل إقليمك ، وأراه الكتاب ، فلما وقف عليه يأسر حلف أنه ما كتبه . . فلم يصدق توران شاه ، وأمر به فقتل صبرا بين يديه انظر الروضتين ، ١ / ٦٦٤ ، والجمدى طبقات فقهاء الدين ص ٢٢٩ ، الجندى « تاريخ اليمن » ٦٩ ظ . وابن المجاور فى « صفة بلاد اليمن » يقدم رواية اخرى عن مقتل يأسر بن بلال .

(٤) لم نعثر على ترجمة له .

(٥) انظر عنه « خريدة القصر » مخطوطة باريس رقم ٣٣٢٩ ، ورقة ٢٦٢ ظ إلى ٢٧٥ وهى فى طبعة د. شكرى فيصل من الخريدة — قسم الشام ج ٣ ص ١٤٥ — ٢٠١ و « طبقات فقهاء اليمن » للجمدى ص ١٦٩ ، « وتاريخ اليمن » لهارة ، و « المختصر المفيد » لهارة (مخطوطة القاهرة رقم ٨٠٤٨ ح) وأخبار اليمن الميمون لابن الديبع ، ورقة ٣٥ و السلوك ، للجندى مصورة القاهرة « لوحة ١٥٦ ، و « صفة بلاد اليمن » لابن المجاور ، ص ٤٦ . ويرد اسمه فى بعض المصادر العبدى ، وأخذنا برواية الخريدة لأنها اوفى المصادر عنه .

(٦) فى الديوان قصيدة قالها ديعاتب فيها أبا السعود المكفى وهو المنشد لكل قصيدة ترد على داعى اليمن ، مطلعها :

دون ما يئتنا من الود يكفى فاحتفظ يا أبا السعود المكفى .

(٧) فى « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ط. فسراج) ص ١٠٦ ، أن ابن ميادة الشاعر وفد على الوليد بن يزيد فأشده من المدائح مادفع الخليفة

إلى استيقاظه زمنا عنده ، وجاش الحنين في صدر الشاعر فأشده مدحة قال فيها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بحرة ليلي حيث ربتني أهلي
بلادها نيطت علي تمانمي وقطعن عني حيث أدركني عقلي
وهل أسمع من الدهر الخ .

(٨) يلاحظ أن ابن خالكان ، فيما يروي عن قصة انكسار سفينة الشاعر ينص على أن ذلك وقع عند جزيرة الناموس ، بالقرب من دهلك ، ولا يشير إلى نخرة قط . (وليس في معجم ياقوت ذكر لهذه ولا لتلك ، وأن كان يذهب إلى جبل في السراة يسمى نخرة) والشاعر في ديوانه (نسخة دبلن رقم ٤٢٢٦) يشير إلى جزيرة الناموس وغرقه على مقربة منها ، بينما لا يذكرها بالمرّة في مجموعة ترسله ، ويورد في أكثر من موضع أن تهشم سفينته وقع على مقربة من جزيرة نخرة .

ويذكر ابن الجارود في « صفة بلاد اليمن » عن جزيرة الناموس ما يلي (ص ٢٤٥) : وحدثنني ربحان ، مولى علي بن مسعود بن علي ، قال : بين جزيرة دهلك وعقيق جزيرة ملؤها نامس ، لم يسلكها ولم يسكنها أحد من خلق الله من كثرة النامس الذي بها .

(٩) يقول ياقوت في « معجم البلدان » ٩٢/٢ عن دهلك :

« اسم أعجمي معرب ، ويقال دهيك أيضا ، وهي جزيرة في بحر اليمن ، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، بلدة ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية إذا غضبوا على أحد نفوه إليها . . . »

ويقول النويري في « نهاية الأرب » ١/٢٤٤ إن أهلها وقوم من الجيوش مهملون ،

وابن الجحاور في وصفه بلاد اليمن ، يذكر (ص ٢٤٨) أن هناك
« أربع مدن في بر السودان مقابل أربع مدن في بر العرب : عيذاب مقابل الجار ،
وهي مرسى ينبع ، ودهلك مقابل السرين ، وزيلع مقابل العارة ، وعوان
مقابل الأهواب » ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ط ١ ج ٢ ص ٩٣ من
الطبعة الفرنسية (بقلم لونجريج) مقالة عن دهلك ، وفيها أنها تقع في
مواجهة مصوع .

(١٠) ليست لدينا عنه إلا معلومات قليلة ، وابن قلافس يسميه بـ « أبي الفياض
مالك ابن أبي السداد » ، وأما ياقوت في مادة « دهلك » فيسميه بـ « مالك ابن
شداد » ، ولا يستقيم هذا القول الأخير مع البيت الذي قيل في مدحه :

و مثل سؤدده فإن طلبوا فأبوا السداد ولم نجد مثلاً

(١١) وأرسل له أيضاً من دهلك قصيدة مطلعها :

نخذها كلون التبر ذائب حرام بيضاء الذوائب

وفيها يقول :

ورأيتني وأنا الغري ب لديك من إحدى الغرائب

ومن العجائب أن أراك ولست أنطق بالعجائب

(١٢) في الديوان — نسخة دبلن (رقم ٤٢٢٦) « وقال يمدح ياسر
ابن بلال . . . ولا يتمشى ذلك مع سياق القصيدة ، وقد نص في مجموعة ترسله
على أنها في مدح مالك بن أبي السداد .

(١٣) ومن مدائمه الأخرى في صاحب دهلك ، ما نجده في الديوان

— مخطوطة باريس — :

تأين لعزى بالأراك العرائك ولا رأى لى فيما تجن الأرائك

ومنها فى المديح :

هو البحر يستمطى البحار ركابنا إليه ويستجى الرياح السواهاك
وأنت الذى أبرمت من آل هاشم قوى دولة حلت عراها البرامك
ومثلك حاشى همة وأئمــــــــــــة لها الملا الأعلى حمى والملائك

وله فى مدح مالك كذلك قصيدة مطلعها :

عزى وحزى والجسام الماضى تكلفوا بصادق الإيمان

وفى الديوان ، نسخه دبلن رقم ٢٣٠ ، أنها قيلت على البديهة .

(١٤) يقول المقرئ فى «الإمام باخباره» بأرض الحبشة من ملوك الاسلام،:

«لابد للحبشة من مطران يوليه بطريق النصارى اليعاقبة بمصر بعد سؤال
الخطى ملك أمرة لسلطان مصر فى ذلك بكتاب يبعثه مرسله صحبة هدية ، فيقوم
البطريق بتعيين مطران لهم .»

(١٥) أخذ ريتزتانو فى مقاله عن ابن قلاقس بدائرة المعارف الاسلامية

(الطبعة الفرنسية ج ٣ ص ٧٣٨ ، ط ٢) بهذا رأى .

(١٦) يجدر بنا هنا أن نسوق الخبر كما رواه ابن خلكان، لأن معظم المصادر

والمراجع اعتمدت عليه :

«وفى آخر وقته وصل بلاد اليمن وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر . .
فأحسن إليه ، وأجزل صلته ، وفارقه وقد أثرى من جهته ، فركب البحر ،
فانكسر المركب به ، وغرق جميع ما كان معه ، بجزيرة الناموس بالقرب من
دملك وذلك يوم الجمعة خامس ذى القعدة سنة ست وستين وخمسة ، فمات

إليه وهو عريان ، فلما دخل عليه أنشده قصيدته التي أولها :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد

وهذه القصيدة من القصائد المختارة . . . ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف

فيها غرقه ، وأولها :

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان . . .

وقد غرض الزركلي لهذه الرواية ، وبين أوجه الاختلاف بينها وبين ما جاء

في « ترسل ابن قلاقس » وانتهى إلى قوله :

« هذه قصة غرقه ، كتبها بقلبه ، وانتفى بها مزعم المؤرخين جميعا بأنه (غرق

ما كان معه وعاد إلى ياسر بن بلال وهو عريان) .

ونحن نتفق مع الزركلي في معظم ما استدلل عليه ، ولا نستبعد ، مع ذلك ، أن

يكون الشاعر قد دخل على ياسر بن بلال وهو شبه عريان ، زيادة في التأثير ،

وطمعا في أن يعوضه عما فقده .

ونشير هنا إلى أن عدداً من الدارسين المحدثين يذكر الخبر في شيء من التعريف

فيقول « وغرق جميع من كان معه » بدلا من « جميع ما كان معه » .

(١٧) في « الخريدة » أنه مات عن ثلاثين عاما ، وفي « كشف الظنون »

« ٧٦٨/١ أنه توفي سنة ٥٦٩ ، وفي « البداية والنهاية » ٢٦٩/١٢ ، أنه توفي عن

خمسة وأربعين عاما ، ولعل مرد ذلك كله لاختلاف في النسخ أو الطبع وفي « الأدب

في عصر صلاح الدين » ص ٣٧٩ للدكتور محمد زغلول سلام (وكذلك في كتابه

« الأدب في عصر الأيوبيين » ص ٣٥٧ أنه يرجع إلى الذين بعد أن غرق جميع من

كانوا معه فأعطاه من اتصل بهم من الأعيان وأثرى من العطاء ، فعاد يركب البحر ، ولكنه غرق هذه المرة نجاة عيذاب ، سنة ٦٥٠ هـ ، أما المصادر التي بين أيدينا فلا تنص على أنه غرق بل تقول انه مات بعيذاب .

وانظر عن عيذاب ما كتبه ياقوت (مادة : عيذاب) وفي مجلة المقتطف سنة ١٨٩٢ (ص ٢٣١) مقالة عنها بعنوان مدينة عيذاب وصحراؤها .

القسم الثاني

آثاره النظرية والشعرية

١ - النظرية .

٢ - الشعر .

النشيد الأول

النشيد

« روضة الازهار ، و « مواطر الخواطر » :

لدينا من آثار ابن قلاؤس النثرية قدر لا بأس به ، يسدح بأن يجلى خصائص أسلوبه ، وطبيعة الموضوعات التي تناولها .

وقد ذكر له الصفدي في مقدمة « الوافي بالوفيات » كتابا سماه « روضة الازهار » (١) قرنه بـ « يتيمة الدهر » للشعالبي و « جنان الجنان » لابن الزبير الاسواني . فالكتاب إذن يتضمن تراجم في الادب ، لكننا لا نعلم شيئا عنه ولا عن قيمته العلمية .

وليس بعيد أن يكون نهج الكتاب قريبا من صنيع الشعالبي في « اليتيمة » ، فقد كان شديد الإعجاب بها ، وعبر عن تقديره بأكثر من مقطوعة فمن ذلك قوله :

أبيات أشعار اليتيمة	أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم	فلذلك سميت اليتيمة (٢)
وقوله :	

حفظ اليتيمة كل من	في شرقها والمغرب
فشدوت من طجب بها	كم لليتيمة من أب (٣)

وقد مر بنا أن الرشيد بن الزبير ارسل إلى ابن قلاؤس يمدحه بأبيات أولها :

« يا مخرما بنفيس الدر يجمعه » فهل يشير ابن الزبير بقوله هذا إلى « روضة

الأزهار ، أم إلى عمل آخر له طابع المختارات ، جمع فيه الشاعر ما وصفه ابن الزبير :- : « نفيس الدر » :

لا نستطيع إلجزم بشيء في هذا الصدد ، خاصة وأن هناك كتابا آخر لا نعلم عنه شيئا كذلك باستثناء فقرة جاءت في « الترسيل » ، ضمن رسالة « كتب بها إلى الثقة كاتب الضرغام ، يستقصيه كتب شيء من شعره ، ليثبته في كتابه الموسوم بـ :
مواطر الخواطر :

« وقد كان أعلم (الحضرة) عند الانفصال من الشجر المحروس ، واتصال النفوس بالنفوس ، أنه ابتداء في كتاب سماء مواطر الخواطر ، وقررت معه بتشريفه بشيء من شعرها وترميلها ، ليجعلها نجمي حلكه في فلكه ، ودري بحره في نحره ... »

وقد رد سعيد بن غزال بقوله : « ... ورد كتاب الحضرة السامية الأجلية العلية قد العبد له في الطول ، وسوغه ناحية العدل والقول ... علي أن الكتب التي سيرها إن كان حاملها العتقاء ، فإن ناظر منتظرها لا تدرك العتقاء تلك لعمر الله كتب ما كتبت إلى الآن ... » وتضمنت الرسالة قصيدة لابن غزال في مدح الحفاظ السافي ، أولها ، :

هذا الصراط فجز قويم هداه واحذر — هديت — تضل في مسراه
ويسأله أن يصلح ما قد يكون فيها من خلل ، وكان رأى ابن قلايس أن القصيدة « خالية من العاب ... » ،

والشيء الحري بالذكر أن أحدا من المؤرخين لم يشر إلى « مواطر الخواطر » ، فما السرياتي ؟ ويبقى هناك — حول هذه النقطة — تساؤل أخير : هل يمكن أن يكون كتاب « روضة الأزهار » ، هو نفسه « مواطر الخواطر » ؟ أو يكون قد حول العنوان إلى « روضة الأزهار ومواطر الأفكار » ، على سبيل المثال ؟

هـ الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم ، : (٤)

هناك كتاب آخر — مفقود بدوره — ، غير انه أسعد حالا بما مضى ، فإن
العماد الاصفهاني أورد منه مختارات مطولة في «خريدة القصر» ونعني بهذا العمل
كتاب «الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم» .

وقد مرت بنا أطراف مما في هذا الكتاب أثناء الحديث عن صدقلية والرحلة
اليها ، وينخيل إلينا أن «الزهر الباسم» كان عزيز الوجود في القرن السادس
المجري نفسه ، — وفي القرون التي تلت بطبيعة الحال — لأننا لا نكاد نجد أحدا
نقل عنه باستثناء العماد الاصفهاني ، كذلك نجد العماد يقول ، عمدا للمختارات التي
استلها من هذا الكتاب :

«... ثم ظفرت بكتاب الزهر الباسم... فاطلعت فيه ، وأطلعت في فلك
الخريدة نجوم معانيه ، فأول ما بدأ فيه بوصف الكتاب ، كلام اصفى ديمة من در
السحاب ، وأوفى قيمة من در السحاب...»

وتضم «الخريدة» قطعتين الأولى في وصف الكتاب نقلها العماد من مقدمة
«الزهر الباسم» ومنها :

«هذا كتاب نظمت فريده في عقد الكرم ، وجلوت فرنده في غضب الهمم
واحدة خلصت بنار الطبع تبره ، وشعذت من لسن الذهن تبره ، وأثبت من روض
الشرف أزاهره ، وأثبت في سماء العز زواهره ، وممت عوائق المجد بمخائله ،
ورقت دماث الحد بمخائله ، ناضرة مشرقة الآلاء بل مشرقة الآلاء . وهذا السيد
الأيدي وإن عظم سوره وكبر صوره ، وشرف نسبه وظرف نصبه ، واجتلى من
بجالس الفضل ومخارس النبيل ، منتدى صدور ايوانها ، ومبتدأ سطور ديوانها ،
فان مثلي وإياه ، كراعى سنين عجاف ، ودواعي مسيتين لا يحاف ، طواه إدقاع

وأجراه صنف قاع فاحتل بوهذ ، رهين بجهد ، ماله بالسحاب وأذيال السحاب
من عهد ، قد لفته النكباء في شملها ، وأتلفته بتفصيلاتها وجملتها ، فلما يبدست مراته
ويست مطامعه ، أتت أكيلة ليث فسامها ، وعنت نخيلة غيث فشامها ..

وأما القطعة الثانية فإنها في وصف أبي القاسم بن حجر ، ومنها :
« والمصر إن في المصر ملكا استملك رقاب المدح ، واستملك المحن بالمنح ،
نقل الدهر إلى نقش خاتمه ، وجعل مواطىء كعبه همة كعبه ، وباهى بنهضة من
عمره نهضات عمره .. وإنما لقيت من وعشاء السفر ، ولقاء الخطر ، وابتغاء الظفر ،
قبل حولى هذه الحضرة النضرة ، حضرة القائد أبي القاسم الاجل الذى إن ألبس
قلبه المداد عرى من الفصاحة ، قس اباد ، وأنطق طرسه الرسائل اخرس عن
الخطابة ، سحبان وائل ، يلزم لديه « ابن العميد ، سمت العميد ، ويندو عليه
« عبد الحميد ، غير حميد ، ويقول له « الصاحب ، أنا عبد لصاحب .. »

ضاع كتاب « الزهر الباسم » كما ذكرنا ، لكن في القدر الذى ذكره العماد
ما قد يدل ، ولو على نحو عام ، على عتواه ونهج ابن قلاقس فيه ، وقد أحسن
العماد صنعا حين أورد شيئا من النصوص الشعرية التى ألفها شاهرنا وهو بالجزيرة
ومادار بينه وبين بعض شعراء صقلية من مراسلات ومطارحات .

ولدينا من هذا الكتاب — الزهر الباسم — قدر لا بأس به مما تضمنته من
شعر ، وهذا القدر مذكور فى الديوان وليس بمستبعد أن يكون جامع ديوان
الشاعر قد ذكروا النصوص الشعرية (٥) التى وجدوها له ، وبذلك يكون بين أيدينا
جل مادة الكتاب .

ومن البين ان الحكم الحقيقى على « الزهر الباسم » ان يتأتى لنا إلا اذا تم
اكتشاف نسخة منه ، وأما القدر الذى بين أيدينا فانه يجعلنا نقول فى شيء من

الحذر إن مادته لم تكن — فيما يبدو — من ذلك اللون الحى الجياش المتوثب الذى يصور حياة الناس ، ويعكس صورة الأوضاع السياسية على النحو الذى تليحه لنا رحلة ابن جبير ، على سبيل المثال .

وعلى الرغم من كل هذا ، فإن فى د الزهر الباسم ، اشارت وجملا عارضة ذات دلالة عميقة فى الكشف عن الأوضاع فى صقلية بعد أن سقطت فى أيدي النورمان ، وقد نبهنا إلى شيء من ذلك فى أثناء الحديث عن شاعرنا فى صقلية .

* ترسل ابن قلاقس :

هذا هو الأثر النثرى الوحيد الذى وصل إلينا كاملا ، ويقع فى قرابة خمسين ورقة ، ومنه نسخة فى الخزانة التيمورية على غلافها :

« ترسل الأعرابي الفتوح نصر بن عبد الله بن عبد القوي ، المعروف بابن قلاقس ، رحمه الله تعالى ، ثم تقدم عنه نبذة موجزة تركز على ما جاء عنه فى « وفيات الأعيان » .

والكتاب مقدمة قصيرة فيها :

« كتب الشيخ الأديب الأعرابي ابن قلاقس ، إلى الفقيه لبي الحسن على ابن عبد الوهاب بن خليف ، وقد سأله تعليق شيء من رسائله :

أنا أطال الله بقاء سيدنا إطالة باعه ، وكثر مناقبه تكثير أنبائه ، وإن كنت إنما أتعلق من الأدب بنيل ، وأخبط منه فى جنح ليل ، فإنى أوجب أمره ، وإن كان إشارة ، وأفترض طاعته وإن لم أسمع عبارة ، وقد رأيت ميله إلى تعليق شيء من ترسل ، مع كثرة توسلى إلى الإنهاء لرسومه وقلة توصلى ، فعرضت عليه ما كتب موالى وإخوانى ، وكان بنانى فيه رسل بيانى ، ولولاه — أدام الله علاه — لاحتجبت .. وهل أنا فيه إلا كما قال المثل : لا ناقة لى فى هذا ولا جمل .. وهذا أول ما وقع إلى يدي وإن شاء الله أبتدى » .

والرسالة الاولى ، نسخة كتاب أجهت به بعض الاصدقاء ، وبعده رسائل إلى
ابى الحسن سعيد بن يعقوب ، كاتب الضرغام وإلى الامير عنان بن نصر المصقلانى
وإلى الحافظ السلفى ، وإلى ابى بكر العبدى — كاتب ديوان الإنشاء فى ثغر عدن —
والقائد غارات الصقلى — وابن فاتح ، وغيرهم ، فضلا عن عدد من الرسائل
الديوانية — كتبها فى دهمك — وشىء مما كتبه على لسان غيره ، وأهم ما فيه
ما وجه إلى الكامل بن شاور على أثر ثورة الاسكندرية وما تلاها من إرهاب
وسلب ونهب ، وهذا المحتوى يعود بنا إذن إلى الفترة التى سبقت سفر الشاعر
إلى صقلية ، كما انه يمتد إلى الأعوام الأخيرة من عمره .

والذى نظنه أن ابن خليف قد طلب من شاعرنا تأليف هذا الكتاب على اثر
عودته من صقلية ، فجمع فيه ما تيسر له ، ثم جاءت الرحلة إلى اليمن والمقام فى
عدن ودهمك ، فأضاف الشاعر هناك ما وجدته حريا بأن يضاف ، وعاجله الموت
بعد ذلك سنة ٥٦٧ ، فى أثناء العودة إلى مصر ، فنوقف الكتاب عند الصورة التى
وصلت إلينا .

وهذا الأثر قد در من الرسائل الإخوانية على النحو الذى نراه عند كثير من
الكتاب — إلا أن وترسل ابن قلاقس ، يتضمن فى الوقت ذاته عددا من النصوص
التي تعكس صورة صادقة لطبيعة الفترة القاسية العاصفة التى سادت مصر — وبخاصة
الاسكندرية — فى أعقاب عودة شاور إلى الحكم ، واشتعال الصراع بينه وبين
الجيش النورية بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي .

كذلك تعتبر الرسائل التى كتبت فى دهمك بمثابة وثائق تاريخية على قدر
كبير من الأهمية ، نظرا لقلّة ما يعرف عن هذه الجزيرة ، وطبيعة الصلات التى
كانت تربطها ومصر .

وغنى عن القول أن الكتاب — فى الوقت نفسه — أحد المصادر الرئيسية
التي تقدم معلومات هائلة عن الشاعر نفسه ، وعن صلاته برجال عصره .

لقد كان ابن قلاؤس الاسكندري شاعرا قبل أن يكون نائرا أو مؤرخا، ومع
ذلك فإننا حين نتأمل فى الآثار النثرية التي سلت لنا من أعماله ، نرى فيها قدرا
كبيرا من المهارة الفنية التي تتفق والتقاليد الأدبية فى ذلك الحين ، وقد أعجب
القدامى — وبخاصة الصفدي — بنثره كما أعجب به فريق من المحدثين فالزركلى
على سبيل المثال — يصف شاعرنا بأنه « من كبار الكتاب المترسلين ، والحق أن
هذا النثر يدل على خصوبة فى الثقافة الأدبية فمعانى القرآن الكريم والشعر القديم
والأمثال العربية حاضرة فى ذهنه ، وهو — وعلى الرغم من الارتكاز على
الصنعة البديعية — يعرف كيف يعبر عن الفكرة فى شيء من الحيوية والصفاء ،
ونجد الجملة عنده تأتي — بصورة عامة — قصيرة منعمة ، وكل جملة تأتي بعدها
أخرى تحاكيها وكأنها صدى لها ، وتمتد مع قريناتها دائرة حول معنى واحد ،
ثم تنفلت فى يسر إلى معنى جديد ..

ولنتظر فى مقدمة « الزهر الباسم » التي أوردنا منها فقرات ، وفيها — بعد
الوصف العام ، والحديث عن الممدوح — : « وهذا السيد الأيدى الخ تناول لمواهب
الممدوح الذى يتبدى لنا وكأنه أفصح الفصحاء ، ونتقابل بعد ذلك مع وصف
أحوال الرحلة ، وتصوير البحر فى حالة غليانه وغضبه — ولكن كل هذا يهون
مادام التعب قد أفضى إلى المشول بين يدي الممدوح .

وبما لا ريب فيه أن ابن قلاؤس كانت تسيطر عليه هنا أخيلة الشعر وطبيعة
بناء القصيدة التقليدية ، وقد ساعده موضوع « الزهر الباسم » على ذلك ففيه

وصف الترحال والعزف على نغمة الغريب الذى يفشد الملاذ والمعوز الذى يحتاج إلى من يسبغ عليه العطاء . الخ .

واما كتاباته فى « الترسل » فيختلف ايقاعها بحسب الغاية من الرسالة ، فهناك رسائل سلسلة جياشة ليس فيها تفتيش عن السجع أو الجناس ، كذلك الرسائل التى بعث بها إلى العبدى وابن أبى الكتائب ، والتى كتبها فى معجقة انفعاله بما تعرض له من أخطار ، على أثر ارتطام سفيفته بالصخور عند جزيرة دهلك ، وهناك الرسائل الديوانية الرسمية — التى كتبها على لسان ابن أبى السداد سلطان دهلك — وهذه الرسائل تخضع للأصول العامة التى كانت متبعة على عهده ، والتى تفرض على كاتب الرسالة ان يبسط المعنى ويصقل العبارة ، ويلتزم بصنوف الألوان البديعية المعروفة .

وننتهى إلى القول بأن نثر ابن فلاقس — على علاقته — لا يقل عن مستوى نثر الاعلام المحققين فى ذلك العصر — مثل ابن الخلال والقاضى الجليس والقاضى الفاضل — بل لعله يتميز عنهم بشيء من التدفق والحيوية والبساطة .

مراجع وتعليقات

(١) انظر ، الوافي بالرفيات ٤/١ ، وكذلك ، كشف الظنون ، ٩٢٣/١ ،
« وهدية العارفين » ، ٤٩٢/٢ .

(٢) ذكرهما ابن خلكان في « وفيات » — طبعة محي الدين عبد الحميد —
٣٩٢/٢ .

(٣) ديوان ابن قلاقس (مخطوطة باريس) .

(٤) ذكر العباد مختارات منه في الخريدة (القسم المصري) ١٤٦ / ١ —
١٦٨ / ١ .

(٥) ليس بمستبعد أن يكون ياقوت قد اطلع على « الزهر الباسم » ونقل
عنه ما استشهد به من أبيات قيلت في صقلية وإن كنا نرجح أنه نقل هذه الأبيات
— وكذلك الأبيات المتعلقة بدهلك — من ديوان الشاعر نفسه .

الفصل الثاني

الشعر

ربما كان لزاما علينا — وقبل أن نقدم هذه اللوحة عن الخصائص الفنية لشعر ابن قلاقس الاسكندري — أن نتوقف قليلا بازاء الدراسة الهامة التي عقدها د. عبد العزيز الاهواني حول موضوع دابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، ، ذلك لان كثيرا من الانتقادات التي صوبها د. الاهواني على ابن سناء الملك يمكن أن توجه — على نحو وآخر — لابن قلاقس واخيره — من شعراء عصره .

والدكتور الاهواني يذهب إلى أن ، كثيرا من الدارسين المحدثين حين يكتبون عن شعرائنا القدماء يسلكون السبيل الذي يسلكه الأوربيون في دراسة شعرائهم فيفترضون أن ديوان الشاعر صورة لنفسيته ، ويمتبرون أن الشاعر صورة لحياة عصره ومجتمعه ، لذلك يتجهون إلى دراسة البيئة والعصر ، وينتقلون إلى دراسة أسرة الشاعر وحياته ، ثم ينتهون باستعراض شعره ، وهذا منهج سليم إذا استقام الفرض الذي بنى عليه ، وهو لا يستقيم إلا في حالات نادرة ، وعند شعراء قلائل في تاريخ الأدب العربي ، أما شعراء القرن السادس الهجري ، وأما شاعر كابن سناء الملك بالذات ، فلن يكون للدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل ولن تكون دراسة أسرته أو دراسة حياته الشخصية ذات أثر كبير في فهم شعره ، واكتشاف ما انطوى عليه هذا الشعر من أفكار واساليب ، ذلك لان هؤلاء الشعراء كادرا يفصلون فصلا تاما ما بين شعرهم وحياتهم العامة والخاصة ، ولقد عاشوا في دواوين الشعر العربي القديم ، أكثر مما عاشوا في بيئاتهم المعاصرة ؛

وكان مهمهم الأول ان يجيدوا في منظوماتهم إجادة تتفق وفهم أصحاب الدراسات البلاغية لهذه الاجادة ، ولم يكن يعينهم بعد ذلك أن يكون هذا الشعر صادقا أو غير صادق في تصوير واقعهم الحى . لقد عاش هؤلاء الشعراء ، منعزلين في شعرهم عن جماهير الشعب ، وعاشوا منعزلين عن ذات انفسهم .

وهو يرى — بديلا عن ذلك المنهج — أن تركز العناية حول أساليب هؤلاء الشعراء (شعراء القرن السادس الهجرى) وصلة هذه الأساليب بالسابقين عليهم من الشعراء ، قبل العناية بما لا يتصل بإنتاجهم اتصالا مباشرا ، وترصد حركاتهم الذهنية والعقلية ، مرتبطة بالهدف الذى يريدون بلوغه ، قبل التماس ما لا يتفق مع طبيعة شعرهم من أفكار ولدت في بيئات بعيدة عنهم ، واستمدت من شعر يختلف عن شعرهم .

وبما لا ريب فيه أن وجهة نظر د. الاهوانى تنطلق من منطق عميق يريد للشعر أن يكون معبرا عن الشاعر وعصره ، وأن يأتي مفعما بالحس الانسانى والأصالة الجياشة النابضة بالصدق والحيوية .

لكن الإشكال فى هذا رأى أنه يركز على مفهوم حديث فى تحديد معنى الشعر ، ويصبح لنا هنا أن نسأل : أيجوز أن نطبق المعايير الحديثة تطبيقا مطلقا على الآداب القديمة ؟ ونترك الإجابة عن هذا السؤال لنقول : ما الذى يبقى من المقامات لو اننا طبقنا عليها أحكام القصة الحديثة ؟ وأى حكم قاس سيطبق على نتائج الجاحظ لو أننا أخضعناه لأصول البحث بمعناها الحديث ؟

ونعود للشعر لئلا نرى الدكتور الاهوانى يقرر أن المنهج الذى يطبقه الاوربيون عند دراستهم لشعرائهم لا يستقيم إلا فى حالات نادرة ، وعند شعراء قلائل فى تاريخ الأدب العربى ، وكان الدكتور الاهوانى يقتضى إلى الجزم بأن نتائج

الشعراء العرب — ما خلا حالات نادرة — لا يصور نفسية هؤلاء الشعراء ولا يعكس صورة لحياة العصور والمجتمعات التي عاشوا فيها ، فالبيئة والعصر ليس لهما مكان في دواوين الشعراء العرب .

ونحن — وإن اتفقنا مع جانب من هذا التصور — نرى أنه من الغبن للشعر العربي أن تغض منه إلى هذا الحد ، ونعتقد أن هذا الأمر — في مجموعه — يعكس صورة للبيئة وللمجتمع . ولكن على نحو يفاير في بعض الأحيان ما يحويه الشعر الأوربي لقارته ، واكتشاف هذا الجانب — جانب البيئة والمجتمع — يحتاج في الشعر العربي إلى قدر أكبر من العناية لكي يتبدى للعيان ، لأنه يزرع في كثير من الأحيان تحت ركام من الصنعة أو المحاكاة ، ولأن كثيرا من موضوعاته — كالمديح مثلا — تخفى في الغالب الأعم عن الصدق والذانية ووقف عند حد التفنن في إعادة صياغة المعاني المألوفة التي طالما رددتها الشعراء .

إلى جانب هذه الزاوية المعتمدة نستطيع القول بأن الشعر العربي لم يتغل عن كل مسؤولياته في تصوير المجتمع ، وفي تحليل أغوار النفس الإنسانية ، ولا نريد أن ندخل في تفصيلات تنأى بنا طويلا عما نحن فيه ، ونكتفي هنا بأن نضيف إلى ما سبق أن الوقت لم يحن بعد — فيما نظن — لكي تصدر حكما نهائيا على الشعر في القرن السادس الهجري ، فإن دواوين شعراء هذه الحقبة لم ينشر منها إلا قندل ضئيل (١) ، وما نشر منها لم يدرس إلى الآن دراسة منهجية فيما نعلم ، فضلا عن أن جانبها لا يستهان به من أدب هذا العصر ضاع ولا أحد يعلم عن أمره إلا القليل ، وأن جانبها آخر لا يزال قابعا في خزائن الشرق والغرب ، لا يكاد يحس به أحد .

وما نحن أمام ابن قلاقس الإسكندري وأمام شعره ، نقرؤه فتعجب فيه بالأصالة تارة بالتمليد تارة أخرى ، نراه في بعض الأحيان حبيس المأاني القديمة

يردها فلا يكون لها وقع ما ، لكنه ينفلت من اسارها في أحايين أخرى ، ويطلق نفسه على سجيته فإذا بها تعبر أحسن تعبير عما في الحياة من آلام وعما في النفس من رغبات واشجان ، ونحسب أن كل دراسة لهذا الشاعر ستظل ناقصة إذا لم توضع في الاعتبار طبيعة العصر وأحداثه ، وما حفل به من قلاقل وأزمات .

كذلك لا نعتقد أنه من الممكن تقديم تحليل فني لأعمال هذا الشاعر إذا ما نجينا جانبها كل العوامل التي أسهمت في تكوينه ، وما لاقاه في حياته من فقر وحرمان ، ومامت عليه من أحداث ونذكر هنا ، — في إيجاز — بأثر السلفي فيه والسلفي كان من الموالين بالتسفير قبل أن يستقر به المقام في الاسكندرية ، فهل كانت رحلات ابن قلاقس صدى للمزاج الشخصي لاستاذة ؟ وشاعرنا كان مولعا بالحياة مقبلا عليها ، ولكننا نجد من حين لآخر يرتدى ثياب الورع ، وينظم أشعارا تشبه أشعار الفقهاء والعلماء ، (وكانت للسلفي منظومات من هذا النمط) فهل هذه الأشعار أثر من آثار التلمذ على يد عالم الحديث الشهير ؟

ولقد اتصل الشاعر بببيل من نبلاء الثغر هو ابن خليف ، وعاش في حماء فترة من الزمن ثم حدثت جفوة بين الرجلين — لأسباب لا نعرفها — فهل كان لهذه الجفوة دور في رحيل شاعرنا عن الثغر ، وفي دفعه للتطلع إلى المغامرة التي قد تعود عليه بالجاه والثراء ؟

وهذه الأحداث المتتابة التي توالى على مصر في الفترة التي سبقت سقوط الدولة الفاطمية — ألم يكن لها أثر في ديوان الشاعر تدل عليه عشرات النصوص التي تعكس لنا حالة الاضطراب والهلح ، وتصور المعاناة والحيرة ، وكذلك الانتصارات التي سجلت ضد الصليبيين ، ألسنا نراها ماثلة في أعماله ؟

وبيئة الاسكندرية ، هذه البيئة التي طالما شهدت وفود التجار والرحالة

والحجاج، والقي تزخر بقصص الثراء والمشاهدات العجيبة وأنباء الملوك والأمراء
والنبلاء... ألا تغري هذه البيئة شاعرا كان قلاقس كي يتطلع إلى البعيد، ويتمنى
لو يتابع الأمواج والرياح لعل الزمن يصفو له، - ويخلص مما هو فيه من
فقر ونصب؟

إن ديوان هذا الشاعر يعكس - في واقع الأمر - كل ما ذكرنا. أو بالأحرى
إن كثيرا من قصائد الديوان تتمثل فيها أجوبة للتساؤلات التي طرحناها، ولا يمنع
هذا من القول بأن هناك - في الوقت نفسه - عشرات من الأمثلة المتماثلة التي
لا تضيف جديدا، ولا تعدو أن تكون محاكاة كليلية، وصدى لا صوات انطلقت
منذ أمد بعيد.

والذي نظنه أن الدكتور الأهواني راعه ما في ديوان ابن سناء الملك من
توليدات عقلية، ومن محاولات مضنية لتصيد المعاني، فثار على ابن سناء الملك
وعنى معاصريه، بل وعلى كل شعراء العربية ما عدا قلة قليلة (لم يسع إلى تحديد ما)،
وهو في ثورته هذه يذكرنا بموقف الشعراء والنقاد الرومانسيين في فرنسا عندما
ثاروا على جفاف النزعة الكلاسيكية فنادوا بالعدول عن محاكاة القدماء في
موضوعاتهم وأساليبهم وإخيلتهم، وذهبوا إلى أن المحتوى هو الذي ينبغي أن
يولد القالب لا العكس، وفي سبيل الوصول لهذه الغاية دعوا إلى ضرورة أن يأتي
الشعر تعبيراً خالصاً عن احساس الوجدان، وإذا كان الموضوع قائماً على فكرة
لا إحساس، فلا، هذه الفكرة ينبغي أن تصهر أولاً في بوتقة القلب حتى تبدو بعد
ذلك وكأنها احساسات لا أفكار.

ورفقا لهذا المنزع فإن التجربة الشعرية، أيا كان كنهها، لا بد وأن تكون
ذات طابع وجداني تأملي إنساني، وفي هذا الصدد يقول لا مارتين :

« إن الشعر ينبغي أن يكون على وجه التحديد وجدانيا ، ذاتيا تأمليا ، بخادا ..
وأن يأتي صادقا عميقا واقعيا مخلصا معبرا عن ابعدها في النفس من احساسات
غامضة ، وسيكون الشعر حينئذ الإنسان نفسه لا صورة له (٢) » .

ليس من سبيل إلى تطبيق هذا الحكم بمخالفته على الشعر العربي ، وليس هناك
ما يمنع في الوقت نفسه من الاستفادة من بعض جوانب هذه النظرية ، وبما يجد
بعدها من نظريات في الادب .

ونختم تناولنا لهذه النقطة بأن نكرر أننا نعلم شعرنا العربي ظلما بينما إذا
ما حاولنا إخصاؤه لمفاهيم لا تنبع منه ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نتلمس ملامح
من الرؤية الكلاسيكية خاصة فيما يتصل بشعر المديح وبالهجاء ، فالشاعر العربي
ينطلق في بعض الإحايين للبحث عن جوهر المديح ومن ثم يرسم للممدوح صورة
مثالية للبطولة والنبيل والالمنية ، ويهجم على عدوه فيجمله جماع الصفات المستبعدة
كلها ، وكأنه في هذا وذلك لا يتحدث عن شخص بعينه بقدر ما يسعى إلى تجسيد
الصورة المظلمة للعظمة أو للنخسة .

ومن جانب آخر فإن هؤلاء الشعراء كثيرا ما لجؤوا للوقوف على الأطلال
أو الغزل أو الخمر ، وليس من الضروري أن تكون هنالك رسوم ولا امرأة
ولا كأس ، فهذه كلها قد تأتي تعبيرا عن شجن ما يخفى حتى على الشاعر نفسه ،
ولكنه يجد له متنفسا في نطاق تلك الموضوعات العامة التي طرفها الشعراء من
قبل ، وبعبارة أخرى إن هذه الموضوعات لا ينبغي أن تفهم في جميع الحالات
على اعتبار أنها محاكاة ، فنية لا مجال للصدق فيها ، فقد تكون شديدة الإفصاح
عن الذات ، وقد تأتي صورة مثقنة لما يعتمل في نفس الشاعر من هواجس وآمال
والآلام .

غزارة انتاج ابن قلاقس :

ويجب أن نتذكر ونحن نطالع في ديوان ابن قلاقس أننا بخيال شاعر قال الشعر وهو لا يزال في مقتبل الشباب ، ومات وهو في الخامسة والثلاثين من عمره أى قبل أن يمتد به الاجل لكي يقدم كل ما عنده ، ويعود إلى شعر الشباب فينتج ما يراه في حاجة إلى تنقيح ، وهو الأمر الذي كان الشاعر قد شرع فيه بالفعل كما يسجل هو في إحدى رسائله . وقد صدق الصفدي حينما قال في الوافي ، عن ابن قلاقس إنه « من الشعراء المجيدين ، واعلمه أو عمر لكان شعره ازداد جودة » .

ويمكن القول بأن وجود أكثر من مجموعة من شعره دليل على أنه أراد إسقاط عدد كبير من القصائد التي لم يرض عنها ، لكن المنيّة وافته فجأة ، وكانت النتيجة أن هرع فريق من أصحابه يجمعون كل ما وجدوه له من شعر ، ولم يضموا كل ما عثروا عليه إلى ديوان واحد ، ومن ثم تعددت المجموعات التي تنسب له ، وبهذا الآن أن نقرر بأن هذه الدواوين تضم الألى والحصا جنبها إلى جنب ، ولاشك أن الأمانة العلمية تقتضى — عند التحقق — أن تنشر هذه الأعمال كاملة ، ولكن القيمة الأدبية لكثير من القصائد ستكون ضئيلة الشأن ، والجانب الأكبر من هذه الأعمال الرديئة يعود — فيما نرجح — للمرحلة الأولى من حياة الشاعر .

إن أقدم النسخ التي بين أيدينا من الديوان نسخة محفوظة في دبلن (تحت رقم ٢٨٠) ويرجع آدبرى أنها تعود إلى القرن السادس الهجرى ، وهذه المخطوطة تفككت أوصالها ، واضطرب ترتيب أوراقها ، واحت كثيرا من معالمها وهى — فيما نرجح — تمثل النسخة التي اختارها الشاعر من شعره وبها من الشعر ما لا يوجد

في أى مصدر آخر ، ولا ترتيب فى أن هذه المخطوطة — ولنا نملك منها الا
مصورة على شريط ميكرو فيلم ، — تحتاج إلى ترميم وإعادة ترتيب لأوراقها ،
ومزيد من الفحص ، قبل أن يتمكن من الاستفادة منها على الوجه الاكمل .

وأما المجموعة (الباريسية) — نسبة إلى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الوطنية
فى باريس — فإنها تضم نصا واضح المعالم ، مرتبا بحسب الترتيب الهجائى ،
وتنقصها قصائد عديدة بما فى المجموعة السابقة .

وهناك مخطوطتان تتلاقيان مع النص السابق ، ونعنى بهما مخطوطة لينجراد ،
ومخطوطة فيينا .

ونعود إلى دبلن لنجد مخطوطة أخرى من ديوان الشاعر لا تحتوى على بيت
واحد مما فى المجموعتين السابقتين ..

ويضاف إلى ذلك كله قدر كبير من الشعر ، رأيناه منشورا لابن قلاقس فى
كتب الادب والتاريخ والتراجم .

واذن فتتاج هذا الشاعر كان من الغزارة بمكان ، وهى غزارة لا تتناسب
وسنه ، ولو افترضنا أنه كان قد عمر حتى بلغ الستين أو السبعين من العمر لكان
من الطبيعى أن يتضخم الديوان إلى اضعاف ما هو عليه الآن .

وهذه المشكلة — مشكلة الكثرة — لها نظائر فى تاريخ الشعر العربى ، وقد بما
عاب ابن المعتز على أبى نواس أنه « لا يقوم على شعره ويقول له على السكر كثيرا ،
فشعره متفاوت ، لذلك يوجد فيه ما هو فى الثريا جردة وحسنا وقوة ، وما هو فى
الحضيض ضعفا وركاكة » (٣) وأخذ الآمدى على أبى تمام أنه لا يبالى ان ينسب له
الردى الذى لا يساوى شيئا ، وبذا اجتمع فى ديوانه الدر والحصى معا .

ولنا أن نساءل . هل كل ما يكتبه الشاعر من أعمال ، في مختلف مراحل حياته جدير بأن يحتل مكانا في ديوانه ؟ إن الملكة الشعرية لا تنبثق بين يوم وليلة ، وكذلك الثقافة والدربة اللغوية ، ومن البين أن التجارب التي تكتب في طور التكوين تبقى في العادة تجارب غير مكتملة ، وكثيرا ما نرى في شعر الشباب ثواب الوجدان ، وصدق المشاعر ولكن المعالجة الفنية يكون فيها ما فيها من تسرع وحدة ولجاجة .

ولا ننسى أن الشاعر كان مدفوعا إلى هذه الكثرة دفعا منذ مستهل حياته الفنية ، فقد كان الشعر حرفة له يتعيش منها ، وكان الحافظ السلفي يجرى عليه راتبا في مقابل ما يدبجه فيه من مدائح ، بل إن الحاجة الجأته إلى النظم على لسان غيره (٤) .

وغنى عن الذكر أن مجالس السلفي لم تكن تأتي حتى الشعر الرديء (٥) فهي مجالس فقهاء ورواة حديث وطلاب علم ، لا مجالس مبرزين في الأدب علماء ، بفنون النظم وأساليب الشعر .

ولننظر في قصيدة قالها في الحافظ السلفي ، منها :

قف بقفراء بيباب	بائنات لا إياب
فابك فيها بدموع	مثاها دمع السحاب
إن هنندا وسعادا	عرضاني للعتاب
تركا قلبي كشييا	ودموعي كالرباب
بعد أن أقبل شيبي	ومضى شرخ شباني
من كالشمس وجوها	وخدودا كالشراب
ونغورا مثل سلك الد (م)	ومن تحت الرضاب

عذبت ليست بملاح فهي كالشهد المذاب
فتفرقنا جميعاً بعد ذاك الاصطحاب
فهو تذهب بالحقة — دلعمرى والضباب
ولقد مرت بأرض مهمه ذات هضاب
مرتها فوق جواد أسهم مثل الغراب
وتراه حين يموى مثل نسر أو عقاب

ثم ننظر في مجموعة أخرى (نسخة باريس) لنرى الشاعر يقول :

أبعد شبي شبابي إياب
هيهات لا يرجع عهد الشباب
أم هل لمن عرضني للعتاب
فالقلب متى في أليم العذاب
ودمع عيني كدمع السحاب
وظبية مثل ظباء الشعاب
رقية الخدين مثل الشراب
في ثغرها الشهد لعمرى مذاب
طوبى لمن يرشف هذا الرضاب
في كفها حمراء مثل الشهاب
صافية رقت كمثل الشراب
تذهب بالحقد معا والضباب
ومنزل بالجزع منهم يباب
دارت عليه عاديات الرباب

قد رقيته ثم ايدى السحاب
ومهمه قفز كبير المضاب
قطمته إبان عهد الشباب
بمنطوى الأحشاء طي الكتاب
اقب ساط أسود مثل الغراب
تراه كالأجدل في الانتصاب
وحين ينقص كشل العقاب

إننا نقرا القصيدتين فنجد أنفسنا بأزاء فكرة واحدة عولجت بنفس الألفاظ
وبنفس الصور تقريبا ، ولكننا نحس في الأولى وهذا وتهافتا ، ونحس أن النص
يعود إلى المرحلة الأولى من أعمال الشاعر ، ولا نجدنا قول الشاعر فيها :
بمد أن أقبل شيبى ومضى شرح شو — أبي

فهذا كله من أساليب الشعراء ، ونحن نفترض أنه عاد إليها بعد فترة ،
لحافظ على جوها وأخيلتها وألفاظها وقافيتها ، وأضاف إليها قدرا من التماسك
والدقة ، ونحسب أنه كان سيسقط النص الأول من شعره لو أنه هو الذى تكفل
بجميع ديوانه وتبويبه .

وهذا المثال الأول — ويرد في مجموعة دبلن (رقم ٤٢٢٦) — يجعلنا
نفترض أن هذه المجموعة — التى جمعها ابن خليف — تضم كثيرا من القصائد
الأولى التى لم يرص عنها الشاعر بعد ذلك ، غير أن ابن خليف حرص على إيرادها
وعلى إيراد كل ما وجد من شعر مما لم يرد في المجموعات الأخرى ، حتى ما كان
ردنيا بالغ الركابة ، كتلك التى تبدأ بـ :

أيها اللائم لم غيرى فيما قد اتينا

وقد قدمها جامع الديوان بالعبارة التالية : « وهى من أدون شعره » .
 وخلاصة القول إن الدارس لشعر ابن قلاقس ينبغي له أن يضع في الاعتبار
 أن عددا من قصائده كتب في طور مبدئ للغاية ، مما يجعلنا لا نعتبره مما يعتد به
 عند الحكم على شاعريته .

أثر الدراسة الدينية في شعره :

وقد ألمعنا من قبل إلى أثر السلفى في شعره عند الحديث عن المكونات العامة
 في أدبه ، ونتناول هذه النقطة الآن في شيء من التفصيل فنقول إن شاعرنا كان
 مدفوعا بحكم تملذه على السلفى إلى أن يعالج الموضوعات الوعظية من حين لآخر ،
 وفي الديوان قصيدة تصدرها عبارة (وقال : حضرت بين يدي الشيخ السلفى ،
 رضى الله عنه ، في جماعة ، فاقترح علينا عمل شيء من الشعر على وزن :

نعال بالدواء إذا مرضنا وهل يشفى من الكرب الدواء

فقال هبة الله بن وزير المصرى شيئا ، وقال عبد الله بن يوسف الغزوى شيئا ،
 وقلت أنا بديها :

أخى دع البطالة وإنه عنمـا	وجانبها فعقباهـا الشـةـاء
جمال المرء في الدنيا صلاح	وخير بضاعة الحر الحياء
عجبت لمن يميل إلى المعاصى	وتعجبه الملامى والغنىـاء
تنبه يانؤوم فاست تـدرى	عليك بما الذى سبق القضاء
ولذ بالحافظ الحبر المرجى	ففيه الفضل أجمع والوفىـاء
إمام كل من فى الأرض أرض	إذا اختبروا وهمته سماء

ومن أمثلة استخدامه لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف قوله يصف
 ترحاله عبر البحار :

أقلعت والبحر قد لانت شكائمه جدا وأقلع عن موج وإزباد
فعاد - لاعاد - ذا ريع مدمرة كأنها أخت تملك الريح في عاد
لا يستقر لنا جنب بمضجعه كأن حالاتنا حالات عباد (٧)
ولا تلاوة الا ما نكره من مبتدى النحل أو من مشى صا (٨)

بل إن هذه المعاني الدينية تأخذ طريقها إلى غيخته حتى وهو يعالج موضوعات
الفحش والمجون ، كقوله متحدثا عن علاقة ما ، بسلام نصراني :

ومزني أضحى يقول ثلاثة وأقول من وجهين بل هو واحد
حتى إذا علقت بنا يد منكر كانت لنا فيما نقول مقاصد
هذي مناظرة نتيجة فقهها مني ومنه راعع أو ساجد
أستغفر الله العظيم فاني بالزور معترف وقلي جاحد

وقوله :

أعذر فؤادي إنه شاعر في كل واد في هواه يهيم
يارب خمر فمه كأسها لم أقنع من شربها بالشميم
أتبعث وشفا قبلا عندها وقلت هذي زمزم والحطيم

وبما استعمل فيه معنى من الأحاديث النبوية :

رواه لولا أنه جنة المنى

لما كان محفوا لنا بالمكاره (٩)

وسيطول بنا الحديث لو سمعنا لأن نتابع عرض تأثير ألوان الدراسات
المختلفة التي تلقاها الشاعر في نتاجه الأدبي ، والحق أن صدى هذه الدراسات قوى
في أعماله ، وبخاصة الدراسات النحوية (١٠) ، التي كان فيها ضليعا فيما يبدو .
« تأثير الموروث » في شعره :

ولأننا نؤثر أن نعالج هنا نقطة هامة ، نسعى فيها لمحاولة إيضاح آثار الموروث في شعر هذا الشاعر ، وهي قضية شائكة متلاحمة الجوانب ، وسندسعى بإذن الله — لها اجتها في إيجاز ، تاركين التفريعات جانباً ،

إن القاريء لديوان ابن قلاقس — أو بالأحرى لديوانه . سيجد نفسه — وعلى الدوام — مدفوعاً إلى تذكر ألوان من التراث تطل عليه هنا وهناك ، فالشاعر لا يفتأ يضمن ويقتبس ويعكس في شعره ونثره مواقف وأمثلة من ماضى الأدب العربى ، وهو حريص على أن يؤكد مدى عمق ثقافته في كل موقف .

هكذا نجده في رسالة عتاب (١١) — يذكر أفعال بعض المولدين في معنى العتاب ، ثم يشنيه بما قال ابن عرادة السعدى في سلم بن زياد بعد أن جرب أفراما غيره :

عتبت على سلم فلما فقدته وصاحبت أفراما بكيت على سلم
ويكمل استشهاده بشيء من شعر أبى العتاهية ، وبما قاله أحمد بن طاهر ، وبأبيات تنسب تارة لسلم الخاسر وتنسب تارة أخرى لضيف الباهلي في البرامكة ، ثم يردد فيها ما قاله نصر بن حمد بن الحيز أرزى . . وهذا الذى يذكره في معنى واحد ، دليل على سعة محفوظ ، وقوة ذاكرة يجعله يستجمع لكل موقف مادته .

ومن ألوان التأثير التى سجلت على ابن قلاقس أنه أخذ معنى البيت :

والماء يكسب ما جرى طيباً وينخبث ما استقرا

من قول بديع الزمان الهميدانى : « الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه » ، هذا ما رددته ابن خلكان (ومن أخذ عنه ، بمثل صاحب مرآة الزمان) كما ذكروا أن قوله :

وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

مأخوذة من قول صردر :

قلقل ركابك في الفلا ودع الغواني للخدور

لولا التنقل ما ارتقى در البحور إلى النحور (١٢)

وقال ابن خلكان في معرض الحديث عن أبيات أنشدها المأمون منها :

إن يكن للسواد فيك نصيب فيياض الاخلاق منك نصيب
وقد نظم بعض المتأخرين وهو ابن قلاقس هذا المعنى وزاد فيه وأحسن
كل الإحسان ، وهو قوله :

رب سوداء وهي بيضاء معنى نافس المسك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسبه لنا س ، سوادا ، وإنما هو نور

بينما يقول صاحب « معاهد التنصيص » إن ابن قلاقس أخذ هذا المعنى من

قول ابن رشيق :

دعا بك الحسن فاستجيبى يامسك في صبغة طيب

فإنما النور عن سواد في أعين الناس والقلوب (١٣)

وله بيت مشهور أشاد به ابن خلكان وغيره ، هو :

صدرنا وقد نادى السباح بناردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد

نرجح أنه نظمه وفي ذهنه قول مالك بن نويرة :

جزينا بنى شيان أمس بقرضهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد (١٤)

ويذكر المعاد في خريدته أن بيته :

لم أسترق بمنامى وصل طيفهم فما له صار مقطوعا على السرق

مأخوذ من قول ابن نشتان الخفاجي ، صاحب « سر الفصاحة » :

سرت بالنوم وصلا من خيالكمو فصار نومي مقطوعا على السرقة (١٥)
ولعله في قوله :

كأنما أنا سهم والفلا غرض والبين قوس وراميهما يد الزمن
متأثر بقول ابن حمد يس في وصف عصاه :

كأننى قوس رام وهى لى وتر أرمى عليها رمى الشيب والحرم
ونرجح أن نويته التى أولها :

أبليت بعدك فى الانام ظنوني فظفرت عندهم بكل ضنين
معارضة لقصيدة صردر :

اكذا يجازى ود كل قرين أم هذه شيم الظباء العيين
وقد ذكرنا من قبل أبياتا له قالها فى بلرم أولها :

وركب كاطراف الأسنه عرسوا على مثل أطراف السيوف الصوارم
لأمر على الاسلام . .

وهما مأخوذان بلا كثير تعوير من قول أبي تمام فى مدح ابن طاهر :
وركب كاطراف الاسنة عرسوا على مثابها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
وله فى وصف البحر فى ساعة غضبه :

والرمل فى حبك النسيم كأنما أبدى غضون سوائف المذهور
والبحر يرمد منه فمكانه درع يشن بمعطى مقـرور

وقد علق الصفدى على البيتين بقوله إن معناهما ، اخذه من قول ابن المعتز :
والشمس كالمرآة فى كف الاشـل (١٦)

ولو نظرنا في خمریات أبي نواس فإننا سنجد ان عشرات النماذج النواسية قد أعيدت صياغتها على يدى ابن قلاقس ، فمن ذلك :

بذینا على كسرى سماء مدامة مكلفة هاماتها بنجوم
فلورد فى كسرى بنى ساسان روحه إذن لاهطفانى دون كل نديم

وقد أوردهما ابن حجة فى خزائنه ثم ذكر أن معناهما ألم به ابن قلاقس فيما بعد ، وسبكه فى قالب حسن ، بقوله :

دارت زجاجتها وفى جنباتها كسرى أنوشروان فى إيوانه
فخلعت عن عطفیه حلة قهوة وشربتها ففودت فى سلطانه

والحن أن شاعرنا تأثر تأثراً عميقاً بشعر أبي نواس ، وتأثر إلى جانبه بأبي الطيب المتنبي ، وقد كان — مثله فى ذلك مثل الأول — مولعاً بوصف الشراب ومجاسه ، ولم تغب هذه الظاهرة على كثيرين ممن درسوا حياة شاعرنا ، حتى لنجد من بينهم من يتساءل :

« أيمكن أن يكون هذا الشعر صدی لحياة ابن قلاقس فعلاً ؟ أم أنه من باب ترويض القول الذى يلجأ اليه بعض الشعراء أحياناً راسمين بأخيلتهم اشكالا لما حرموا منه فى واقعهم ؟ . . إن هناك نماذج . . من شعره . . تصف لنا ألواناً من هذا الملو ، فيما حيوية التجربة ، وحرارة الواقع ، ترجح أن الموضوعات التى تناولها الشاعر ترتبط بالكثير من وقائع حياته (١٧) . »

ونجد باحثاً آخر يقرر :

« لم نصادف (من بين الشعراء الغزلين الذين جمعوا بين الغزل والخمریات) فى ميداننا الأدبى فى الاسكندرية غير ابن قلاقس الذى لم يحسن الغزل ، وإنما أجاد فى خمرياته إجادة تدنيه من مرتبة الفحول ، ويبدو أنه كان معاقراً لها وبها مدمناً ؛

حتى بدت عليه النزعة النواسية في شعره وفي مجالس سكره ، وانطلاقه في التعبير عن ذاته ، وحرية في الاشارة بها ، (١٨) .

ونحن لا نريد أن نشغل أنفسنا بمحاولة معرفة ما إذا كان شاعرنا عكروفا على الخمر أم لا ، لأن الذي يعنيننا هو مدى توفيقه في هذه الخمرات (١٩) ولأن يكون من الصعب البرهنة على مدى نجاحه في السير على نهج أبي نواس فالأمثلة الخمرية الجيدة من الكثرة بمكان ، وبحسب القارىء أن يعود اليها في كتاب مثل « سحابة الكميث » وشاعرنا في خمرياته يتدفق بالحوية والبساطة والقدرة على التجسيد :

وليلة اطلعت في جنتها	شمسا من الصبها لم تحتجب
انشأت حريا بين فرسانها	تجري بنا فيها خيول الطرب
أرمحها الشمع وأسيافها	نار الغضا والدم ماء العنب
نسمح للراح بأرواحنا	لكننا نرجع فيما نهب
تحت سماء من دخان لها	وئب شرار كانتفاض الشهب
إذا النسيم يشق أغصانها	حسبها السنة تصطبخب
فانتصب الشمع فكلفتة	أن يطلع الأترج فوق الذهب

وله مدحة في القاضى الفاضل تعد من عيون شعره ، وقد استعملها بمقطع خمري لقي قسطا وافرا من عناية القدماء ، فأورده ابن نباته في مختاراته كما ذكره ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » والصفدى في الترجمة التي قدمها عن شاعرنا في « الوافى بالوفيات » ، الخ .

وهذه المدحة تبدأ بقوله :

دغته المثاني وادعته المثالث	فها هو للندمان والكأس ثالث
وقارف قبل الموت والبهث قرقفا	يعاجله منها ميت وباعث

وكان الهوى أبقى عليه صباية من اللب واقفاها من الكأس وراث
فقام إلى أم الحبائث إنها بها أبدأ تصفو النفوس الحبائث
وأحيا بروح الراح جسم زجاجة على يده منها قديم وحادث
وكم قال للصبياء لاني حالف فقلت له الصبياء إنك حانت

ولا شك أن أثر أبي نواس واضح هنا تمام الوضوح .

وأما أبو الطيب فإنه عميق التأثير لا فى ابن قلاقس وحده ، بل فى شعراء
القرن السادس الهجرى بصورة عامة ، حتى ليقول ابن الاثير :

« كنت سافرت إلى مصر سنة ٥٦٩ هـ ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب
دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن ذلك وقلت : إن كان إبا الطيب
دخل مصر ، فقد دخلها قبله من هو مقدم عليه ، وهو أبو نواس الحسن بن هانىء
فلم يذكر والى فى هذا شيئا ، ثم لاني فاوضت عبد الرحيم البيهسانى (القاضى
الفاضل) فى هذا فقال : إن أبا الطيب كان ينطق عن خواطر الناس (٢٠) » .

وفى أعمال شاعرنا نماذج كثيرة يتكى فيها على معانى المتنبى وأساليب
الصناعة عنده ، ولكن تأثير المتنبى — فيما نظن — يمتد إلى أبعد من هذا ،
فشاعرنا فى جوهر أمره « متنبى صغير » ، عاش غريبا ومات غريبا ، وقد عرف
الفقر مثله ، وعانى المهانة ، وامتلا إحساسا بأنه خالق بالسيادة . وكان المتنبى
شديد الحساسية حاد المزاج ، يحيط به الحساد والاعداء أينما حل ، ولعل نفسية
ابن قلاقس تأثرت بشيء من هذا ، إذ نجد فى حياته شديد التوجس كثير الخصام
لا يستقر على حال ، ولا يرضى بواقع ، وقد نراه يترنم :

وما زالت زوار الملوك مبهجلا عزيزا عندها متكسرا

كما نراه كثير المدائح ، ولكننا نظن أنه كان واسع الطموح ، وثابا لأن
يثرى ويصبح في غنى عن التكسب بالشعر ، مما دفع به إلى حياة الغربة والترحال ،
وإذا كان المتنبي قد لقي حقه في أعقاب « رحلة مديح » فإن شاعرنا السكندري
وإفاء قدره ، وهو عائد من مغامرة - خاسرة - كان يتطالع أن يثرى فيها عن
طريق التجارة ، ولكنه لم يعد منها إلا بالعطايا التي أفاضها عليه باسر بن بلال .
وبما لا شك فيه أن هذا التشابه في المصير ليست له سوى دلالة رمزية .

وفي شعر ابن قلاقس أكثر من اقتباس من شعر أبي الطيب فمن ذلك أنه
ضمن شطرة :

هكذا هكذا والا فلا لا

والأبيات التي منها شطرة :

وانى عنك بعد غد لغاد

وكذلك :

أناشد أثابنا مدائح

كما نجده ، وقد هدت الحمى قواه يكتب أبياتا على البديعة يعارض بها قول
أبي الطيب في نفس المعنى ، ونراه يصف رجلا كث اللحية قائلا :

جاءنا يحمل ذقنا - حسبك الله وحسبي

شعرها لو كانت شعرا - كانت مثل المتنبي

وفي حياة الشاعر ما يجزم بأن حبه للمتنبي ومصاحبته إياه يعودان إلى فترة
شبابه الباكر ، أيام أن كان يعمل ناسخا للكتب لدى ابن خليف ، وهناك قصيدة له
يعتذر فيها عن عدم تمكنه من إنجاز ديوان أبي الطيب بسبب ما كان فيه من عسر
مادى .

موضوعات القصيدة :

من العسير — في الحيز ، الذي نريده لهذا الفصل — أن نتناول كافة موضوعات القصيدة عند ابن قلاؤس ، ولكننا سنتوقف امام الملاح العامة لهذه الموضوعات .
وأهم غرض تناوله هذا الشاعر غرض المديح ، فما أكثر المدائح التي كتبها وما أكثر الممدوحين الذين سعى اليهم بشعره ، وهو في هذه المدائح الكثيرة يتقلب بين مستويات شديدة التباين ، فهناك الملوك والوزراء وكبار الساسة ، وهناك من لا يساؤون في معيار التاريخ خردلة ، هناك مدائح في صلاح الدين والقاضي الفاضل والخليفة عبد المؤمن بن علي وفي ملك صقلية . . الخ . وهناك مدائح في أناس مغفورين لاحظ لهم من يجد أو شهرة .

وعدد لا بأس به من هذا المدائح يبدأ بالغرض مباشرة ، مثل مدحته في صلاح الدين الأيوبي وقائده ابن مصال :

راح يرعى في طراذه طرده فالسمر لا السمر تيمت كبده
أو قوله في شاور السعدي وزير مصر
بك الاسلام قد لبس الشبابا وكان سناه قيد ولي فأبسا
ومدحته في شاور كذلك :

عارض الصفح في يدك الصفاحا ورآى البأس أن تطيع السماحا
وعشرات من المدائح التي دمجها في ابن بلال تدخل على الموضوع بلا تمهيد
فن ذلك :

صدرنا وقد نادى السماح بناردوا فعدنا إلى مغناك والود أحمد

وتبدأ قصيدة أخرى :

أنا من جوارك في أعز مكان ومن اصطناعك في منى وأمان (٢١)

ومن هذا النمط مدحته في ملك صقلية :

يقر لغليم المليك بن غليم سليمان في ملك داود في حكم
وهناك مدائح تبدأ بالوقوف على الاطلال أو بالخمر أو الغزل (٢٢) ، وما بدأ
بالاطلال قوله :

لمن رسوم الديار باللب قد درست من تعاقب الحقب

ومنها كذلك مدحة له في الحافظ السلفي مستهلها :

بين السوى فالجزع فالمتشم دمن نخلت من بعد أم الهيثم
ولقد وقفت بها وقوف متيم زمنا أسائلها فلم تتكلم
وهو هنا يسقى الاطلال بدموعه ، ويتذكر الأحبة الذين بعدوا عنه ، ثم
يستدير إلى موكب الحبيب المتجه إلى مكة ، مناشدا إياهم أن يبالغوا تحياته إلى
المحبوبة ، فإن نسوا أو أهملوا فـ :

لا عرسوا بمفى ولا بلغوا المفى فيها الزمان ولا سقوا من زمزم
ولا يفوت الشاعر أن يبرأ بلوم العاذل ، ليكون هذا آخر العهد بالمقطع
الطللى ، لأننا نراه بعد ذلك يمتطي جواده والاسحجم الهزج الأصيل ،
يسرى به :

كالنجم في وسط الغبار الاقتم
ولم ؟ الأحبة ؟ لا ولكن :

حق أقبل راحة الحبر الذى فاق الورى وعلا علو الأنجم ا
ومن المدائح ما يبدأ بالغزل مباشرة كمدحته التى مطلعها :
لمن الحمول بنجدة تسرى يدرين ما حملت ولا آدرى

أو ما يبدأ بوصف الترحال ، كقوله :

دع عنك ذكر منزل بالأبرق أماته حيا السحاب المغدق

وهذه المدائح جميعا في شيخه الحافظ السافى ، وهناك قصائد أخرى متنوعة
سار فيها على هذا النمط ، ومن المدائح ذات المقطع الخرى ما قاله فى القاضى
الفاضل :

دعته المئانى وادعته الممالك فما هو للندمان والكأس ثالث

وأما الرثاء فإنه لا يحتل فى الديوان إلا منزلة ثانوية ، وأبرز ما له فى هذا
الموضوع المراثية التى رأينا أنها ذكرت مرة على أنها فى رثاء الملك المنصور وذكرت
مرة أخرى على أنها فى ابن رجا قاضى صقلية ، ومرثية كتبها فى القاضى الجليل
ابن الحجاب

وأما الوصف فقد مرت بنا منه ألوان متنوعة ، ورأينا كيف بلغ فيه منزلة
رفيعة ، خاصة حين يتصل الموضوع بوصف البحر وأحوال السفر ، ونجد له
نصوصا عديدة فى وصف آلات الحرب ، وبجائن اللهى على النيل ، ووصف منارة
الاسكندرية ، وما قاله فى وصف صياد يلقى بشبكته فى الماء :

وأشعث مثل أهل النذر ثاو باخضر كل شط منه جنة
على يمينه أحداق صغار ترى كالماء عنه فهو جنة
فيرسلها إليه وهى درع ونأية وقد ملئت أسنة

ومن تشبيهاته الجميلة :

وأدم كأنراب سواد لون يطير مع الرياح بلا جناح
كساه الليل شمسته وولى فأقبل بين عينيهِ الصباح

أو قوله في وصف عوادة قبيحة :

عوادة غبت لنا صوتها يشبه نزع الروح والموتسا
كأنها والعمود في حجرها ناكلة قد أسندت ميتا
شبهتها من فوق أوتارها بمنكبوت نسجت بيتا
شكل القصيدة بين المحافظة والتجديد :

يسير القسط الأوفر من شعر ابن فلاقس وفقا للنمط المسألوف للقصيدة ،
وليس في هذا الامر ما يستحق الإشارة باستثناء ما يلاحظ من إكثار الشاعر
— إكثارا نسبيا — من استخدام بحر المنسرح ، ولجؤته إلى عدد من القوافي
الصعبة كالصاد والضاد وأشباهها .

ونصادف هنا وهناك عددا من القصائد التي تخالف البناء التقليدي ، فعن
ذلك مدحة له في السلفي ، أروها :

نيم قلبي أغيب وظن فيه الجلب . وليس لي من يسعد
عليه مذ فارقه في
الله في قتل فتى ذى كبد قد فتسا فكم وحقى ومقى
بعد الرضا تسخطى

ومن الأشكال الأخرى قوله في مدي السلفي كذلك :

يا عاذل لا تطيلا عــــــذلى
إني عن غذلكما في شغل
رضيت بالهوان والتذلل
في حب من في الحب لا يرق لي

ظبي ظبا أجفانه كالمرهف
ناهيكه من أغيد مهف
لو أنه في كل حال منصف
لفزت منه بالنعيم الأكل

ومن أبدع أعماله أرجوزة طويلة في السلفي راعى فيها تغيير القافية بعد كل

شطرين :

إن جوى لو يذهب الأوجالا يخفى الهوى ودمعه مطالا
أرقسه الحب وأضيق جسده وأشمت الوجد به من حسده
فبـات بين السقم والسهاد يبكي بدمع رائع وغادى
وقد أطال فيها من وصف المحبوب ثم تسلسل من الغزل إلى الحديث عن
مجلس الشراب ، حيث أرسل الموقد أنفاسه الحارة كالعقيق وراحت الأطياف من
حوطهم تصدح ، ، والأرض تفتت عن أزهارها ، إلى آخر هذه الاستطرادات
— التي استغرقت قرابة خمسين بيتا — وصلنا بعدها إلى المديح :

والعيش كل العيش في عصر الصبا لله ما أحسنه وأعذبا
سقيت يامعاه — د الأحباب بعسارض منمهل الرباب
مثل ندى الحافظ دين أحمد ذى المنزل الرحب وذى الندى
ولعل الشاعر نسجها على منوال أرجوزه ابن المعتز التي تحمل اسم دهم الصبوح ،
والتي منها :

ألا ترى البستان كيف نورا ونشر المنثور زهرا أصفرا
وضحك الورد إلى الشقائق واعتق القطر اغتاق وامق

لكى شخصية ابن قلاقس فى أرجوزته واضحة كل الوضوح، وقدرته على توليد الصور وصياغة المعانى مكتملة هنا للغاية .

وكان لهذا الشاعر إسهام فى مجال الموشحات ، ويتمثل ما نعرفه حول هذه النقطة فى نص وحيد ، يضاف إليه مطالع موشحة أخرى ضاعت مع الزمن ، وأمله ألف فى الموشحات غير ما ذكرنا ، لأن النص الذى وصل إلينا كاملاً يكشف عن نضج فنى ، ووعى بالاصول العامة التى تلتزم فى هذا المضمار .

ومن ناحية أخرى فإن وجود موشحة فى شعر ابن قلاقس يعد فى حد ذاته نقطة هامة فيما يتصل بتاريخ فن التوشيح بالشرق ، لأنه يصحح أخطاء من زعموا أن ابن بناء الملك د هو أول الوشاحين المصريين ، ، ويمكن القول أنه فى حدود معاوماتنا حول الموشح المشرقى ، يعد من أوائل الوشاحين المصريين ولم يسبقه إلى التأليف فى هذا الفن أحد باستثناء ظافر الحداد وابن عياد ، وكلاهما من شعراء الاسكندرية (٢٣) .

ولم نثر على مصدر ما يبرز دور ابن قلاقس فى الموشحات ما خلا الصفدى فى « توشيح التوشيح » و « اوائى بالوفيات » ، وقد جاء فى مقدمة الكتاب الأول ، عند الحديث عن وشاحى أهل المشرق :

« . . ومن أهل الديار المصرية القاضى السعيد هبة الله ابن سعيد الملك . .
ونصر الله بن قلاقس ، والاسعد بن نماتى ، وابن وزير ، وابن المنجم ، الخ . . . ويعد ابن قلاقس أقدم من ذكر من الوشاحين المشاركة ، وأما فى « الوافى » فإن الصفدى يحتفظ لنا فيه بالنص الوحيد الذى ألمعنا إليه ، والذى يستعمل به :

نهيت عن نصحى	من رام أن أحو	فما انتهى
وكيف للائم	أن يغتدى الهائم	كما انتهى

ولدينا — كما قلنا — مطلع موشحة أخرى ، عثرنا عليها في ديوانه (نسخة
دبلن رقم ٤٦٢٦) فقد وردت في هذه المخطوطة قصيدة في مدح الكامل بن
شاور مستهلها :

منع السلو لعاذر ولعاذل غيد يحلى جيد عاط عاطل

وجاءت قبلها جملة تقول إنه أنشدها بين يدي موشحته فيه التي أولها :

ضحكت إلى الأحباب عن ثغر الحباب

ولم نعثله على أى شعر كتب باللغة العامية ، وإن كنا وجدنا في بدائع البدائنة ،
بليقة زجلية كتبت في هجاءة .

بين الصنعة والطبع :

لعل القارىء تعرف ، في الصفحات التي مرت ، على طبيعة شعر ابن قلاؤس ،
ومدى تأرجحه بين الطبع والصنعة ، مما يجعل حديثنا هنا عن هذه النقطة بمثابة
الكلمة الختامية التي نلخص فيها القول عنه وعن فنه .

ومن الطبيعي ، ونحن نعرض للصنعة ، أننا نغنى بها المبالغة في الاستعمالات
البديعية التي كان داؤها قد استشرى في الشعر العربي منذ زمن بعيد ، ولا ننسى أن
ابن قلاؤس يوصف في عدد من المراجع بأن شعره يمتلىء بالجناس وضروب
التصنع والتكلف ، (٢٤) ولعل هذا الحكم قفز إلى أذهان الدارسين فور قراءتهم
لإحدى قصائده التي تركز على التكلف ، مثل قوله :

لا أشرب الــــراح إلا ما بين شاد وشادن

وإن فنيت فعنــــــدى إلى معاد معادن

قم يا نــــــدى فأنصت والليل داج لداجن

غنى وزىاح وفنزء..... ت ثوب خاشن مخاشن
طـاوع على القصف والعز فى كل حاسن محاسن
هات الكيت وأهـ..... منها بضاف وصافن
ائـور من ذا ومن ذا فى كل غاب وخابن
وان رمى فى اللـىـالى يوما بـداه أداهن

أو قوله — وهو موغل فى الركافة والتكلف ، :

ومتتصر فى منع مقلوب عقرب بما تحته من لسع مقلوب بوقع
أبت شمسـه الا الغروب وقد سما بها كلانى فى كل عضو بيوشع (٢٥)

ومن قبيل مطلق ردىء ، ، استحوز — مع ذلك — على إعجاب كثير من
أدباء العصر المملوكى ، فذكروه مرارا فى كتبهم ومختاراتهم :

قرنت بواد الصدغ صاد المقبل وأعربت فى لام العذار المسلسل

وهذا الذى يؤخذ على شاعرنا له نظائر عند جل الشعراء الفاطميين ، ود. محمد
كامل حسين يعال ذلك بأن الفاطميين كانوا مولعين بالألوان الحسية وبالمغالاة فى
كل شؤون حياتهم ، وكان الشعر فى تصنعه هذا صدى للمغالاة التى تصبغ عصرهم (٢٦)
وأما د. شوقى ضيف (٢٧) فيرى أن هذا العصر لم يترك للمصور التالية شيئا ، فقد
أكثر الشعراء فيه من الألفاظ ، وكتبوا الموشحات ونهجوا نهج الحريرى وغيره
من المتكلفين ، وحق (التورية) التى زعم الصفدى وابن حجة أنها من اختراع
القاضى الفاضل لها نماذج فى شعر القرن الخامس الهجرى .

وإذا كان هذا شأن جل شعراء الحقبة الفاطمية ، فلم يوصف ابن قلاقس على
نحو نجاعن ، بالتصنع والتكلف ؟

ففي حسابنا أنه يمكن تقديم إجابة لهذا السؤال حينما ننظر إلى مجموعة من العوامل المتشابهة منها ما هو قديم أصيل ، ومنها ما هو حديث طارئ ، فقد عاش شاعرنا في حقبة ضمت من هم أعظم منه شاعرية ، مثل المذهب بن الزبير وأخيه الرشيد ، وعمارة اليمى وغيرهم ، إلا أن هؤلاء لم يكونوا منقطعين للأدب كما انقطع هؤلاء ، وكانت غالبيتهم تنبؤاً مناصب هامة في الدولة ، أو تسعى إلى ذلك سعياً حثيثاً ، وقد علمنا أن عمارة اليمى اعتزل الشعر في الفترة الأخيرة من حكم شاور ، وعرفنا أن دواوين معظم شعراء العصر ، مثل الرشيد بن الزبير ، والمذهب ، والقاضى الجليس . . الخ ضاعت مع الزمن ، ولم تبقى منها إلا شذوَر متناثرة ، أما ابن قلافس فإنه ظل في الأذهان أديباً وشاعراً ، وهكذا نجد أن ابن خلكان لا يؤرخ لغيره من الشعراء المصريين في القرن السادس الهجرى ، ونجد ابن نباته يجمع في كتاب منتخبات من شعره ، وابن حجة يؤلف دناضج ابن قلافس ، والصفدى والعمرى والنواجى يوردون في مؤلفاتهم مختارات متنوعة كثيرة له .

فإذا وصلنا إلى العصر الحديث رأينا أن ديوان ابن قلافس يظل متوارياً عن العيون — إلى يومنا هذا — ولا يعرف الدارسون إلا المقتطفات المبثوثة في مؤلفات من ذكرنا ، وهم من أدباء العصر المملوكى الذين يؤثرون — في الغالب الأعم — النماذج ذات الطابع البديعى ، وما زاد الأمر تعقيداً أن خليل مطران نشر اختيارات ابن نباته من شعر ابن قلافس على أساس أنها ديوان الشاعر، وكان هذا الديوان المبتور المرجع الأول لمن تناولوا أعماله في عصرنا الحديث .

والحق أن في شعر ابن قلافس ما يجيء صافياً متدفقاً عذبا لا تكلف فيه ولا سقم ، ولعل في ما سنقدم من نصوصه في صقلية خير دليل على ما نقول ،

وبمعنى آخر إن المرء يستطيع أن يتخير من شعره ديوانا صغيرا يجيء كله (أو جله) شعرا خالصا لا عبث فيه ولا تكلف، ونستطيع أن نعرّضه على ما يملأ كتابا صغيرا يجيء مثالا للتكلف والتهافت والركاكة .

وإذن فإننا نعلم بأن في الأمر تناقضا ، لكنه تناقض لا يفصل عن الجو العام الذي أحاط بالقرن السادس من كافة وجوهه الأدبية والاجتماعية والسياسية ، ولا يتناقض وحياة الشاعر نفسه ، هذه الحياة التي كانت مزاجا من الجد والعبث ، ومن المغامرة والطيش والتعقل ، ومن السعي الحثيث نحو غايات لم يكن هناك من سبيل لتحقيقها ، ومن طموح عمر قدر له أن يذوى وهو في شوخ الشباب .

مراجع وتعليقات

(١) من الدواوين التي ظهرت ديوان عمارة اليمنى ، وقد نشره ديرنبور ، وظهر كذلك ديوان أسامة بن منقذ وديوان القاضى الفاضل وديوان سبط بن التعاويذى وديوان ابن الساعاتى وديوان طلائع بن رزك ، كذلك كان لنشر وخريدة القصر ، وغيرها الفضل فى التعريف بعشرات من شعراء القرن السادس الهجرى ، لكن هذه الدواوين لم تدرس حتى يومنا هذا دراسة وافية ، وقد عقدت بعض دراسات حول أسامة بن منقذ وعمارة اليمنى والقاضى الفاضل . . الخ لكن حياة هؤلاء الأدباء استحوذت على الجانب الأعظم من اهتمام الدارسين ، وأما الأعمال الفنية نفسها فإنها ما تزال فى حاجة إلى من يعكف عليها ويبرز سماتها .

(٢) للزيد من التفصيلات يراجع كتاب « الزومانيكية » للدكتور محمد غنيمى هلال .

(٣) طبقات الشعراء ص ١٩٥ .

(٤) فى ديوانه (نسخة دبلان ٤٦٢٦) قصيدة تصدرها عبارة : « وقال على لسان غيره وتعرف المقولة على لسانه . . » وهى قصيدة مدحية لعلماء فى أبي الحسن على بن خليف ومطلعها :

بقيت فى السعد موصولا مدى الزمن ودمت للمجد أهلا يا با الحسن
وفى نفس الديوان قطعة ثانية من سبعة أبيات تصدرها جملة « وله مما كتب على لسان غيره ، وأول الايات :

لقيت حمادى إذ لقيت حميمى وغوضت من هماته بهيموم

(٥) هناك أبيات متفرقة قالها السلفي ، ليست بذات شأن ، فن ذلك :

أنا إن بان شهبائي ومضى فربى الجسد ذهني حاضر
واثن خفت وجفت أعظمي كبرا ، غصن علوي ناضر

(٦) من الأمثلة الأخرى لمثل هذا الشعر الوعظي عند ابن قلاقس :

طوبى لمن ترك اللذات وازدجرا وكان لم يقض من جهل الصبا وطرا
ما العيش إلا لمن ما زال ليلته جنح الدجى قائما عن ذاك ما فترا

وكذلك أبيات كثيرة في قصيدته :

لمن ربوع مفسرات بالوى فالمنحى فذى الأراك فالوفا

والقصيدتان في مدح السلفي ؛

(٧) ، (٨) مبتدأ سورة النحل ، أتى أمره فلا تستهجلوه ، ومنتهى سورة ص
والتعليق نبأه بعد حين ، ولا شك أن مثل هذا البيت يكشف عن إستيعاب عميق
لآيات القرآن الكريم .

(٩) إقتبسه من الحديث الشريف ، حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار
بالشبهوات ، أنظر د معاهد التنصيص ، ج ٢ ص ١٥١ .

(١٠) من هذه الأمثلة قوله :

سأحمد من فكرى اليك جواهرأ من الشعر قامت للمقهصر بالعدر
نخضت بها الأشعار حتى كأنها وإن رفعتني الآن من أحرف الجر

وقوله :

لئن لوني الدهر في حلجة عزيت بأحمرها أحمرى
لما أطلعتني يمين الصلا هنالك من عقدة المنصر
ولا كل فعلى قد صرفا سواء سواء على المصدر

وفى الترسل (النص رقم ٢١) تفصيلات عن د ندوة ، اشترك فيها فى نخرة
بغرة رجب سنة ٥٦٦ وكانت حول قضايا نحوية أظهر فيها — بحسب روايته
هو — كثيراً من البراعة .

(١١) فى د الترسل . .

(١٢) وفيات ج ١ ص ٢٢ (طبعة محي الدين) .

(١٣) العباسى (معاهد التنصيص) ج ٢ ص ٢٣ وانظر الغيث المنسجم (شرح
لامية العجم) ج ٢ ص ١٦١ (ط القاهرة ١٢٩٠ هـ) .

(١٤) انظر الشعر والشعراء ، ط . شاكر ج ١ ص ٣٣٩ .

(١٥) الخريدة ، القسم المصرى .

وانظر أبيات ابن قلاؤس فى معجم البلدان لياقوت (ط . بيروت) مادة

د بلرم . .

(١٦) الغيث ١٥٣/٢ ، والتفجيه إلى التشبيه ورقة ٧٨ ب .

(١٧) عبد العليم القبانى د شعراء الاسكندرية ، ص ٩٦ .

(١٨) أحمد النجار د النتاج الادبى ، ص ١٦٠ .

(١٩) نشير هنا إلى بيت للشاعر يقول فيه :

أشرب خمرا ثم أبكى دما كأننى أبكى الذى أشرب

وهو ينضح بروح د الاعتراف ، ، وإذا كنا لا نستطيع الجزم بشئ حول
هذه النقطة ، فإن ما نرجحه أنه كان من المدمنين لبنت الحان ، بدليل هذه الكثرة
فى وصف مجالس الشرب واللهو ، ولا غرابة فى أن يكون ابن قلاؤس شيخا ومقبلا
على الخمر فى الوقت نفسه ، فقد ذكر المقدمى فى د أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ أن

« المشايخ في مصر لا يتورعون عن شرب الخمر ، كما أشار المقرئ إلى إنتشار الخانات في القاهرة والقسطنطينية وغيرهما من المدن .

(٢٠) الوشى المرقوم ص ١٠ .

(٢١) من مدائحه الأخرى في ياسر بن بلال ، مما يبدأ بالغرض الرئيسى مباشرة

نجوم علاك قد طلعت سعودا	وعرف سنالك فينا فاح عودا
و : أحكم على الثقلين الإنس والجان	فأنت أقوم بالملك السليمان
و : آيات مجدك لم تنزل تتلى	وصفات مجدك لم تكن تبلى
و : إليك من ملك سام ومن ملك	كانت لنا الفلك مرقاة إلى الفلك
و : يربيع الذئب حيث سواك راع	ويشلم غير نصلك بالقراع

ومن المدائح الأخرى التى تبدأ بالموضوع بلا تمهيد قوله فى شاور :
 طليعة جيشك النصر المبين ورائد عزمك الفتح اليقين

(٢٢) من أمثلة ذلك قصيدة مطلعها :

وعدت ولم تف لى بذاك الموعد فغدا الغرام غريم قلبى المكمد

(٢٣) ناقشنا قضية الموشحات وانتقالها للمغرب فى بحث مفصل بعنوان
 « نشأة فن التوشيح بالمشرق ، مجده القارىء بالمجلد الثانى من مجلة « كلية الشريعة
 والدراسات الإسلامية » بمكة المكرمة ، كما تناولنا دور ابن سناء الملك بالتفصيل
 فى دراسة عن « ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز » نشرت فى مجلة « الثقافة »
 القاهرية أغسطس ١٩٧٨ وفى كتابنا « الموشحات الأندلسية » .

(٢٤) د. شوقي ضيف « الفن ومذاهبه فى الشعر » ص ٤٧١ . وانظر كذلك

د. محمد كامل حسين « فى أدب مصر الفاطمية » ص ٢٦٢ .

(٢٥) علق العباسي في « معاهد التنصيص » ، ١٨٩/٢ على هذا البيت قائلا إنه شاهد من شواهد التلميح : وهنا إشارة إلى يوشع بن نون واستغاثته بالشمس فإنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل قتالهم فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

(٢٦) « في أدب مصر الفاطمية » ، ص ٣٠٧ .

(٢٧) « الفن ومذاهبه في الشعر » ، ص ٤٨٢ .

القسم الثالث

النصوص الصقلية

امتدادا إلى مخطوطات القاهرة — باريس — دبان — فينا — برلين —
ليننجراد — نيوهافن

تمهيد

هذه مجموعة من النصوص الصقلية ، من شعر ابن قلاؤس الإسكندري ومن آثاره النثرية ، استقيناها من مخطوطات ديوانه بنسخه المختلفة (دبلن - باريس - فيينا - لينجراد) ، وقابلنا هذه النصوص على ما تيسر لنا من مصادر مطبوعة أو مخطوطة ، وبخاصة المختارات التي انتخبها نباتة من الديوان ، والقطع النثرية والشعرية التي أتى بها العماد الاصفهاني من كتاب « الزهر الباسم » ، وكتاب ابن حجة الحموي ، ناضج ابن قلاؤس (مخطوطة نيومان) ، وترسل ابن قلاؤس (مخطوطة التيمورية) .

وقد رصدنا الفروق الهامة بين النسخ المختلفة ، وإن كنا آثرنا ألا نسجل ما هنالك من اختلافات بين نسخ و المختار من ديوان ابن قلاؤس ، - صنعة ابن نباتة - إلا في الحالات المتميزة فحسب حتى لا تزدهم الهوامش بذكر ما لا جدى منه من الأخطاء المطبعية والإملائية العديدة التي صادفناها .

ولم نشأ أن نورد من النصوص إلا ما ثبت لنا أنه يتصل بصقلية ، من إشارة في مستهل القصيدة أو الرسالة ، أو دليل في العمل نفسه .

ومن النصوص التي وقفنا حائرين بإزائها برهة من الزمن قصيدة أولها :

تشدذوها من القيدود رماحا وانتضوها من الجفون صفحا

ففي الديوان أنه قالها في مدح « أبي الحسن » علي بن الشيخ أبي القاسم بن أبي

الفرج سنة ٥٦١ وأبياتها :

عسني جاء من أبي الحسن الندب ب فرد الحسن عندي قباحا

نحسبه بالطروس روضا أنيقا ينجليهم أشعة إيقا وأقبا

وكفاه من المعاني اللواتي يجتليها حجاب روحا وراحا
من أبي القاسم إقتسمت صفات زدت أوضاحها لها أيضا

وخيل لنا وقتها أن أبا الحسن هذا قد يكون ابنا لأبي القاسم ابن الحجر
(الصقلي) إلا أن معاودة النظر أثبتت لنا أن هذه المدحة في أحد
رجال الإسكندرية .

ويجىء في الخريدة أكثر من قطعة في بعض المخططين هي قوله في
وصف مغن :

لا أشرب الراح إلا ما بين شاد وشادن

وقطعتان في ذم زامر ، ورابعة في وصف مغن ، وهذه النصوص تجوز
في الخريدة (وفي الديوان) مسبوقة ومتبوعة بنصوص صقلية ، ولكننا لم نشأ
إثباتها هنا ، لأن محتواها لا يؤكد أنها كتبت في أثناء الرحلة الصقلية .

وتحتوى إحدى نسخ الديوان (مخطوطة دبلن ٣٨٠٠ ورقة ٩٠) على مقدمة
قصيدة هي ، « وصنع في الحضرة القائدة جدد الله سعدا ، وأسعد جدها قصيدة
تعي شكل خانم ، وتستقرى منها أوصاف كعب وحائم وهي : » ، ويدها
بهاض في بقية الصفحة ، والمرجح أن الإشارة هنا للقائد أبي القاسم بن الحجر ،
فذلك لم تثبت قصيدة أولها :

غفلوا شمرهم عنائم ونظروا جفونهم صبورهم

تجىء في « المختار من ديوان ابن قلاقس » على أنها في ممدح « أبي
الغنائم الصقلي » ، وقد استندنا في إسقاطها على ما جاء في « ترسل ابن قلاقس » ،
« وكثب إلى أبي الغنائم بن أبي الفتوح الكوفي متولى الفرضة يشقر عدن ،
في ذيل قصيدة مدحه بها أولها :

عقدوا شعورهم عمائم

كذلك ترد هذه القصيدة في مخطوطه دبلن (٤٢٢٦) على أنها في مدح
« صاحب ديوان ثغر عدن » .

• • •

وإننا ، ونحن نقدم هذه المجموعة ، لنأمل أن يتباح للكشف عن مخطوطه
« الزهر الباسم » التي تحتوى ، بلاشك ، على الكثير من النصوص الصقلية الأخرى .
والحمد لله رب العالمين .

اختصارات

- د ١ : مخطوطة دبلن رقم ٤٢٢٦ .
- د ٢ : مخطوطة دبلن رقم ٣٨٠٠ .
- ب : مخطوطة باريس رقم ٣١٢٩ .
- ف : مخطوطة فيينا رقم ٤٦٨ .
- ل : مخطوطة ليننجراد رقم ٢٩٧ .
- المختار : المختار من ديوان ابن قلاؤس طبعة خليل مطران
- بر : مخطوطة برلين ٧٦٩٤ (من المختار)
- ترسل : ترسل ابن قلاؤس ، مخطوطة التيمورية .
- الخريدة : خريدة القصر (القسم المصرى) .
- مسالك : مسالك الأبصار (مخطوطة القاهرة) .
- مطلع : مطلع الفوائد (مخطوطة باريس) وطبعة دمشق .
- الغيث : الغيث المنسجم (ط . القاهرة) .
- نفع : نفع الطيب (ط . القاهرة) .
- تأهيل : تأهيل الغريب (مخطوطة باريس) .
- حلبة : حلبة الكميت (ط . القاهرة) .
- التذكرة : التذكرة الصفدية (مخطوطة القاهرة) .
- ياقوت : معجم البلدان (ط . بيروت) .
- وفيات : وفيات الأعيان (ط . عي الدين عبد الحميد)

- الوافى : الوافى بالوفيات . مصورة من نسخة استامبول .
- التفبيہ : التفبيہ على التشبيہ (مخطوطة باريس) .
- أمارى : المكتبة العربية الصقلية .
- أزهار : أزهار الرياض (مخطوطة باريس) .

(١) وقال ، وكتب إلى الخافض السلفي من ثغر الاسكندرية حماها الله تعالى
في سنة إحدى وستين وخمسمائة، والمكتوب إليه القائد أبو القاسم بن الحجر الصقلي:

(المنسرح)

أرقصها مطرب الأغاريد	فاستقرت هزة الأماليد
ودب نحر السرى بأذرعها	فهي على البيد في عرايد
وغادرتها الصبى بمهلكة	تفجر المساء في الجلايد
تحمّل عن روض عالج خيراً	تسندّه عن ظبائه الغيد
(٥) أجرى عليه السحاب دمع شج	ومزق البرق قلب محمود
فأغرق الريح بين أربعماء	موج وجيف يبحر قوخيد
ونخيلت ماءهم تبل صدّى	ومورد الآل غير مورد
في ذمة الشوق مهجة ركضت	تتبع زورا من المواعيد
أهدى إليها الخيال إذ كحلوا	جفون أحداها بتسميد
(١٠) وانطفأوا للأرك وهي على	عمد من البان غير محمود
عذر يمز الجفء دوحته	تحت صدوح الملل غريد
وناصح يمحص المودة لى	وليس في نصحه بمودود
[ظن فؤادى معى فأنبهه	وهو من الموج غير موجود]
سار وجيش الغرام يتبعه	تحت لواء عليه معقود
(١٥) يحط بمهولة تضل بها	على اعتراف مناجز السيد
يلقى المرجين من أسرته	بشر كفيل بحسن تمهيد
ويغتدى عند كل نـازلة	غوث صريح وغيث مصدود
ويبسط العذر عن مقصرة	بطول طول عليه بمدود

ومنها :

[عرج عنها الصباح منطلقا
(٢٠) لا يعرف الشعب المقيم بها ،
من علق البيض صارمت يده
وعمة الشيب لا خدعت بها
واللهو خدن الصبا فمذ فقدت
وأغيب الناس من ألم به
(٢٥) وفي بني الدهر كل معضلة
إن اسكروني بخمر لومهم
وموعد صاح بي فقلت له
قد أقسم الحمد لا يسير إلى
في يده للنوال معركة
(٣٠) وعنده للضيوف نار قرى
ومنها :

وتلتقى كسبه الكتاب في
بكل لفظ كأنه نفس
صحت معانيه فاقتسم إلى
وربما استضحك الخيس به
(٣٥) يهوى قوام القناة ذا هيف
جيش من الخط صائد الصيد
غير عمل بطول ترديد
فضل ابتكار وحسن توليد
عن أهرت الماضين صنديد
ووجنة العضب ذات توريد

ترد في دا مصدرة ب : « وكتب إليه بها » الخ . . مسبوقة بمذائح في الحافظ
السلفي ، وهي في الخريدة ١/١٥٢ ما عدا ١٥٠، ١٧٠، ١٨٠ مصدرة ب : =

ومنها :

دوحه محمد تميد ناضرة لمحسنات بحسن تجديد
عرضت منها لنار تجرقتي عوداً ففاحت روائح العود]

= د ومن شعره في (الزهر الباسم) قصيدة مطلعها ، والبيتان الأخيران في المختار وبر

- ١ - الخريدة : رافقها مطرب
- ٢ - دا : بمالكة
- ٤ - عالج : امم موضع
- ٥ - الخريدة : بجيب مصدود .
- ٦ - دا : توحيد . والتوحيد : ضرب من المشى السريع . الموج
الوجيف : المضطرب .
- ٩ - دا : أمدو إليها
- ١٢ - الخريدة : ينصح المودة
- ١٣ - زيادة من الخريدة
- ١٤ - دا : سار جيش
- ١٩ - هذا البيت وما يليه إلى آخر القصيدة زيادة من الخريدة .
- ٣٦ - المختار : بليس من غصونه ميد

(٢) وقال بمدينة صقلية (١) بتاريخ سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وفي منتصف شهر رمضان منها ، يمدح القائد أبا القاسم بن الحاجر ، وبنيه أبا بكر وعمر وعثمان :

(البسيط)

زهرن فاعجب لروض ما له زهر
ولا تقل لب الوجنيات يحرقها
أعجب لها غررا قالت عاشنها
سفرن والليل طرف أدم فجرت
(٥) وقن يحمان في الأجفان مرهفة
وكان من فعلها بالسحر أن هجمت
فما ارتقيت الدراري إذ سهرت لها
ولا اجتليت بدور الأفق عن كلف
وفي الحشا والحشايا صبوة كبرت
(١٠) توري زناد اشتياق استطار به
وفي فوادي لا فودي قدير هوى
نخذ من غرامى ما تملو به سورا
أما الخدور فلم يسكن بها قلقي
فإن تمنع قلبي من قلبه
(١٥) إن قلت مال فما قصدى به غصن
أنا المحب وما بي ما يقال له
خلقت كالنبع إلا أن لي ثمرا
ولا من مشيبي ولكن أدمعى شرر
لم يخفه الشعر إذ لم يخفه الشعر
محذراتك ما تملو به الصور
يوما ولم يمش في أشواقها الخدر
فما انتهى بي لعمري في الهوى العمر
أو استنار فما قصدى به قمر
أولى لك العذل أم أولى لك العذر
والنبع عريان ما في نبتة ثمر

المسال عند ذوى الإقتار محتقب والمال عند ذوى الأقدار محتقر
فإن عدمت الذى صاروا به عدما فما افتقرت وعندى هذه الفقر
(٢٠) ولم أطف بركابى إن نبا وطن ولا أطلت اغترابى إن نأى وطر
لكن بنو الحجر استدعت مكارهمهم عزى وقد كان يستدعى به الحجر
نادى لسان الندى منهم فأسمعى فقامت أعرى بجرأ كـله عـبر
ترى المواخر تجرى فى زواخره فترتقى فى أعاليها ووتجدر
من كل سوداء مثل الخال يحملها بوجنة منه فيها للضحى خفر
(٢٥) حق وردت فأروانى وأحسن بى صدر مواده يشجى بها الصدر
كانت مناقب آمـالى منقبة فالآن أسفر عن جبهاتها السفر
هذا أبو القاسم المقسوم نائله ما السيل ما البحر ما الأنهار ما المطر
محاسن إن أبو بكر تقدمها فما تأخر عثمان ولا عمر
سمعت عنهم وقد شاهدتهم نظراً فأحسن الخبر ما لم يحسن الخبر
(٣٠) كذاك جاد وأندى فيه جد ثناً فليس يعرف لا حصر ولا حصر
والشعر منه قصير عمره زهر يذوى ومنه طويل عمره زهر
فكالمواعظ سهل صوغها زبر وكالحديد ثقیل وزنه زبر
أو كالعيزون فهذى سخطها حول يغض منها وهذى حظها حور
ياقائداً قاد من وصفى له—ترته ما تحمل المسك من أنفاسها العتر
(٣٥) لله در حياء حزنته وسحيا كأنك العضب فيه الأثر والأثر
تثير بالقول أو تـثرى بجائسة فلفظك الضرب المعسول والضرد
وفى يمينك يجرى كيف تأمره ما يحسد الذكر منه الصارم الذكر
تلك البراعة من تلك البراعة إن تقصر السمر عنها طول السمر

وكم تشاجر أقوام فقات لهم إن الأصول عليها تلبت الشجر
(٤٠) أنالى فى اغترابى كل مغربة فما النفير بمعدوم ولا النفر
وشد أزرى فلم أحفل بنائية تقول أنيائها هيئات لا وزر
من بعد ما قرعتنى كل قارعة أيامها الحر لا أغياها الحر
وبت أضرب بالأشعار طائفة لو أنهم ضربوا بالسيف ما شعروا
إذا نحت القوافى من مقاطعها قالوا تكلف لنا أن يفهم البقر
(٤٥) إليك جئت بها عذراء منشدة لا عذر عندك إن لم تفضض العذر
أنصفتها بك نصف الشهر شيقة تكاد لو أخرت للفطر تنفطر
وطابقتك فمنها الدر منتظم كما رأيت ومنك الدر منتظم

ترد فى دا، وهى فى المختار ما عدا الأبيات ٣، ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٤،
١٦، ٢٣، ٢٥، ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، وفى
الخريدة ما عدا الأبيات ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٥، ٢٩، ٣٤، ٣٦، ٣٨،
٣٩، ٤٥، ٤٧، ومنها فى مسالك ١، ٩، ١١، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،
٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

- ١ — المختار، مسالك: مفرن
- ٢ — المختار: فللمعقود على أرجائها
- ٣ — الخريدة: أحسن بها .. بالنفس محمد
- ٤ — المختار: ولحن والليل .. من الأنواء
- ٥ — المختار: وقلن
- ٦ — الخريدة: أن فعلت
- ٧ — الخريدة: إلا كأصداف تم حشوها درر

-
- ١٠ — دا : لى من مشيبي ولكن أدمع
- ١١ — القتير : أول ما يظهر من الشيب . وفى المختار وبر : إذ لم يبيده
- ١٣ — المختار : أما الحذور فلم يجنح لها فلقى . . . الحذر
- ١٥ — الخريدة والمختار : ماس فما
- ١٦ — الخريدة : لا أولى
- ١٧ — دا : ما فى فرعه . النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام
- ١٨ — دا والمختار : ذوى الأوزار .
- ٢٠ — الخريدة : إن رأى وطن . . ان نبا وطر
- ٢١ — المختار : وقد كاد
- ٢٢ — المختار : أعبر سحرا
- ٢٣ — دا : زواجه
- ٢٤ — المختار : بكل سوداء
- ٢٥ — دا : سقى وددت
- ٢٩ — المختار وبر : فالخير أحسن ما لم
- ٣٠ — الخريدة : لذلك جادوا ندى فيه أجدت بنا . المختار : أجدت ثنا
- ٣٢ — الزبر : جمع زبور : الكتاب ، وجمع زبرة : القطعة الضخمة
من الحديد
- ٣٣ — المختار : مثل العيون . دا يغض منه
- ٣٤ — المختار ، مسالك : يا قائل . . من شكرى . دا : من أنفاسها
- ٣٥ — بر : حباء حزته . صبا قد . الخريدة : منه الأثر
- ٣٧ — دا : الذكر عنه
- =

-
- ٤١ = لا وزر : لا ملجا
٤٢ - دا : الحمر من أعيانها
٤٥ - المختار وجر : أن لا تقضض
٤٦ - المختار : مشبعة
٤٧ - المختار : كما تراه

(٣) وقال يمدح القائد الأجل أبا القاسم بن حمود بن الحجر بحزيرة صقلية :

(البسيط)

ألحق بنفسج فجرى وردتى شفقى	كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
قد عطل الأفق من أسماط أنجمه	فاعتد بخمرك فينا حلية الأفق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح	ونخل كاسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به	فإن للزند حلما ليس للعنق
(٥) هب النسيم وهب الريم فاشتركا	في نكمة من نسيم الروضة البق
واسترقصتق كاسترقاص حاملها	مخضرة الورق في مخضرة الورق
وبت بالكأس أغنى الناس كاهم	فالخر من عسجد والماء من ورق
كم وردت وجنات الصرف في قدح	فتحت بالمزج ما يملوه من حدق
يسمى بهارشا عيناه مذ رهقت	لم يبق في ولا قيمها سوى الرمق
(١٠) حبايبها وأحاديثي ومبسمه	ثلاثة. كلاما من لؤلؤ نسق
حق إذا أخذت منا بسورتها	مأخذ النوم من أجفان ذى أرق
ركبت فيه بحاراً من عجائبها	أنى سلبت وما أدري من الفرق
ولم أزل في ارتشافي منه ريق فم	أطفأت في برده مشبوبة الحرق
يا ساكن القلب عما قد رميت به	من ساكن القلب مع ما فيه من قلق
(١٥) لا تعجبين لكل الجسم كيف مضى	ولما اعجب لبعض الجسم كيف بقى
لم أسترى بمأى وصل طيفهم	فما له صار مقطوعاً على السرق
ولا اجتلى الطرف برقاً من مباسمهم	فما له مثل صوب العارض الغدق
في الهند قد قيل أسياف الحديد ولو	لا هند ما قيل أسياف من الحدق
لسييت ما تحت تفتير الجفون أما	خلوقة الجفن اثر الصارم الذلق
(٢٠) وبت بالجزع في آثارهم جزعا	إن جرد البرق إيماضاً على البرق

في نار وجدى معنى من تلهبه
 خوف أبو القاسم الأرزاق قسمه
 القائد القائد الضدين في شيم
 تهل الوجه منه مثل شمس ضحى
 (٢٥) وجدد النعم اللاتي نثرت لها
 وحاز وصفى دقيقا رائقا فله
 وثقل المن حتى رمت أحله
 فاست أعرف عماذا أقول له
 مضمر العزم لو جاراه في طلق
 (٣٠) رئاسة تطأ الأعناق صاعدة
 خضت بنى الحجر اليافوت واعتزلت
 تخالف الناس إلا في فضائلهم
 مراتب لابي بكر بها سبق
 زهرة عمر فيها رأى عمرا
 (٣٥) وبسطة يرتقى عثمان مضجعتها
 فضل أبو القاسم المشهور قسمه
 ولم تزل لعل فيه أبو حسن
 وطاهر طاهر الأعراض من هنس
 وللفتح من الخيرات أجمعها
 (٤٠) تبارك الله باري المجد من حمأ
 فشذوذ سد واستردوا سعد وجذوا جد
 وإن يكن لي بجسم عن ذراك مضى
 وفي قوادى ما فيه من الوسق
 عنى فقد صح إفراقى من الغرق
 كالماء يجمع بين الرى والشرق
 وانملت اليد مثل العارض الغدق
 أزاهر الروض باسم الملبس الخلق
 تشابه الحسن بين الخلق والخلق
 عل عوانق أمداحى فلم أطق
 خفف أعن عنق الأشعار أم عنق
 من بطشه البرق لم يوجد بمنطلق
 فلا كبت وهى بين النص والعنق
 قوما هم النحجر المرمى في الطرق
 فليس تنظر فيها غير متفق
 كما أبو بكر المخصوص بالسبق
 فضنها عترة الفاروق في فرق
 رقى عثمان الا ساعة الزلق
 فيهم فهم في بهيم الدهر كالباق
 فألا علو وحسن غير محثاق
 يدنو، وخيرون خير الراهن الهاق
 أبو الفتوح الذى صنى من الرنق
 وخالق الكرم الفياض من علق
 وشق وارق وفق واسمق ومسق ورق
 فإن عندك قلب فى ذراك بقى

(٥) ترد في دا ومنها في المختار من ١ إلى ٩ و ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ وفيه د وقال يمدح أبا القاسم بن حجر صاحب صقلية ، وفي الوافي من ١ إلى ٢١ ما عدا ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ وحلقة ٣٢٦ من ١ إلى ١٣ ما عدا ٥ ، ٨ وفي تأهيل (النواجي) من ١ إلى ٢٨ ما عدا ٥ ، وفي التلبيه ٣٦ البيتان ٢٢ ، ٢٣ .

وهي في الخريدة ما عدا ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ (وكذلك بقية القصيدة) وصدرها المهاد بقوله وله القصيدة السيارة التي مطلعها ، . وفي مطلع : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧

- ١ — المختار : الحق ينفج . . شفق .
- ٢ — تأهيل ، حلقة فد عطل الصبح ، فاعقد الخرك ، الأفق .
وفي الخريدة : قد عطل الحسن من أسبار .
- ٣ — جامك نجما : الجام وعاء من فضة تشرب فيه الخمر .
- ٤ — مطلع : لكل زمان ما يوافقه :
- ٥ — المختار : كنسبم الروضة .
- ٦ — المختار : بحضرة الورق ، تأهيل : في غضلة الورق .
- ٧ — كذا في دا ، وفي الخريدة : ومطلع فظلت ، المختار : فصرت والكأس من
- ٩ — المختار : ان عينه رمقت .
- ١١ — الخريدة : عني بسورتها
- ١٢ — د : اني سلت ولم أشعر .
- ١٤ — السرق : شقق الحرير .
- ١٦ — يجيء بعده في الخريدة أنه أخذه ومن شعر أبي محمد بين سنان الخفاجي ،
حيث يقول :

إذا سكنتم فقلبي دائم القلق وان رقدتم فطرفي دائم الأرق
سرت بالنوم وصلا من خيالكم فصار نومي مقطوعا على السرق

١٩ — الذلق : القاطع الحاد .

٢١ — الولق : الإسراع المتتابع .

٢٢ — المختار : حرب .

٢٥ — المختار : مثل العلبس .

٢٦ — دا : وحار وصفي رقيق رائق ، وفي المختار وبر : رقيق رائق .

٣٠ — النص والعنق : ضربان من السير الفسيح السريع .

٣٦ — ساقط من دا ٣٩ — الرنق (العكارة)

٤٠ — العلق : الدم الغليظ الجامد ، وفي القرآن الكريم « خلق الإنسان من علق »

علق ، ٢ العلق ٩٦ .

(٤) وقال :

(السريع)

نعم هو البرق على الأنعم
لاح بأعلى مضبة خافقا
وزل عن سهوة طرف الدجى
حتى إذا قابل وادى الغضا
(٥) واستقبل السفح وكم فوقه
فعندما شق كنوز الربى
قام نساء الحى يحنينه
فأشكل النوران من منعم
واشتهى الروضان فى نضرة
(١٠) ما بين وجهات إلى أعين
ومعرك بينهما لم يسول
حول حوى بات كليب له
ثمفع ضيف الدين منه القرى
يا عاقري النيب لضيغانهم
(١٥) كم من دم بات به حبيكم
وكم عيون أصبحت عندكم
أنافتم قلبى فماذا الذى
لا طرقت ربكم غارة
ولا سرت نحرهم أسرة

فأشق به ان شئت أو فأنعم
خفق لواء البطل المعلم
سقطه جل الفرس الأدم
أغضى على مدعاه المشجم
من مقلة سالحة بالدم
غن ذلك الدينار والدرهم
بين فرادى منه أو توأم
تعبق رياه ومن مبسم
إلى حياء وحياء مبسم
وبين حيرى إلى حـيرى
يفتك فيه الظي بالضيغم
بجردا من شمله المحتفى
وهو مباح ليد أو فم
غاطتم فى كعبد المغرم
كأنه ملتقط العنعدم
معدودة فى جملة الأسهم
لخفف عنكم ثقل المغرم
تسأل فيها معشرى عن دهمى
تأسر بالدامية الصيغم

- (٢٠) من كل من تصدر أسيافه
يقول إن جر كموب القنا
لو لم يكن من فتكات الهوى
ما هذه أول ما ردنى
فخل عن عتبك لى انما
(٢١) ولا تخف منى ضياعا فقد
(أقسمت بالله ولولا علا
(أن ابن حمود له راحة
المجمل المنعم ان حبرت
والكعبة الغراء لكنسه
(٢٢) فى كل يوم لوفود الندى
للحال من راحتته عندهم
يفيض بحر الجود من كفه
يملى وقل يملأ مسترسلا
سائله أو سله تجدد عنده
(٢٣) و نحل الايام ادايه
ولو أعار الليل آراءه
فضائل كادت لإفراطها
مابدا الاحسان فاحتاج أن
حلو إذا لوين مسر إذا
(٢٤) حكمه الله فأحييا به
وأصبح الشرع به قيمسا
- بضربة مثل فسم الاهتم
تأبط الضيفم بالأرقم
شفت على الحافر والمنعم
عنه بلا أجر ولا مغرم
شفتة تعرف من أخزم
حفظت عند الحافظ الأكرم
بجد أبى القاسم لم أقسم
تستجلب الحمد من المرزم
مدائح فى المجمل المنعم
يحل ما يحرم للمحرم
ببابه مجتمع الموسم
أمثال ما للباء من زمزم
فبردى بالزاجر الخضرم
حقائب المنجيد والمتهم
هدى جهول وغنى معدوم
لم يظلم الدهر ولم يظلم
ما احتاج ساريه إلى أنجم
تطلق بالشكر فيهم الإيكم
يقول راجيه ليه تميم
خوشن طبع الشهد واليقيم
نصر الكتاب الميزول المجكم
يهدي طريق السن الاقوم

غلة فهم المعشر الحسوم	يروى فيروى بأسانيده
غادره في سنة النوم	هذا وكم أيقظ ذا غفلة
من أتى في الزمن الأقدم	مقدم الذكر وإن لم يكن
من البخاري ومن مسلم	(٤٥) ولو أتى فيه لحط اسمه
سالمه وارجع دونه تسلم	يامن يجاريه إلى غاية
فكيف من كان بلا سلم	لا يرتقى للنجم ذو سلم
فرق جبين الزمن الأدهم	ياسيدا أفعاله غرة
يشجوه قولي لك صم أو صم	صم وافر الأجر وصم حاسدا
وارق وجدوا بدو عدوا سلم	(٥٠) وابق وزدوا عل وسدوا صطنع

(٥) ترد في ب ، ف ، ل ، كما ترد في ٢ ، مسبوقة في ب : د وقال يمدح
الفقيه الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصمعي رحمه الله ، (وتذكر بقية
النسخ أنها في الحافظ السلفي) وينقصها البيت الثامن والبيتان ٢٦ ، ٢٨ ، ومنها
في المختار ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ،
٤٤ ، ٤٨ — ٥٥ وذكر أنها في مدح القاضي السلفي .

وهي في الخريدة ماعدا الأبيات ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٥٥ وقد جاء قبلها : د ومن شعره في الزهر الباسم قصيدة
مطلعها :

زافقما مطارب الأغاريد فاسترقت هزة الأماليد

وبعدها : د ومن القصيدة الموردة الثانية كلمة مطلعها :

نعم هو البرق ... الخ

واذن فنحن أمام قصيدة واحدة كتبت مرة في الحافظ السلفي ، ومدح

= بها مرة أخرى ابن الحجر في صقلية بعد أن أضاف إليها الشاعر وحذف منها عددا محدودا من الأبيات .

ولسنا نملك ما يجعلنا نؤكد أنها قيلت أولا في السلفي ثم أعيد تقديمها لابن الحجر ، ولكننا نرجح هذا الاحتمال ، استنادا إلى أن العماد نقل نصها من « الزهر الباسم » لا من الديوان ، وكانتنا نفترض أن الشاعر أجرى تعديلا على النص وهو في صقلية ليتناسب والممدوح الجديد ، وأدرجه ضمن « الزهر الباسم » .

- ٣ — يجيء في بر ، وهو ساقط من المختار .
- ٤ — ب : المشخم . والمنشجم : شديد المطول .
- ٦ — الخريدة : فحينها .
- ٧ — ب : يخنينه . ف : يخنينه . المختار : قام فرادى .
- ٨ — ب ، ف : في منسم . . في مبسم .
- ٩ — ب : واشتبه النوران في نصره . حزرى إلى حزم . المختار : الروضان في نصرة . الخيرى : ضرب من الزهر . الحيرم : البقر الوحشى .
- ١٠ — ف : خرم .
- ١٢ — الخريدة : بين حمى . . من شملة .
- ١٤ — يجيء بعده في الخريدة الأبيات ١٣ ، ١٥ ، ١٦ — في المختار : البيت . . لأضيافهم .
- ١٥ — ل : كم دم به بات ١٨ ب : يسأل .
- ٢٠ — الخريدة : من دم الأهم . والأهم : لقب سنان بن خالد .

- ٢٢ — ب : لو لم يكن في :، سيقى . ل : سقى :
- ٢٤ — في د ٢ ترد الآيات حتى رقم ٢٨ مضطربة مشوهة تماما .
- ٢٥ — المختار : لا تطلبوا منى ضياعا وقد .
- ٢٩ — الخريدة : لكننا تحل المختار : بنانه .
- ٣٢ — ب ، ف ، ل ، د ٢ : بحر العلم ب : الحضور .
- ٣٦ — الخريدة : إلى الأنجم .
- ٣٩ — المختار : مقدم الفضل .
- ٤٤ — المختار : طعم الشهد .
- ٤٥ — ل : يخط . ف : يخط .
- ٤٩ — المختار : يشجيه .

(٥) وقال أيضا يهنؤه بالعيد وابلاله من مرض :

(الخفيف)

سفرت عنك أوجه الأسفار وجرت بالمنى إليك الجوارى
فرغمنا لك الكواكب يابده ر الدياجى على الهلال السارى
وركبنا على عذاب بحار أنزلتنا على عذاب بحار
واعتساف الاخطار محمد ما كا ن طريقنا إلى ذوى الاخطار
(٥) ما امتطينا أخت السحاب إلا لتوافى بنا أبا الأمطار
كل نون من المواكب فيها ألفات مصفوفة للصوارى
تقسم الماء والهواء بساق وجناح من طائر طيار
وهى ضدان من جوابح ليل قد أقيمت ومن جناحى نهار
صورت كالفيول لولا قلع أبرزتها فى صورة الأطيار
(١٠) عوضتنا الأوطان عندك والأور طار بعد الأوطان والأوطار
فاستحقت بأن تحوض عودا بعد عود وعنبر قار
إنما أنت يا أبا القاسم القما سم للجود لا على مقدار
صقلت صفحتنا صقاية من لك فوافت كالصارم البتار
وكستها خلالك الزهر طيبا أرجته بحمار الأزهار
(١٥) وسقتها بيان كفك ريا سلسلته سلاقة الأنهار
وأياديك إنهن ثمار حملتها معاطف الأحرار
ومساعيك أنهن نجوم أطلعتها مشارق الأفـدار
ومعاليك أنهن شمس مشرقك على سماء الفخار
أنت بالفصل فى بنى الحجر السا دة مثل الياقوت فى الأحجار

(٢٠) والى البيت فى الرئاسة كالبى

فـتراه وللمديح طـواف

۴-ان ترمی آیادیك باله

كل غيد أوشحت لك ياشه

لو عدت عادة لراؤك منها

(۲۵) و بھق اُتھ اقطار شعری

لم يقل فيك بعض ما أنت فيه

وبينما كان طير يمين ومحمد

قلم دبیر الاقالیم فالکے

يا طراز الديوان في الملك أصبح

(٣٠) ويبتوك الذين هم دجا الخط

فأبو بكر الذي أحرز المجد

وَتِلَاةٍ فِيمَا تَلَاةٍ أَخُوهُ

ولعثمان بن مظعون عثمان الا

حفظ الله منك جملة فضل

(٣٥) أنت كأس من المحامد والصحة

فہمناک الوری بعیدین هذا

فاستعملها مدائحاً في انتظام

وعلیک السلام - لام منی فانی

شاقق الأهل والديار وذو البه

(۱۰) عزیز علی سیری و او کہ

لِي فِي الْقُرْبِ مِنْكَ وَالْبَعْدِ عَنْهُمْ

ت اُتہ الزوار کازوار

حواله فوق أنيق الافكار

و خلال القلوب لا بالجار

س المعالی در النجوم الدراوی

تحيات عقد الزنار حل الإزار

حـين طالعتہ بمثل القطار

أين أعشاره من العشار

أصفر الظهر أسود المنقار

ب ب به من کتاب الاقدار

مت طراز الديوان في الأشعار

ب ارونا مطالع الاقمار

بِسْمِ الرّواحِ وَالْإِبْتِكَارِ

عمر عاش أطول الأعمار.

في الذي دار من حديث الدار

بان في حفظها ضنيع الباري

ة عار: من الخنا والمار

لله - وافى وذاك للإقطار

نتیجہ من منافع فی انتشار

عنك غاد أورايج أو ساری

معنى يأمركم

ت. اولی فی یوم سیری یساری

فہرست مندرجہ ذیل اخبارات

لذة في دوام كرب وسير في انتهاك وجفنة في نار
وإذا شئت فالمجرة نهر لي فيه بنات نعش سمارى
وبكنى من النجوم كثير هو ما قد وهبت من دينار

• ترد في دا ، وسبقتهما قصيدة

أرقصها مطرب الأغاريد فاستترقت همزة الأماليد
(وانظر العبارة التي تتصدرها) .

ومنها في المختار ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،
٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ يتصدرها : د وقال يمدح
أبا القاسم بن حجر ، . وهي في الخريدة ما عدا ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٦ - ٣٤ ،
٣٤ - ٤٢ يتصدرها : د وقال من قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقصده
أيام وفوده ، .

١ - دا : الحواري

٦ - المختار : ألف مستقيمة للصوار

٧ - الخريدة : والهواء لساق

٨ - دا : وهي صنوان

٩ - دا : أوردتها

١١ - الخريدة : وعثبرا من نار

١٣ - المختار : فجاءت

١٤ - دا : الدهر

٢٠ - المختار : الذواد .

٢١ - المختار : أيتق

-
- ٢٨ — دا : قمر :
- ٣٢ — دا : وبلاه فيما بلاله :
- ٣٣ — دا : وبعثان . حديث الدار : اشارة للحديث الذي
دار بين سيدنا عثمان بن عفان ووفود الثائرين الذين حاصروا
داره اربعين يوما قبل أن يقتلوه سنة ٣٥ هـ .
- ٣٨ — دا : عنك عاد :
- ٤٢ — بهامش البيت في دا : هذا البيت ربما — ؟ — قال به صفة حمام
- ٤٣ — المختار : وإذا شئت فالجيرة بحر . وبهامش نسخة برلين :
- لعله : سوارى (بدلا من سمارى)
- بنات نعش : النجوم :

(٦) وقال أيضا يمدح الفقيه أبا علي حسن بن حمود بين الحجر ويمثله بمولود،
في غرة شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة :

(السريع)

أبدى الفرند نجابة النصل	والفرع يظهر طيبة الأصل
والنبيل قد نفضت كتابه	سب السداد مسدد النبل
لا تعجبوا لليث حين غدا	وله يد عقدت على شبل
في الشمس والبدر المنير إذا	جاءا بنجم صحة النسل
(٥) والفضل ما اضطردت مناسبه	حق انتهت منه إلى الفضل
ثمر يرى كأبيه بحر ندا	واويل أوله من الطل
فترى أسرته وأسرته	متقدمين بحجة فصل
زيدت بنو الحجر الكرام به	حجرا يفجر أعين البذل
أهلا وسهلا بل يقل له	أن يلتقى بالأهل والسهل
(١٠) السعد والإقبال طالعه	وهما كذا قالا له قبلي
وافي وقد وافى الهلال مما	فقضى الحسود برتبة المثل
أنا لا أشبهه بغرة —	فاحتل منه أخص الرجل
والغيث صنو أبيه قد شحذت	كفاه سيف الخصب للمحل
والأرض قد نرعت غلائلها	ما في الصدور لها من الغل
(١٥) والدمر قد عدلت حكومته	ولطالما عدلت عن العدل
ملا الملا بسعيد غرته	فجميع ذلك منه يستعمل
وإذا رأيت الحسن من حسن	قاطرب لصدق الاسم والفعل
بحر مناسبه إلى حجـر	تربي مفاخره على الرمل
آباؤهم شتي فضائلهم	وهو الملقب جامع الشمل

- (٢٥) وعلى اليفاع له خيام ندى
وبه قریش جددت شرفا
لو قلت للساعى ليدركه
هذى البسالة دون نهضتها
وقف السوابق دون غايته
(٢٥) حظوا فقاموا تحت طاعته
وله صحاب من روى وندى
ورئاسة - نزلات بمنصبه
فاذا اختبرت وجدت معرفة
إن كان بعض الناس حين يرى
(٣٥) فقه تبين المشكلات به
وهدى مبين لم يخل أخا
وكتابة من حسن صورتها
وسكون جاش صيغ من مهل
ولرب أجوف منه قعة
(٣٥) يسا من أعاد له مناسبة
صليت باسم أخيك ممدحا
ومدحتكم فى طى مدحته
والآن تم لديك مفترض
ورأيت منصبكم فقلت له
(٤٥) والناس غيرك للفضول أقرا
- أطناها مستجمع السجل
قد كان سيد بخاتم الرسل
ارجع عميت بمسلك غفل
ماشتت من متمتع بسل
ومضى على الغلواء يستعمل
لما رآوه قام بالثقة —
بين الوبال يسمع والوبل
فتعلقت بالشيخ والطفل
صار الفقى فيها أبا الكهل
فلرب بعض وهو كالكل
وتروح مطلقة من الشكل
جهل ولو أضحى أبا جهل
تغنى عن التنقيط والشكل
فيه حراك صيغ من مهل
وكما علمت غارق الطبل
ضنت على عدة فكانت لى
فنجوت من لهب الهوى المصلى
حكما ولما أبل بالنبل
وأصبت من ففل ومن ففل
ما لم يخالف فيه بالفصل
وأثيت وحدك أنت للفضل

= ١٦ - ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠ : يتصدرها : وقال يهنيء
ابن حجر بمولود .

- ١ - المختار : طينة الأصل . بر : نجابة الأصل .
- ٣ - ١٥ : ويداه قد عقدت بالشجل . بر : ويداه قد عقدا على شجل .
- ٦ - المختار : ملك .
- ٨ - ١٣ : البدل . المختار : سيف البرق .
- ١٤ - ١٩ : ما في القلوب . ١٩ - ٢٠ : ابن حوى .
- ٢٠ - ٢١ : البقاع . واليفاع : المرتفع من الارض .
الاطناب : الحبال التي تشد الخيمة .
- ٢٣ - المهل : التؤدة والترفق . والمهل : التقدم في الخير .
- ٢٥ - المختار : با من أعادتني له سنة .. طويت .
- ٢٨ - النفل : ما شرع زيادة على الواجب ، والنفل : الغنيمة أو الهبة .
- ٤٠ - المختار : الناس غيرك . بر : للناس .

(٧) وقال يمدح القائد أبا القاسم ، ويهزؤه بشهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة :

(البسيط)

وهل إلى رفعها لولاهما سبب
قد ينضج الجمر أحيانا فيلتهب
إلى ضرام على الخدين يلتسب
يد الصبابة فيه فوق ما يجب
فعارضت دونها الأرماع والقضب
أكلة ما شككنا أنها سحيب
من العفاف على عاداتها الحجب
منه الغصون التي يحكون والكتب
لها الثغور وما شاهدتها حجب
خمر عناقيدها الأصداغ لا الغنب
من دونه حجرات أنه ضرب
فعنه حين تهب الريح ما يهب
للقائد العفة الزهراء والحسب
ليلا وأفداحنا في أفقه شهب
لم تحتجب فضة عنما ولا ذهب
عنه شراراً على حافتها يثب
مديرها : أنا بالآلحاظ مستلب
حرى تغير على أفلاقها العرب
جنابه من صروف الدهر مجتنب

لذى الظلامة عد الظلم والنسب
هيمات يطفىء ذاك الوجد موقدة
وكيف يخمّد عن صب ضرام جوى
وكيف لا يجب القلب الذى فعلت
(٥) ما هذه القضب اللدن التي اعترضت
عقدن فوق وجوه كالبدور لها
ولو رفعت ستور الحجب لانسدت
للحسن ورد فليت اللحظ يقطفه
وللشفاه كؤوس غير دائرة
(١٠) لا تنكرن فما ذاك الرضاب سوى
أولا فخل الحمى الفحل منضربت
وإن تقل أقحوان فيه طل ندى
هذى العياقة فاحسبها على وقل
ورب يوم دخان الند صيره
(١٥) كزعت في فضة منه وفي ذهب
خمر إذا الماء أورى زندها بعثت
شدت لتسليتي لبي فقال لها
يا قوم حتى بأرض الروم لى كبّد
فيا أبا القاسم الشهم الذى أبدا

- (٢٠) هل لاكتائب غير الحسن نائرة
ما طال خطبي مع خطب يحاولني
أقول فيك فتحميني وأنت بما
عجائب في المعالي ما برحت لها
واسم من الفضل لم يخص سواك به
(٢٥) شوركت فيه فكان النعت مشتركا
وعلة في رماح الخط تمنعها
جری أبوك لشأو ما اقتنعت به
ونلت من رتب العلياء غايتها
كم ملتقى طرفي عرف ومعرفة
(٣٠) مناسب رق فيها وصف مادحها
إن تلتسب لقريش فهي طائفة
تنمى لها وكذا تنمى إليك فهل
وكم وثبت بحيث الأمن مضطرب
فقممت لا العطف عما سار منمطف
(٣٥) وفك ما نصبوا من زور كيدهم
وهمل يضرك في مال محاسبة
ياقائداً دارت العلياء لمنصبه
شهدت ذا الشهر بالبر الذي ملأت
وهل تخص به ذا الشهر منفردا
(٤٠) لازالت عذب قناة الفضل خافقة
لا يقتضى جودك الأذى لمكرمة
- كما أقول لها : يملك والكتب
إلا استثارت لي الأشعار والخطب
أقول فيك بدست العز منتهب
مكرر العقل حتى لم يقل عجب
إلا كما يستبين النعت واللقب
في لفظه المندل الفواح والخطب
من أن يقاس بها اشكالها القضب
فالمجد عندك مودود ومكتسب
ثم استوت في انحطاط ذلك الرتب
إليك جاذب وصفه أب فأب
فليس يدري نسيب ذاك أم نسب
إليك بعد رسول الله تلتسب
من يحسب البدر إذ وافي به الحسب
وما يغرك في الآراب مضطرب
وقلت لا القلب عما شام منقلب
رب به رد عنك النصب والنصب
وكل مالك عند الله محسب
حتى كأنها الأفلاك والقضب
به حقائبها من قبله الحقب
وكل شهر بما أوليته رجب
عليك فوق رماح السودد العذب
إلا ونائله الفياض ينتصب

(٥) ترد في دا ، وهي في المختار ما عدا ٢ ، ٣ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ،
٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ — ٤١ وفي مسالك ٢٧ : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٦ وفي التذكرة ١٣
ورقة ١٠٦ : ١٠ ، ١٥ ، ١٦ .

- ١ — دا : الشب .
- ٢ — دا : قد ينصح .
- ٣ — دا : صرام .
- ٦ — المختار : لما ٨ — دا : عند الغصون . المختار للحسن وروحن .
- ٩ — المختار : وبر : السقا .
- ١١ — الضرب : (بكسر الراء) الهامر في الضرب .
- ١٣ — المياقة : الزجر .
- ١٤ — دا : النقع . التذكرة : في جنحه ١٥ — المختار وبر : عنه .
- ٢٦ — رماح الخط : المنسوبة إلى بلدة الخط بالبحرين .
- ٣٥ — المختار ومسالك : وقال ما نصب الأعداء من حيل . النصيب : الماء ،
والنصيب : التعب .

(٨) وقال ، وقد كلف صفة حال الارتحال في التاريخ :

(الكامل)

فظفرت عندهم بكل ضنين
لولا يقيني في علاك يقيني
ما نشرت الا لكي تطوي
لولا حسين الندب ذو التحسين
وبقيت في مقلاه كالمقلبين
وشقته بمطاعم الغسلين
وملات من أسف ضلوع سفيني
بالدين يطلب نسم أو بالدين
روض يشم فمن منى ومنون
محفوفة أبدا بحور عين
عن مال قارون إلى «قارون»
وركبت جونا كالليالي الجون
من حيث درت به يدري قريني
من ذا يمسيني على «مسيني»
بيدي إلى السيد المبادر دوني
نفسى بها في عقدة التسمين
ولو استطار بريشتي جبرين
وكلامه وعجانه المعجون
بجنونة سحبت على بجنون
بالنون أنا من طعام النون

أبليت بعدك في الأنام ظنوني
وشدوا إلى اهلك دون اهلك واجما
وخرجت أطوى عن دهرم، صحيفة
فحملت «ثومة» وهي تصحيف اسمها
(٥) في حيث شب الماء جرة قيظه
وشربت ماء المهل قبل جهنم
حتى إذا استفرغت منها طاقتي
أجفلت من «جفلوذ» اجفال امرى
مع أنها بلاد أشم يحفه
(١٠) تجرى بأعيننا عيون مياهه
وتركتها والنو ينزل راحتي
وجعلت «بقطس» عن «لبيري» جانبها
كيف الخلاص إلى «الاص» وسورها
وجعلت أنشد حين أنشد صاحبي
(١٥) فحملتها وحملت عقد عزائمي
فأفامني تسمين يوما لم تزل
بتجاف لا يستقل جناحه
برد جرى في معطفه وكفه
تم استقلت بي على علاتها
(٢٠) هوجاء تقسم والرياح تقودها

حتى إذا ما البحر أبدته الصبا
 ألقت به النكباء راحة عابث
 وتكفأت « مرقوسة » بأماننا
 وأعادنا والبر أوطأ مركبا
 (٢٥) وأتى كتاب بالمشول فقادنى
 ولو اغتدى بالصين ربك شاقى
 من بعد ما أغضت جفونك مرة
 وسعى بى انواشى إليك فكاد أن
 فركبت فوق مطا أقب مضمر
 (٣٠) لو لم يكن هاديه جزعا مشرقا
 وسمعت حوافره الفلا بأمل
 حتى رمى رحل الرثيث بعزمة
 وعلا عقابا لو عـ لا بهراكة
 وسما أبواتر إليه بقلمنة
 (٣٥) حكمت الصقور به الصفون وهكذا
 وانصاع فى ذات الدين تفساؤلا
 ورمى به « ثرمة » دونه متساميا
 وأقامنى أرعى جبينك تائبنا
 وبسطت كفى فى خزائنك التى
 (٤٠) وكذلك قيل المال ليس بصين
 وقصاه دين الجود انت أمامه
 فلذا ترى شكر الغنى مؤيدا
 ذا وجنة بالمرج ذات غضون
 قلبت ظهور ميامه لبطون
 فى ملجأ للخائفين أمين
 بحر صحننا ماءه بالطين
 بجميل رأى لم يزل يهدونى
 شوقى وفرط صبايقى للصين
 عنى وكدت لقولة تجفونى
 يثنيك بالبهتان أو يثنيى
 فى مرق البيداء مثل الذون
 ما كان من عطفه كالعرجون
 هى من بحر السمرفوق غصون
 ما قلت ليتألى على « لنتين »
 فيها عقاب بات رهن سكون
 فى رأس أشيط شاخ العرنين
 حظا صقور سطرت وصفون
 يقضى له بالطائر الميمون
 لـ « بلرم » والأعلى خلاف الذون
 فسجدت الصق بالتراب جبينى
 ما بات فيها المال بالخزون
 إلا لعرض لم يكن بمصون
 قال : الصلاة هى إقتصاد ديونى
 فى راحتك بدعوة المسكين

يامالىء الدست الذى منذ حازه حلوه باسمى هالة وعرين
ونقله الديوان والايمان من أوصافه بالجواهر المكنون
(٤٥) حاشى خلالها أن تعود مطالي عنه إلى بصفقة المغيبون
وتدلك قد ضمن النجاح وإنه لندا يد واف بألف ضفين
ولديك آمالى تجر ذبولها — فى أرض نجح أو ترى تمكين
فاشحت لسانى فى صفاتك إنه يبرى بمد المرهف المسنون
فمين فضلك ككها أوردتنى يوما مناهله أجل معين

(٥) ترد فى دا ومنها فى ياقوت الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ (مادة ثرمة) ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ (مادة جفلوذ) والبيت ١٢ (مادة لبرى) ، والأبيات ١٤ — ٢٠ (مادة مسين) و ٢٠ — ٢٤ (مادة سرقوسة) وفى المختار وبر الأبيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مصدرة بـ د وقال من أبيات فى وصف فرس .

٢ — دا : وسدوا إلى أهلك .

٣ — بلزم : عاصمة صقلية .

٤ — ثرمة : مدينة بصقلية (ياقوت ٢/٨٦) .

وفى ياقوت : فدخلت ثرمة . وهى الآن Termini .

٦ — المهل : شراب أهل النار ، والغسلين : مايسيل من جلود أهل النار .

٨ بـ جفلوذ : مدينة بصقلية (ياقوت ٢/١٤٧) ، ذكرها ابن جبير ص

٢٢٧ (ط . القاهرة ٦٨) تحت اسم شفلودى ، وفى أمارى ص

٣١ : جفلودى ، وهى الآن Cefalo .

١١ — قارون (الثانية) : قارونية ، مدينة بصقلية هي Caronia الآن ،
وانظر أمارى ص ٣٢ . وهي في دا : على قارون .

١٢ — بقطس (أو بقدس) وانظر عنها ياقوت ٧/١ ، وأمارى ص ٣٢ .
لبيري : يشير ياقوت بازائها إلى البيرة ، . . من نواحي الأندلس . قال
ابن يونس : وإياها عن ابن قلاقس بقوله . . . وقد اعتقد أمارى أن ابن قلاقس
يشير هنا إلى Lipari ، ولكن ربريتانو في مقاله عن ابن قلاقس بذاكرة المعارف
الإسلامية أوضح أن المدينة التي يعنيها منا هي Oliviri .

١٣ — ملاص : حصن بصقلية (ياقوت ١٨٩/٥) وفي أمارى ص ٢٣
(ميلاص) وهي الآن Milazzo .

١٤ — يافوت : وأظن أنشد .

ومسيني مدينة هامة بصقلية .

وقد نسب يافوت هذا البيت مرة لابن قلاقس (مادة صقلية) ومرة
أخرى لابن حمديس الصقلي (مادة : مسيني) وانظر أمارى
ص ١٢٥ .

٢٣ — سرقوسة : مدينة بصقلية (ياقوت ٢١٤/٣) .

٢٦ — دا : ولو اعتدى .

٢٨ — المختار ، ومسالك : وركبت فوق مطا الأقب المضمر والمعنى :
ظهر الحصان دقيق الخصر . مهربق البيداء : الصحراء الملساء .

٣٠ — دا : جدعا . الجزع : منعطف الوادي ووسطه .

٣٢ — الريث : الجريح به رمق .

لنتين : مدينة بصقلية بين مسيني وسرقوسة .

٣٤ — أبو ثور : قلعة بصقاية ، ذكرها الأديسي في ، نزهة المشتاق في
اختراق الآفاق ، وقال انها د حصن مانع عامر ذو مزارع ، (نقلا
عن أماري ص ٦١) .

٣٥ — الصفون : جمع صافن ، وهو الفرس يقوم على ثلاث قوائم وطرف
الرابع .

(٩) وقال يمدح أبا القاسم لما عاد إليه :

(الخفيف)

قد غصينا النوى فكيف النمانا وأطعنا الصبا فكيف الصبانا
وخشينا فـوات لذة عيش قل ما ساعد الخليع فوانا
فالسقاء السقاء أسعدك الـ_____ على حثك السقاء السقانا
هات بنت الكروم واستعمل اللحن لمعنى عندي وقل لى : هاتا
(٥) رشا كلما تجرد أو جرد لـ_____ ظا حكي المـ_____ والمهاتنا
علم المعجز المسيحى عيـ_____ فأحيا بلحظها وأمانا
فأدار المكؤوس تلبى عن الهم (م) سريعا وما يجوز اللاماتنا
قهوة تملأ الزجاج فها تمـ_____ سب إلا المصباح والمشكاتنا
ما ركبنا منها السكيت فسرنا فى نواحي الهموم إلا كمانا
(١٠) أيها العـ_____ اذل المفند فيها لات حين الملام ويحك لاتا
جعلتنا المدام لصبح أحيـ_____ اه ونمسي فى حكمها أمواتا
فإذا ما سألت عنى فسائـ_____ كيف أضحى ولا تسئل كيف بانا
لى كالنخلة السحوق حديث غير أنى - كما غرست - النواتا
كنت لا أرهب الليوث وقد دا رزمانى حتى رهبت الشاتا
(١٥) ولو أنى قذفت يوما حصاة ييدى فطنتى أصبت الحصاتا
قل لمن ماله سلاح يدع من جرد العضب واستعجر القناتا
وهنيئاً له أبو القاسم النـ_____ ب نهانى فما أقول الهناتا
هو بحر وما يكدره الحما سد إن بات فيه يلقى القذاتا
قد سمى بى الوشاة فهو علاه فسمعوا لى فلا عدمت الوشاتا

- (٢٠) حركوا إلى الشبابة منهم وظنوا
فدعا من « بلرم » حجي فلبى
وامتطيت الفلاة أفتحهم الله—
في جبال أرمى الشتاء عليها
كل سامي الذرى إذا ما سابقتهم الله
(٢٥) وقليل أن يركب الركب في السه
وهو قد جد واستجد على شر
ساقى فضله فأسكننى الدور
واقسمنا فكان عارض غيث
واقضت عنده الرفاهة أنى
(٣٠) وتحيرت في لغاة أناس
بعدهما كنت حاملا بين نابي
كلما رجعوا بها إلى أصوا
قد عدمت الوفاء منهم ولولا
ثم حبيت وجه—ه فتأمل—
(٣٥) كرم ينحر العداة وسلطا
يرقب الداء والدواء إذا ما
ويداه في الغرب أغرب شيء
وحبال في الله رثت فما بنا
شرف تلتقى الجوانب منه
(٤٠) من قريظ الذين هم جبل الفخ
عند منهم في السبق من يعبد الله
- أنهم جردوا على الشبابة
ت وكانت « سرقوسة » الميقانا
ل ولولاه ما امتطيت الفلاتا
قطننا لا يخاف عنها الشتاتا
(م) مس يمتد نحوها مرقانا
ي لمعناه الموت لا الممواتا
ط آبائه ، وقال ، وفانا
ر وأسكتته أنا الأبياتا
عشت في ظله وكنت النباتا
صار يومى سبتا ونومى سباتا
لم تزل عن مسامعى ملخاتا
سنة خصصت الاسنة—انا
تاوددت الأسواط لا الأصواتا
عطفه ماء—دمت الوفا
ت حيا يولى الحيا والحياتا
ن على رسمه يبيد العداتا
قل قد قربوا إلى الرفاتا
ما ترى النيل فيها والفراتا
ت إلى أن لم يبق فيها انيماتا
فتعد السراة فيه السراتا
ر إذا كان غ—يرهم مرذاتا
ه تعالت صفاته ، واللاتا

لأكن ماتت المناسب منه فهو يحيي أرض المحال المواتا
لوغد المجد صورة كان منها أخمصاً حافياً وكنت الشواتا
وأنا الموضح الدليل بلفظ ما ارتضى توضعاً ولا المرقاتا
(٤٥) لي طبع لانت لديه القوافي فلو اختار لم يدع بعد هاتا

(٥) النص في دا ، ومنه في المختار الآيات ٢٠١ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ،
١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ . وفي ياقوت (مادة بلم) : ١٩ ، ٢٠ (وأوردتها أماري
ص ١٠٨) . وفي مسالك ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٨ .

٣ — دا : وحشينا

٩ — المختار : فثنا

١٠ — دا : أيها العادل

١٧ — دا : نهاني بما

٢١ — المختار وبر : ودعا مكرم بحجي ... سرقولة .

٢٥ — د : وبر : إليه الموات

٣٥ — د : الفداة

٣٦ — د : وبر : إليه الدوانا

٣٧ — د : د : في العرب

٤٠ — دا : حبل الفخر

٤٣ — دا : لوعدا ... احصا

٤٤ — المختار وبر : المقراتا

٤٥ — د : د : لي فكر

(١٠) ودخل (ابن قلافس) بصقلية سنة ثلاث وستين (١) . . . وكان بصقلية بعض القواد يقال له : القائد أبو القاسم بن الحجر فأتصل به وأحسن إليه ، وصنف (٢) له كتابا سماه : الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم وأجاد فيه ، ولما فارق صقلية راجعا إلى الديار المصرية ، وكان في زمن الشتاء ، ردت له الرياح إلى صقلية فكتب إلى أبي القاسم المذكور قوله (٣) .

(مجزوء الكامل)

منع الشتاء من الوصو	ل مع الرسول إلى ديارى
فأعادنى وعلى اختيـا	رى (٤) جاء من غير اختيار
ولربما وقع الجمـا	ر وكان من غرض المكارى

(٥) المقدمة والايات عن ، وفيات ، ط . محى الدين ج ه ص ٢٤ ونقل أمارى (ص ٦٣١) النص نفسه عن طبعة ومستفاد من الوفيات (وسجلنا الخلافات نقلا عن أمارى) وتجيء في المختارة مصدرة ب : د وقال وقد ردت له الرياح في البحر إلى أبي القاسم المذكور .

١ — أمارى : ودخل صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين .

٢ — د : فصنف له

٣ — ساقطة من أمارى

٤ — أمارى : وعلى اختياري رجاء من غير اختياري .

(١١) وقال يمدح الفقه السديد أبا المكارم هبة الله الحصرى وكتب بها إليه من
من الاسكندرية ، ويهتفه بالعيد من سنة خمس وخمسين وخمسة :
(الكامل)

عرضت لمعرض الصباح الأبلج
فتمزقت شبه الدجى عن غرقى
وراء أستار الحول لواحد
من كل مبتسم السنان إذا جرى
(٥) ومروع وطأ الحقود بشفرى
قارعه وعلمت أنى ناصح
وارب باب مرتج حارلته
ومولع بالصد هزت عطفه
وإذا الفتى تبسع الصباية والصبا
(١٠) لا تنكرن على عادية الأسى
ولئن أرادنى الخطوب بمرها
أو رحت فى للثياب فانى
ولقد صبحت الليل قلص برده
وكان متتـثر النجوم لآلى
(١٥) وسهرت أرقب من سهيل خافقا
واستعبرت مقل الغمام فأضحكت
وفضضت عن مدح السديد نختامها
ودعوت ياهبة الإله فقهـال لى

حوراء فى طرف الظلام الأدعج
شمسين فى أفق وكلة هودج
غازان معتدل الوشيج الأعوج
دمع النجيع من الكمى الأهوج
متوسع فى ضيق ذاك المنهج
طعما متى القحته لم يفتج
بلطافة ففتحتنه للبرقى
خدع الهوى فأمال جيد معوج
وجدد المنية سهلة المتولج
فالجب كأس خمرها لم يمزج
فالريح تزلق عن ثنايا منعج
كالعضب يفرى وهو رث المنعج
لعباب بحر صباحه المتعوج
نظمت على صرح من الفيروزج
متفردا فكأنه قلب الشجى
منهما ثغور مفوف ومدبج
فغنيت عن زهر الربى المتأرج
لفظ النجاح الهج بذلك تنرج

هو كعبة الافضال إلا أنهم — (٢٠) ولقد شداني العزم سر تلقى المنى
 لله منه أغر مزق سعي —
 دمت الجنب يمج تربة أرضه
 يقظان يذهب بين طرفي نائل
 طلق الجبين أريج أقطار الثنا —
 (٢٥) متنوع الأوصاف شاب وقاره
 حر الفصاحة لو يساجل يعربا
 راسي حصاة الحلم حيث تحللت
 نشر المكارم واعتلى فكأنما —
 متقصم بالزهد لو بذلت له الد (م)
 (٣٠) ومضيب سهم الظن يشرق رأيه
 تهديه في سدق الأمور قريحة
 فلاي خطب ضيق أوى بها
 سبق الأكارم للمكارم فأنش — في
 ومصرف الأحكام لم يلق بها
 (٣٥) يقضى قرب التاج تحت قضائه
 لا زال كالبدر المنير منة — لا

بعدت ومن لم يستطع لم يحجج
 فشداه الإمكان دونك عرج
 سدق العوارض عن أغر متوج
 عرفا متى يلق الحمامة يهزج
 متفجر في سؤدد متبرج
 حلو السجبة مستنير المنهج
 طرب فجاء بخالص المتمرج
 لابان فيه لسكنة المتلجلج
 عقد الحبا وارتاح كل مدجج
 طويت له العنقاء طي المدر
 نيا وقيل ادخل بها لم يخج
 في حيث نور الشمس لم يتوج
 تمشى على وضوح الصباح الأج
 يوما على عجل ولم يتفرج
 يعدو على العادى بحط المدلج
 طيش الضجور ولا اختلال المخرج
 بالعدل منقاد لذات الدمج
 من أبرج مسعودة في أبرج

• ترد في ب ، ف ، ل على أنها في مدح الشيخ السديد أبي المكارم هبة لله
 المصري — ١ — ومنها في د ٢ الأبيات من ١ — ٢٨ يتصدرها : —

== د... أبا المكارم هبة الله الأزدي فكتبت إليه قديما به من الاسكندرية

قبل اجتماعي به بصقلية ، وكان قد مدح قبل ذلك الشيخ الفقيه الحافظ
— رحمه الله — ويهتو به بالعيد ، (ولا شك أن جملة رحمه الله زيادة من الناسخ
لأن ابن قلاؤس توفي قبل الحافظ) .

وهي في ناضج ما عدا ٢٠ — ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، وفيه
أيضا أنها في مدح هبة الله المصري .

وأورد منها المقرئ في أزهار الرياض (مخطوطة باريس ٢١٥٦ ورقة ٢٣٥ و)
أبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ وذكر قبلها د من بديع نظم حازم
بسم الله تعالى قصيدة جيمية غريبة المنزع لها صيت عظيم عند الحذاق من أهل
دب... أولها :

در المدامة فالنسيم مؤرج والروض مرقوم البرود مدبج
وبعد أن ذكرها قال : د وتذكرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلاؤس
الاسكندري وهي... ، وبعدها : د وابن قلاؤس هذا له في النظم الباع المريد ،
ومن عاصمه قوله :

سدودها قدودا من الرماح وانتضوها من الجفون صباحا
وصواب الشطرة الأولى :

سدودها من القدود رماحا

١ — أزهار : الزمان الأدعج

٢ — ف ، د : شية الدجى . أزهار : شبيه

ناضج : ثقب الدجى

— ٢٣٠ —

٣ — ل : وولاء

٤ — ب : الكمي من الكدي

٢٦ — ناضج : معربا

٢٧ — دا : طارفي مائل

(١٢) وقال يمدح الشيخ السديد أبا المكارم هبة الله عرف بابن الحمري :

(الوافر)

وأخفوا عنه رمان النهرود
تبسم في الخنائق والهرود
فدمع العين يجري كالفرود
وهم فيها من الطلوع النضيد
ويغمعن الروادف في قعود
وقضبان ترنح في برود
هي الأسياف تحفل بالغمود
وسلطن الوصال على الصدود
تقاضيه كغفالات الهجود
ففسادره بسالفى شرود
صليل البرق صخب الرعود
تعاورهما على ناي وعود
ولكن لا سبيل إلى الورود
نعم إن كان للشيخ السديد
لينزلى على جودى جود
ملكته به متاجزة الوعود
نخلع إن عزمنا على الجديد

أروه الجلائر من الخسود
وحلوا مقلتيه بدمع در
وهم نظمو الفريد على نحور
وما غرسوا نخيل العيس الا
(٥) يشنين المعاطف في قيام
فكشبان ترجرج في مروط
ويكسرن الجفون على لحاظ
بعثن على النوى جيش التمداني
فبات الطيف يقضى الطرف دينا
(١٠) وكم جذب الصبا طرفى عناني
سقى مصرى وساكنها ملك
ولوا أنى وجدت لقلت سقيا
موارد بي لها عطش شديد
هل رأى السديد البعد عنها
(١٥) إليك قطعت لا طوفان نخل
فصح وقد رأيتك كل وعد
معى نخلع الثناء وليس منها

(٥) ترد في ب، ف، ل، د، (غير واضحة باستثناء المطلع) وفيها انها
في مدح الشيخ السديد أبي المكارم هبة الله بن محمد عرف بابن الحمري) وفي ناضج

ما عدا ١٢ د ١٥ — ١٧ : ومنها في بر : المطلع وخمسة أبيات ، وبهامشها : « هذه القصيدة لم تكن في الأصل المجموع فاعلمه » .

ويرجع احسان عباس في « العرب في صقلية » وريزيتانو في مقاله ابن قلاؤس بدائرة المعارف الإسلامية أنه الذي يذكره أماري ٣ ص ١٥٠ تحت اسم Sodictus .

ولا يخاطن القارئ بينه وبين الشيخ السديد (شرف الدين بن سديد الدين) المتوفى ٥٩٢ هـ رأس الأطباء في الديار المصرية في خلال الفترة الأخيرة من عهد الفاطميين ، انظر عنه الزركلي ط ٣ ص ٢٤٢ ومراجعته .

٢ — ب : بدور دمع . الخناق : جمع خنوقة ، وهي القلادة .

— ب : بالفريد .

(١٣) وقال بمدح السيد هبة الله عرف بابن المصري :

(الكامل)

رحلوا وهم بين الضلوع حلول	فما قلب عقد ملوه محلول
وتبرجوا للبين وهو تبرج	ستر التحفز فوقه مسدول
طلعت بدورهم لتغرب بيننا	فكأنما ذاك الطلوع أفول
ما أطلقوا الأجمال تحت جمالهم	إلا وقد علقت بهن عقول
(٥) فاحبس غرامك بالطلول صبا	قدم التصبر بينهما مطلول
اجر الرسوم على الرسوم فانها	آثار من آثاره الثقيل
دمن صحبت مع الصبا فيها الصبا	فأنا عليل والنسيم عليل
عبث الهواء بها وعاث بها الهوى	فمشى محول يبتسنا ونحول
واطالما لعبت بعطف متيسم	في جانبيها شمال وشمال
(١٠) إذ جوها يندى وروض عراصها	يزهو وظل الطيبات ظليل
والريح تلعب فوقها بقوادم	تهفو وریش جناحها مبلول
ولعابر ولعائر بفنائها	أبدا مقبل طيب ومقيم
حق تعرض بين أنهار الرضا	كدر وفي روض الصفاء ذبول
وعلى الركائب غادة يدعوها	شمسا تقوم بما ادعوه دليل
(١٥) ولاجل ذلك حيث سملت عيسها	فالليل فجر والنسيم بليل
لانى وإن صلبت قناة عزائمى	لتيلق ریح الهوى فأميل
وكذا الكريم على جماع عنانه	ينقاد طوع هواه وهو ذلول
وإذا الفقى خلع العذار ولبسه	برد الشباب فمذره مقبول
من يمنح العشرين والعشر الصبا	فقواده المذور لا المذلول

(٢٠) ولقد صحبت الصيد يسمع فيهم

وملات أسمع الملوك غرائب

وأنا امرؤ لو قيل في تصعيده

تطفل الكرماء في إحرازه

غيرى يقال له ازدهاء منزل

(٢٥) لو كان ذلك سكنت من نهضق

ولما دفعت إلى صحابة معشر

وتركت بالفسطاط ملكا وجهه

سبق المنائح بالقرائح كفه

لكن سمعت عن السديد وفعله

(٣٠) وعلمت أنى إن سقيت صحابه

كف أنامله الملاذ بظنمـا

أعدى بشيمته الزمان فكله

فكأنما الأيام طرف أدم

وهرى إلى شأو السباحة وحده

(٣٥) قد قلت للساعين في إدراكه

لا تطعموا فيه فنى مسعاهم

يجارى الرياح إلى السباح فأخبرت

ومصرف الرقش المتون كأنها

تبكى فتضحك عن أزاهر حكمة

(٤٠) وصحائف كصفائح ليراعها

من كل ماضى الحد كف غرار

تفضيل بما قلت والتفصيل

سارت بها الأمثال وهى مشول

قولى لقليل كانه التنزيل

وعليه يحسن منهم التطفيل

وزها له المشروب والمأكول

مضر وبأل من صدأ النيل

سيان فضل عندهم وفضول

متلألئ والقول فيه جميل

فغدا يطيب صلاته ويطيل

فأتيته لأريه كيف أقول

نبت الرجاء وأثمر التأمل

منها سيوب جمـة وسيول

سحر تأرج زهره وأصيل

وكانها غرر له وحجول

ويقول قوم والغـم يسيل

ملا فلا لكم إليه سبيل

قصر وفى طرق الرئاسة طول

عنه وأين من الكرام بخيل

قب بيمدان الطروس تجول

بندى الفصاحة ووضها مطول

فى الحالين من الصبر صليل

بالغو فهو القاطع المفلول

وبلاغة تدع المبرد باردا
أمروض الآمال وهي مواحل
قد تيمتلك المكرمات وهذه
(٤٥) فكان بشك للنوال بشينة
وفيت شهر الصوم حق صيامه
وكسوت عيد الفطر حل نباهة
أضحى بها القرآن ناشر غرة
واسلم فقد كثر الكرام وانهم
وتقول جهرًا ما الخليل خليل
ومشيد العلياء وهي طول
آثارها بك دقة ونحو
وكان رأيك في الجليل جميل
وقيامه وكذلك ليس يزول
لعقودها في جيده تفضيل
شهدت بها التوراة والانجيل
لولاك يا ابن الاكرمين قليل

(٥) ترد في ب ، ف وفي ناضج ما عدا ١١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٧

— ٢٩ ، ٤٦ — ٤٨ .

١ — كلمة (فالقلب) ناقصة من ب .

٢ — في ب ، وف : شر .

٣ — كلمة (بيننا) ناقصة من ب . ناضج : دوننا .

٦ — ناضج : آثارها .

٢٠ — ب : التفضيل ، ، والتفضيل .

٢٣ — وعليه مفهوم .

٢٥ — ب : وبلبل .

٢٦ — ب : شيطان .

٣١ — ل ، ف ، ناضج : كهف .

٢٢ — ب : بسمته . ناضج : شجر .

٢٤ — ب ، ناضج : رسيل .

— ٢٣٦ —

٣٧ — ل : الكريم .

٣٨ — ف : الرمش ب الرمش المثنون .

٤٥ — ب : بثشته .

٤٧ — ب : في جيدها .

(١٤) وقال يمدح للسديد هبة الله بن الحصرى فى سنة ثلاث وستين وخمسة

(السريع)

أطاع ما يأمره الناهى	وحار فى حلبة أو إهـ
لها وكم قيل لها مرة	فهل لمعنى واحد لاهـ
مشتغل دون الصبا بالصبا	ودون نيران بأموهـ
فهو إذا فكر فى أمره	رأيت منه حالة الساهى
(٥) أشبه ماء البحر أحشائه	ولم تضع ألفة أشباهـ
يسرد (طه) حين يبدوله	ذو الموج يحكى مرجل الطاهى
الجاه للأوطان لا أبعدت	أوبته بالمـال والجاهـ
عزم قوى يقتضيه العرى	ولو على مضطرب وإهـ
يركب فى قشر غضاة جرى	وإن جرى منطق غضاةـ
(١٠) ولو على مقدار همتـه	حاول أدنى رتبة ما هىـ
يال بحال الرخ فى موضع	يضيق عن منزلة الشاهـ
يا هبة الله دنبا سيره	فما ترى يا هبة اللهـ
قد أذف الوقت وداعى النوى	أطيب فى فاهـ ونهناةـ
منظرك الباهى وبشعرى مما	فأمر بشيء ثالث باهىـ
(١٥) نطقى بأفواه وكم بشر	قد نطقوا فبكـ بأفواهـ
وشم أفواه لها نكهة	أطيب من ريحة أفواهـ
أمضى باكره ولكنتى	ما جئتـ إذ جئتـ باكرهـ
فى دعة الله وحظ الورى	مقالهم فى دعة اللهـ
أفديك من ماد بأقلامه	إذا جرت فى الطرس أوداهـ

(٢٠) مجتمع الوصفين ينشق عن وجه حي الوجه جباه
 طلاقة ليست لذى ذلة وعزة ليست لتيساه
 باه بها في حالتى مجده إن كنت تبغى سنا باه
 تشب مثل الجبل المعتلى وتنثنى كالغصن الزاهى
 لو سطلت مصر على انها منازل العاضد — د الله
 (٢٥) من عرفت سمته فى أول البس — م وثنت بشهشه — هاه
 جاءك غصنا فى يدى منطقى أعمل فيها الحافظ الماهى
 عذراء قالت لك أوصافها باه بحسنى كتب الباه ا

(٥) فى دا ، وهى فى المختار ما عدا ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ،
 ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ وقد صدرها بجملة . وقال يمدح عبد الله
 ابن الحصرى . .

- ١ — دا : أصابع ٣ — المختار : جنى يبدو .
- ٩ — دا : عصاه والغضاة شجر الأثل ونخشبه شديد الصلابة .
- ١٣ — فى ناه ونهناه : فى نهى وزجر . وفى المختار : فى ياه ويهنياه .
- ١٥ — نطقى بأفواه : بأيات كالطيب جودة . أطيّب من ريحة أفواه :
 أطيّب من روائح التوابل .
- ٢٤ — العاضد لله : الخليفة الفاطمى آنذاك .

شهبشاه : لعل المراد هنا نور الدين محمود، وكان صلاح الدين الأيوبي
 قد أمر بأن يذكر اسمه فى الخطبة بعد اسم العاضد (انظر
 مفرج الكروب ١٣ ص ٣٢) .

(١٥) وقال يجيب الفقيه ابن فاتح عن شعر كتبه إليه :

(الخفيف)

لست أدري أتحفة تتهادى	أم عروس في حليها تتهادى
أم عهد قد أضحك الدهر فيها	مبسم الزهر حين أبكى العهد
أم بياض الحدود ينشر طرسا	وسواد الأصداغ سال مدادا
بل قريض من سيد مد عني	لهوات العدا وشد وشادا
(٥) فاح من جمر القريحة منه	شعر قد أعجز إلا مدادا
ورأت مارات صقلية منـ	ـه فحق إذا فاخرت بغدادا
ما جد جد في اكتساب المعالي	والمعاني فأنعب الأجدادا
زاد عن رتبة النظم للشعـ	ـر ولو شاءها لكان زيادا
ولقد أظلم الظلام لعيسى	وأرانيه كوكبا وقادا
(١٠) فحمدت المراد في ظل نعم	ـ على نسكه وقلت المرادا
ومضى يدفع الشدائد عني	ويسد القوى ويولي الرشادا
شاهرا سيف عزمه في ملها	ت أموري لا يعرف الأفهادا
يا عمادي وقد حرمت العهد	وودادي وقد نسيت الودادا
والذي تملأ السماء انتقادا	في دياجي خطوبه وانتقادا
(١٥) من يحاريك في العلوم وقد	ملكك الفضل والكمال القيادا
هي روض قطفت وردته أنـ	نت ونخلت للحياة القيادا
فأبسط العذر انها بنت فكر	ليس يروي وليس يورى الزنادا

(٥) ارد في دا

٤ — لهوات العدا : اللهمة المشرفة على الحلق ، والمراد ألسنة العدا

١٥ — دا : وحلت

(١٦) وقال يحميه (الفقيه ابن فانح) عن شعر كتب به إليه :

(الطويل)

أقول رياض إذ ترصعها زهرا	أقول رياض إذ ترصعها زهرا
أقول سيوف إذ تجردها بترا	أقول سيوف إذ تجردها بترا
معان إمامان هي الند والندى	معان إمامان هي الند والندى
تعلق حظى بالحضيض فخله	تعلق حظى بالحضيض فخله
(٥) وعندى فكر قدم الكاف تلفه	(٥) وعندى فكر قدم الكاف تلفه
تغير مثل الدهر فاسمح حكاية	تغير مثل الدهر فاسمح حكاية
أقول له زيد فيسمح خالدا	أقول له زيد فيسمح خالدا
وأما الطيور المرسلات فانها	وأما الطيور المرسلات فانها
نصبت لها لو ساعدت شرك النوى	نصبت لها لو ساعدت شرك النوى
(١٠) وقلت عسى البيضاء يأتى بنعيه	(١٠) وقلت عسى البيضاء يأتى بنعيه
فما كان إلا بلبل بلبل النوى	فما كان إلا بلبل بلبل النوى
فلا خير لليعقوب منها فإيه	فلا خير لليعقوب منها فإيه
ولا رزقت منى خلاصا وكيف لا	ولا رزقت منى خلاصا وكيف لا
وكنت سليمانا لفهم لغاتها	وكنت سليمانا لفهم لغاتها
(١٥) فدع ذا وعد الأمر منه وقصلى	(١٥) فدع ذا وعد الأمر منه وقصلى
فهاذا ترى فى ناكح بنت غيره	فهاذا ترى فى ناكح بنت غيره
وكنت أرى يوما ويومين مدة	وكنت أرى يوما ويومين مدة
فإن قلت لى لا بد منه فصا جل	فإن قلت لى لا بد منه فصا جل
وقد مربى فى ذا النهار عجيبه	وقد مربى فى ذا النهار عجيبه
أقول مباء إذ تلمعها زهرا	أقول مباء إذ تلمعها زهرا
أقول سيوف إذ ترددها تبرا	أقول سيوف إذ ترددها تبرا
حريق رحيق سائل الجمر والخرا	حريق رحيق سائل الجمر والخرا
وإخلاده ياملحق الشعر بالشعرا	وإخلاده ياملحق الشعر بالشعرا
به فهو فكر ما عدت به كفرا	به فهو فكر ما عدت به كفرا
أنيت بها نظما وإن عرفت نثرا	أنيت بها نظما وإن عرفت نثرا
ويكتبه بكرة ويقرؤه عمروا	ويكتبه بكرة ويقرؤه عمروا
طوائر مذجات أبت تألف الوكرا	طوائر مذجات أبت تألف الوكرا
وأوسعتهم من حب شغلى بها بذرا	وأوسعتهم من حب شغلى بها بذرا
أو النسر يولى مثل تصحيفه يسرا	أو النسر يولى مثل تصحيفه يسرا
أتى أوحبارى كنت من قبلها الخبرا	أتى أوحبارى كنت من قبلها الخبرا
عقاب ولا الكركى من حيث ما كرا	عقاب ولا الكركى من حيث ما كرا
غلطت فسامع حتى الم تو لها الحصر	غلطت فسامع حتى الم تو لها الحصر
ومذسلبونى خاتمى سلبوا الأمرا	ومذسلبونى خاتمى سلبوا الأمرا
أحاديث أخرى لا برحت لنا ذخرا	أحاديث أخرى لا برحت لنا ذخرا
بلا غيرة منه ولم يدفع الممرا	بلا غيرة منه ولم يدفع الممرا
وقد زاد حتى كاد أن يبلغ الشهر	وقد زاد حتى كاد أن يبلغ الشهر
والأفمن هذا الذى يضمن العمرا	والأفمن هذا الذى يضمن العمرا
لوا عتمدت كسرى لما أمن العسرا	لوا عتمدت كسرى لما أمن العسرا

(٢٠٠) وجئني بها عشرا ثقالا فقال ما وقيل من كفى لا قبلها العشر
 فيا حسنما صفرا ويا قبح موضع غدا بعدها منها ولم أغترف صفرا
 وكنت كمن حيناه ترقب فخره فلما تبدى الفجر وسعنا الفجر
 بشتك سري والحديث كما حكوا شجون فيا صدر الكمال احفظ السرا

(٥) ترد في دا

- ٢ — دا : سوف
 ٧ — دا : عمرا
 ١١ — دا : أوالجباري ، والجباري طائر رمادي اللون
 ١٥ — دا : لا رحت لنا
 ١٦ — لعل المعنى : أنت تهدي لي بنات أفكارك فأنا لها دون أن أقوى على
 تقديم مقابل لها .
 ٢١ — دا : عدا بعدها
 ٢٣ — دا : شجون فيا

(١٧) واتفق اخراج البيت المطير (٩) فقال ، وكتب به الى الفقيه المذكور (١) :

(البسيط)

وعادة عادت الدنيا بيهجتها	ما شئت من ذات أنوار ونوار
سعد لمن رقدت في طي ساعده	فريسة لا بأنياب وأظفار
تفتر عن مبسم كالأقحوان غدا	من ريقه فوقها طيل الندى جارى
ويستعير نسيم الريح رائحة	من طيب أنفاسها في عرفه السارى
زجرت في شأنها الأطيوار ساجدة	ولم يخب قط عندى زجر أطياري
هذا شعارك تكسونى دقائقه	وهذه هذه لا شك أشعاري

(٥) ترد في دا

(١) يعنى ابن فاتح

(١٨) وقال وكتب بها إلى الفقيه ابن فاتح :

(مجزوء الرجز)

يا ماجداً أسرى إذا	أسرى على مناره
ومن أنا أعشو إذا	أعشو لضوء ناره
شمار قلبي أن يرى	صبأ إلى أشعاره
جدت على اختياره	أجدت في إختياره
(٥) فاست عن أوكاره	أرحل غير كاره
عهدت من أفكاره	رسماً على أفكاره
فدار عني نازحاً	على دأ—و داره
نخاط—رى مقتحم	للهم من أخطاره
يا ليت شعري ما الذي	تناه عن أشعاره

(•) ترد في دا

٢ — أعشو : أهر ، وأعشو (الثانية) : أقصد

(١٩) وقال يحيى بن فاتح عن شعر كتب به إليه :

(البسيط)

شمس المحاسن قد أطلعتها فلـ	وكل فضل وأفضال بدا فلـ
أطاعك الشعر فاحكم فيه يا مالـ	وعفة النفس قالت فيك يا مالـ
ولو تمر على رق أيا مالـ	أقر بالرق كتاب الأنام لـ
إذا بقيت وكان الله أمـ	فما نبأى بمن قد عاش أو مالـ

(٥) ترد في دا

١ — الفلك : الفضاء تدور فيه الكواكب والنجوم

وفلكا (الثانية) : فهو لك

٣ — ولو تمر على وق : على ورق

٤ — في الأصل : عما نبأى

(٢٠) وكتب إلى الفقيه أبي الحسن بن فانح أيضا في التاريخ :

(الطويل)

وأبغضت فيك النخل والنخل يانع ويعجبني من أجلك الدر والفضال
أحب لـجـسـراك العـمـارة والغـضـما ولو أن صنفيه وشاة وعذال

(٥) ترد في دا

١ — دا : النحل والنخل .

الدر : شجر النبق . الفضال : الدر البرى .

(٢١) وقال يجيب الفقيه أبا الحسن علي بن قانع عن شعر كتب به إليه

(بجزوه الرمل)

أندى وجهه وسيم	وشذا عرف نسيم
واضطباحات مدام	بين راحت نديم
وسماع من رخيم الد	ل ذى صوت رخيم
ونعيم دار بالذ	ة من دار النعيم
(٥) وصباح من سرور	شق ليلا من هموم
أم بنيات كـ ريم	لا بنيات كـ روم
أطلعت عنها ليالى الس	ففس أمثال النجوم
وتحلى الطرس منها	بمـ لا الدر النظيم
صاغها فـ كـر على	صاغها فـ كـر عليم
(١٠) بـلاغات بها جر	خطام ابن الخطيم
وتمام لم يتـسـ له	جـاجب بين تـمـم
ومعاني حـكمـ از	رت بلقمان الحكيم
وكلام صرت مذخور	طـبـته مثل الـكـليم
من خـلـلـ وجيل	وحـمـى وحميم
(١٥) ذى المحيا الزاهر الغر	ة فى الدهر البهيم
والايبادات المستحقا	ت بأعباء الغيوم
دونه إن حقت أو	صاف أرباب الغلوم
كل عين ، كل لام	كل ياء كل ميم
سلم الله عـلاه	من جلاليل السليم

(٢٠) ما أَمال الريح غطفي . غصن الريح القـويم

(٥) ترد في دا

١٠ — قيس بن الخطيم : شاعر أوس

١١ — حاجب بن تميم : (توفي سنة ٣ هـ) من سادة العرب

١٣ — الكلبي : سيدنا موسى عليه السلام

١٩ — السليم : المصاب المشفى على الهلاك

(٢٣) وقال ، وأجاب به الفقيه ابن فاتح عن شعر بعث به إليه :

(الوافر)

بعثت به جنانا أم جنانا	وصلت به لسانا أم سنانا
وقللت الطروس به كلاما	يفصل في الترائب أم جمانا
قريض زار بل روض أريض	فأتانا المحاسن إذ أتانا
نعماني أو تعان منه لفظاً	ممانا بالبلاغة لا معاني
(٥) يروع وقد يروق فأى يبض	تذكرنا القيون أو القيسان
قرانا من محاسنها فذونا	وكدنا أن نسميها قرانا
شرائع موجبات أن تداني	بدائع مانعات أن تدانا
قلو حسان فاز بها لعلنا	جواهرها قلائده الحسانا
ولو رام ابن هانيء إتصالا	بصعب مرامها يوما ابانا
(١٠) ولو أنى أطعت أطلت قولي	فلم أترك فلانا أو فلانا
أبا حسن ملكك الحسن طراً	فأسقط شائنا أو فاعل شانا
نضيت على صقلية لواء	هدانا في دجى خطب دهاننا
بدا علما فكنت عليه نادرا	ولولا الحلم سميت الدخاننا
وكم رزق المكانة من أناس	لو اختبروا لما وجدوا مكاننا
(١٥) فديتك من خليل لا خليل	كفيت به الزمانة والزمانا
وقد شاهدت اخوانا ولكن	هم الاخوان إن نظروا الخوانا
وكم من تسكن الأجفان فيه	إذا استكنته منك الجفانا

-
- ٢ - الترائب : جمع تريبة ، موضع القلادة من العنق ، والمراد
الصدور
- ٣ - الروض الأريض : الذى تمكن نبتة
- ٨ - حسان : حسان بن ثابت
- ٩ - ابن هانىء : الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، أو
ابن هانىء الأندلسى ، شاعر المعز لدين الله الفاطمى
- ١٢ - دا : « هدانا فى دجى ليل خطب دمانا ، واستغنينا
عن كلمة ليل لزيادتها على الوزن .
- ١٥ - الزمانة : طول المرض .

(٢٣) وقال أيضا وكتب بها إلى الفقيه علي بن أبي الفتح بن خلف الأمامي جوابا عما كتب به إليه :

(البسيط)

هذه المحاسن قد أوتيتها هذى	فكل شخص تعاطى شأوها هذى
أقسمت بالنحل إن النحل قائلة	ماذى الحلاوة بما يحسن الماذى
أنفذت شعرا فأنفذت القوى فبدا	شكر وشكو لإنفاذ وإنفاذ
وقت لي في جفاء من صقلية	بلطف مصر عليه ظرف بغداد
(٥) إن كان طبعك من ماء ورقته	فإن ذاك فرند بين فولاذ
وما وهمت وفي التليذ معرفتي	حقا لأنك معروف بأستاذي
الله يعلم - لولا أنت - ما جمعت	يدي على كبد للبين أفلاذ

(٥) ترد كاملة في الخريدة وفيها في المختار ومسالك الأبيات من ١ إلى ٥ .
وابن نباتة يصدرها بـ د وقال مجيبا للأديب أبي عبد الله ، وأما في الخريدة فيجيب :
د قال (ابن قلاقس) : كتب إلى ، أبو الحسن أبي الفتح بن خلف الأمامي رقعة
أنفذها لها أردت الرحيل عن صقلية .

يا ماجدا طبعه أحلى من الهذى ومن يفوق ذكاء أهل بغداد
وهمت في رقعة سيرتها عجملا إليك ما بين تليذ لأستاذ
فأبسط لي العذر واعلم أنني قلق ذو خاطر لنواكم ألم هذى
قال : فأجبت ، ولو أطعت النحل لاحتجبت : . . .

٢ — أقسمت بالنحل : بسورة النحل . الهذى : العسل الأبيض

٣ — دا ، الخريدة : فجرى شكو وشكر ، وفي مسالك : شكر وسكر
وفي المختار : شكر وشكوى

٦ — دا : فني ، بأستاذ

(٢٤) وأجاب الفقيه أبا الحسن بن خلف عن قصيدة كتب بها إليه على الوزن أيضاً:

(الوافر)

هو النادى وأنت به أنادى	فيا مروى الحيا مروى الزناد
لسانك أم سنانك دار فيما	اراه من الجدال أو الجلال
تبرز في اطلاع واضطلاع	وتبرز في انقاد وانتقاد
وكم لك في الفصاحة من آياد	ملكيت بها الفخار على الإيادى
(٥) قريض يدعيه الجوى زهرا	ينظمها بأجساد الدآدى
وترسيل براه الروض زهرا	ينثره بواحات الوهاد
من الشعراء قلبى منك أضخى	يهيم صبابة صبابة فى كل واد
تخذتك من صقلية خليلا	فكنت الورد يقطف من قتاد
وشمتك بين أهليها صفيا	فكنت الجمر يقبس من زناد
(١٠) وماهى إذ بحورك غير صدر	حى الاضلاع منك على فؤاد
فإن وسعك حيزوم وإلا	فما ضاقت حيازيم الهلاد
فديتك ، كلنا فيها غريب	وذا نسب يضاف إلى الوداد
مرادى أن أراك ولست أشدو	وعذرك من خليلك من مراد
بأرض نعمة النعمان فيها	يزاد لمن يقدر عن زياد
(١٥) وإني عنك بعد غد لغاد	وقلبى عن فنائك غير غاد ،
وأبعد بعدنا بعد التمدانى	وقرب قربنا قرب الهاماد ،

(٥) ترد فى دا ، مصدره بـ : « وأجاب الفقيه أبا الحسن بن فائض ، وهى فى

الخريدة ١٦٧/٢ ماعدا ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، وقبلها : =

وقال (ابن قلاؤس) : وقاض بحر آدابه (أى بحر آداب أبى الحسن بن خلف)
فيضا فكتب إلى أيضاً :

أيا شمس الجلال على إقتصاد ويا بدر الكمال لدى انتقاد
ويا من بند فى الأشعار من قد أباد الدهر من أزمان عاد
لقد أصبحت لى عملا صفيها وحبك قد تمكن فى فؤادى
ومنها :

يعز على أن تنأى وأبقى فريدا مستهما للبعاد
وان حكمت بفرقتنا الليالى وقدا فرقت أهل الوداد
فودى ثابت أبدا مقيسم على مر الليالى فى ازدياد
ولولا طيرة للبين تخشى لبست لذاك أثواب الحداد

قال : فأجبت وليتنى انجبت . . . - الأبيات

٣ - الخريدة : فى اضطلاع واطلاع . . من انتقاد وانتقاد

٤ - الخريدة : على الأيادى . إياد : قس بن ساعدة الإيادى المشهور
بفصاحته .

٥ - دا : يدعبه الحو

المدآدى : جمع وأداء وهى آخر أيام الشهر (القمرى) وتكون
شديدة الظلمة .

٧ - أخذ المعنى من الآية الكريمة ، الشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى
كل واد يهيمون ، ٢٦ الشعراء ٢٢٤ ، ٢٢٥

٨ - القتاد شجر صلب له شوك كالإبر

١١ - الحيزوم : الأرض الصلبة ، وتجيء بمعنى الصدر

١٣ — عجز بيت تردد أن سيدنا على بن أبي طالب رده إذ رأى ابن ملجم،
وخدده : « أريد حياته ويريد قتلى ، وهو لعمر بن معد يكرب
أنظر الكامل ، لابن الأثير - ٣ ص ١٩٨

١٤ — في البيت إشارة للنعمان بن المنذر والناطقة الذبياني (زياد)
١٥ — ١٦ : البيتان تضمنين عن المتنبي . أنظر ديوانه (بشرح أبي البقاء
المكبري ، تحقيق مصطفى السقا — إبراهيم الأبياري — عبد الحفيظ
شابي — القاهرة ١٩٣٦ ، ١ -) قصيدة :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنسوجة بالتضاد

ويرد البيت الأول (ص ٢٦٥) والثاني (ص ٢٥٨)

١٦ — دا والخريدة : فأبعد بعدنا . . . وأقرب قربنا وأخذنا برواية
المكبري . .

(٢٥) وكتب إلى أبي الحسن الصقلی :

(الكامل)

خليتني في الثغر باسم خليل	أنا عبد ودك لا أضل وإن تكن
مدحى فجاءت وهي كالإكليل	وعليك يا بدر الفضائل نظمت
شرف اشتراك الاسم لا التفضيل	أهلاً بشعر منك للشعري به
قرآن والتوراة والانجيل	وثلاثة عوذتها بثلاثه الـ
وغلقتها فغدوت مثل جميل	(هـ) ثنيت فكادت أن تكون بشينة

(هـ) نرد في المختار وبر مصدرة بـ : وكتب إلى أبي الحسن الصقلی ، وهي في دا تسبقها عبارة : « وكتب إلى .. » ، ولا نستبعد أن تكون القصيدة في مدح أبي الحسن على بن خليف السكندري وليس في أبي الحسن بن فاتح (الصقلی) ، خاصة وأن معظم النصوص التي سبقتها في دا موجهة للسكندري

١ — بر : خليني

٢ — المختار : للشعرا

(٢٦) وقال يمدح متملك صقلية الفرنجي — خذله الله — لما وصل إلى صقلية في
ثامن عشر شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة :

(الطويل)

يقر لغيلم المليك بن غليلم سليمان في ملك داود في حكم
وتخدمه الأفلاك بالسعد في العدا فتسطو بسيف البرق أو خربة النجم
فأى نلال ليس كالقوس راشقا بأى شهاب مر ينفذ كالسهم
وما النصر إلا جنده حيثما مضى على جبهات البر أو صفحة اليم
(٥) له مقربات يقصر الظن دورها إلى منشآت تستطيل على ألهم
كلا عسكريه كالسحائب لم يزل حواصب في حرب صوائب في سلم
يقود إلى أعدائه كل سابع فمن عرب دهم ومن سفن دهم
يسير بأمثال الليوث ولم يكن بها قرم الا إلى ملك قـرم
تزلزل أقطار الديار بصوتها فتسكنها حسن العمارة في الهدم
(١٠) وتهتم في أخذ الثغور فيغتدى بمنعها مثل الثغور على الهـتم
وتغنو له الأفلاك حتى كأنها صغار الدارى قابلت قمر التسم
وما الملك الا للنبي قالت العدا هو الغيث اذ يهـمى هو الليث اذ يحمى
فكم من مريض القلب صحح عزمه ونفس مزوع قد أعاد إلى الجسم
فهاز بنور الرب يدعو إلى الهدى ويحيى لنا الموتى ويرى من السقم
(١٥) وزاد على الفضل المسيحي بالنبي يعليه حد الحسام من الجسم
وقد كان دهر لا ينخص مصاحبها أتاه بما قد خصه الرب من علم
وهذا يفيد السيف في الحرب عزه ويحرص في تبليغه وتبـة الفهم
فيا ملك الدنيا وسائس أهلها سياسة من لم يملك الملك بالرغم
والكن بأبـاء يقر لملكهم وتشهد سادات الملوكة على علم

- (٢٠) وتغنى لهم في الشرق والغرب هيبية
وبدلتهم أسنا من الخوف شاملا
وخلت تاج الملك منكم بعزة
وأرقصت أعطاف السرى مسرة
وقللت أجناد القصور جواهر
- (٢٥) فن للدرارى أن تعود مبيها
ويسجد إذ يبدو عيبك يقظة
فتطلع منها كوكب السعد في الندى
وتستخدم الأقدار فيها ترومه
أظن خطوط الدهر ولتك حكها
- (٣٠) فصرفها بالعدل تصريف ماهر
إذا شرفت آراؤه في ملمسة
وتكشفها خيل عناق كأنها
عدت وبهى أدرى بالقتال من العدا
ودهم أساطيل تحاكي متونها
- (٣٥) إذا أصبحت نغرا غدا النصر مقسما
كذا فليكن عزم الملوك وقل عما
مدحتك ايقسانا بأنك ملبسى
وأصبح صرف الدهر في طوع خادى
- وقد أمنوا جور الظلامة والظلم
وعدلا من العدوى وغنا من الغرم
ينخر لها تاج الزمان على الرغم
غداة هفا تحت السيامة والحلم
من الفضل والأفضال بحكمة النظم
تشرفها من قرب بسطائك باللثم
كما سجدت قدما ليوسف في الحلم
وترسل منها في الوغى كوكب الرجم
فتجرى إلى ما قد رسمت على الرسم
وآلت يميننا لا خروج عن الحكم
بصير بأعقاب الأمور أخى فهم
تبسم بعد البشر في وجهها الجهم
وقد عصمتها الذابلات من العصم
فلم تذبح بالحزم إلا على الحزم
أراقم مما قد نفثن من السم
بأن لهم من نيله أوفر القسم
ترى ملكا يأتى بما لك من عزم
من الفخر ما أنجو به من يد الذم
وقد كان يبدى لى مخالفة الخصم

(٥) ترد في دا . وهذا النص هو الوحيد في مدح ملك نصقلية ، وقد أشار
ابن خلكان لمدائح ابن قلافس في غليالم الثاني وذلك في ثنايا ترجمة أبي طاهر يحيى

= ابن تميم (ج ٥ ص ٢٠٣ ، ط يحيى الدين عبد الحميد) ونص عبارته :
 « ولما هلك زجار ملك بعده غنيم بن زجار ، وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله
 ابن قلاقس الشاعر المقدم ذكره ، ومدحه وأجازه ، وذلك في سنة ثلاث وستين
 وخمسمائة ، وغنى عن الذكر أن صواب زجار : زجار (أو روجار) وأن
 صواب غنيم بن رجاز : غليالم بن رجار .

أما ابن ميسر فإنه ذكر أن « زجار كان يحب مديح الشعراء ويحيزهم ،
 فذهب إليه جماعة من الشعراء ومدحوه ، منهم ابن قلاقس ، وأمر أن يصنف له
 تاريخ كبير فصنف له تاريخ ، (أنظر ج ٢ ص ٨٥) ، وهذا خطأ من ابن
 ميسر ، فالثابت أن شاعرنا لم يذهب إلى صقلية إلا على عهد غليالم الثاني . وأما
 الصفدي في الوافي بالوفيات (مصورة بباريس وفي نسخة دار الكتب) الموسومة
 بعنوان أعيان العصر بجلد ٢ فإنه يذكر أن ابن قلاقس مدح ملك صقلية الأفرنجي
 وأن جملة ما أعطاه إياه مركبا مملوا جبننا :

وقد تسامد . احسان عباس في « العرب في صقلية » ص ٢٨٧ : « ولما
 ندرى هل انصل ابن قلاقس بغليالم الثاني أو لم يتصل ، فقد كان غليالم حين
 دخل ابن قلاقس صقلية سنة ٥٦٣ لا يزال تحت وصايه أمه ، وليس في ديوانه —
 أو ما تبقى منه — قصيدة في مدح صاحب صقلية ، وفي هذا النص التي أوردناه
 رد على هذه التساؤلات .

٣ — دا : شهاب ينفذ ، وأضفنا (مر) لآام الوزن

٥ — المقربات : الخيول ونحوها ، المنشآت : السفن

٧ — العرب الدم : الخيول السود ، والسفن الدم : كثيرة العدد

٨ — القمر : الرغبة ، وتجيء بمعنى السيد العظيم

١٥ — دا : الجسم

٢٣ — دا : عداة

٢٦ — اشارة للاية الكريمة : « إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد

عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ، ٤ / ١٢ (يوسف)

(٢٧) وله من قصيدة في مدح وزير صاحب صقلية :

(الوافر)

جرت خيل النسيم على الغدير	وردت تحت قسطله العبير
وعب الصبح في كأس الثريا	وكان براحة القمر المنير
وقام على جبين الصبح يهفو	كما يهفو اللواء على أمير
ودار بها على يده فكانت	كطوق الجام في كف المدير
(٥) وجمت في زجاج الماء لونا	قد انتزعته من حلب العصور
فقمنا نستقيم إلى قلوب	تناجت تحت أستار الصدور
نحقق بالوفا عدة الأمان	وتملأ بالرضا نخب السرور
إلى أن غادرتنا الكأس صرعى	نفر من الكبير إلى الصغير
ونحسب أن ديك يفي نيمر	أمير المؤنين على السرير
(١٠) رزقنا التاج والإيوان فيها	وظفنا بالخورنق والسدير
ورحنا نستطيف بنا الليالي	ونبسط من يمين المستجير
كأننا من تسحبنا عليها	روادف تستطيل على الحضور
وجردنا المدائح فاستقرت	على أعطاف جردنا الوزير
فنظمنا المفاز كالإكلى	وحلينا المعالي كالنحور
(١٥) وقمنا في سماء العز نرعى	جبين الشمس في الغيث المطير
وأعجب ما جرى أنا أمنا	ونحن بجانب الليث المصور
وأرسلنا من الأشعار ريحا	نمز بها المعاطف من ثبير
وقلدناه درا جاء منه	كذلك الدر جاء من البحور
وقلنا للمسائل عن علاه	تسمع قد وقعت على النخيل

- (٢٠) لهيب سواغق العزمات منه
وماء مكارم الاخلاق منه
وأغراس الأمانى فى يديه
وعين حراسة الملك استخفت
رأى منه المليك حلى أمين
(٢٥) فأرقاه إلى الرتب السواني
وصدوره على الديوان سطرًا
فطال بضبطه باع ارتفاع
ونادته الدهور : خلقت معنى
وأصبحت القصور كما عهدنا
(٣٠) وصيرت البلاد جنان عدن
يدبرها مـــــــــــــــــدبرها برأى
ومد على الرعية ظل عدل
وجال بالسعادة منكبيه
أحامى الملك بالباع المراعى
(٣٥) ومن هو ناظر فيه بذهن
تخدمت بخاطرى عليك جمدى
وكننت متى نظمت نظمت منه
قدم تطوى العدا والسعد يشدو
- يكاد يذيب أفئدة الصخور
يكاد يرد صاعدة الزفير
تهز معاطف الدوح النضير
فلم تطرف على سنة الفتور
برىء النصح من سقم الضمير
يراها النجم من طرف حسيار
هو البسم الذى فوق السطور
تشمرك فيك عن باع قصير
تكرر بـــــــــين السنة الدهور
مشيدة على غير القصور
وكانت وهى فى نار السعير
عما ظلماتها بضياء نور
وقام لفج السنة الهجر
فجر ذيولها حين الحبر
وراعى الملك باللحظ الغيور
له إدراك أعقاب الأمور
فلم أخدم به غير الخطير
لرب التاج أو رب السرير
غلبهم لانشور إلى النشور

• ترد فى ذا مصدره بدوله من قصيدة يمدح بها القائد يزجرد النصى
بصقلية وهى فى المختار ما عدا ٧، ١١، ١٢، ١٩، ٣٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،

= ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ مصدره بـ « وقال يمدح الوزير بصقلية ،

ومنها في الغيث ١٨ : ١ ، ٢ وفي مسالك ٤٤ : ٣٠ ، ٣٨ وفي مطلع ٦٣ ب :

(وفي الطبعة ص ٢١٤) ١٥ ، ١٦ ، ومنها في الخريدة من ١ - ٨ ، ١٣ - ١٨ ،

٢٠ - ٢٢ يتصدرها : « وله من قصيدة في مدح وزير صاحب صقلية » .

١ - مسالك وبر : العثير : القسطل : شجر من الفصيلة البلوطية

٢ - برو الغيث : وغاب الصبح في كم الثريا . دا : وهب الصبح

٤ - الخريدة : وداربه

٦ - الخريدة : نستقيم . المختار : نستقم ، وفي هامش نسخة برلين :

« لعله نستقم أى نطلب أن نسمع ما قمت به فخرا ، وفيها

وفي المختار كذلك : « أسرار الصدور »

٧ - الخريدة : نحقق بالملق حب السرور ١٠ - المختار والإيمان

١٣ - المختار : وجودنا . دا ، والمختار : يزجروفسره عمقوا الخريدة بالآتي :

Giordano وليس فيما بين أيدينا من مصادر ما يدل على أن رجلا بهذا الاسم

وكان زيرا للملك غليالم الثاني ، ولكنه اسم شائع في صقلية في العصر النورمانى ، وأخذ

وير يتألف بدائرة المعارف الإسلامية بهذا الرأى

١٤ - ثبير : جبل بمكة . أنظر ياقوت ٧٢ / ٢ ١٧ - المختار : نشر

١٨ - دا : جاء عنه كذات الدر

٢٢ - دا : وأعراس

٢٤ - مسالك : وآمنه ٢٢ - المختار : كل عدل

٣٣ - دا : وحلل

٣٤ - المختار : بالبائع المرامى

٣٦ - د : خدمت . فلم أحزم

(٢٧) وقال مرتجلا بين يدي القائد غارات (*) بصقلية (**)

(السريع)

وعمسكرى كلبها رمته	جرد لي حيت ملاحاته
آراء قلبي فيه خفاقة	كأنها من بعض رايائه
علاقته بدرا ولكنه	صير خوض الهول هالائه
كأنما الحماظه علت	من فيك غارات غارائه

• ترد في ب (ولا تهيء في كل من ف ، ل) وفي د ٢

(*) في ب : عارات

(**) بعدما في د ٢ : دمرها الله بقدرته

١ — د ٢ : رضته

٤ — د ٢ : وعاراته

(٢٩) وقال يرثي أبا عبد الله محمد بن رجا قاضي صدقية في سنة اثنتين وستين

وخمس مائه :

(الكامل)

وأفاض طرف المجد ماء فواده
خففت وقد رفعوه في أعواده
أسفا عليه وكان من حساده
نوحا بين الحزن في ترداده
نفضت على الإصباح صبغ حداده
وأبى لپاس الغصن من ابراده
كرمًا فقسمه على عواده
ضامت سيادته بأفق سواده
أن القراب يكون من اغماده
بنوالة يحنو على أولاده
حكمت ببيض ظباه في اضداده
وأرجع النغمات في انشاده
إن لم أمت فخرست عن إيراد
قل من فرائده ومن أفراد
أنحى عليه ونجده ونجاده
بصعوده أو دافع بصعاده
وعدت فحل قبيله غن عاده
ويفوز فيه من التقى من زاده
عـها يبلغه لدار رشاده

شق الكمال عليه جيب عليه سواده
وتيقنت رتب المفاخر أنها
وانهل دمع الغيث بعد مصابه
واعتاضت الاطيار من تغريدها
(٥) ويد الدجى منذ استقل سريره
خلع الشباب وما انقضت أيامه
وأظنه هو السباح بعطفه
بدر تغشاه الكسوف وطالما
ومهند ما كنت أحسب قبلها
(١٠) صالت عليه يد الزمان ولم يزل
وتحكمت فيه المنون وطالما
بالأمس كنت أقول أشد مدحه
فبأى لفسـظ أستطيع رثاه
أما الزمان فقد تعطل جیده
(١٥) كم صارم ملق بعائق صارم
هيمات أن يثنى المنية مانع
شدت فحل الدهر عن شداده
سفر جميع الناس متمحن به
عجبا لمغرور بدار سفاهة

(٢٠) أيرى البقاء وقدرأى ما كان من
هذا أبو عبد الإله محمد
ولقد يموت المرء قبل مماته
ذهب الذى كنا نقول لضيفه
ما أحسن الذكر الجميل فإنه
(٢٥) ذهب الذى كنا نقول لمزروى
من المسائل فى المسائل بعده
لولا رجاء فى رجاء ما اعتلى
حملت به أم السيادة ماجدا
ومذهب الألفاظ ينسى دهره
(٣٠) كذب الذى يرى الزمان بأنه
يامن يعلننا العزاء بعلمه
وأعلم بأن محمدا لم يطوه
صلى الإله على صدهاء فإنه
وسقى ثراه من الغائم صيب

آبائه الماضين أو أجداده
إن كان نخلك سيد أسداده
واقدر يعود المرء قبل معاده
ياضيف ذا ناد الكرام فناده
روح نفوس الخلق من أجساده
خبر الأفاعيل نص عن أسداده
عرفا ومعرفة بقدر مراده
للشرع ضوء عموده وعباده
سمة الرئاسة فيه من ميلاده
سحبان وائله وقس إيباده
نزر الفضائل وهو من أجداده
نخذ بالعزاء وأعف من ترداده
موت وأنت نشرت من أحماه
من سر صفوته ومن عباده
ضحك المعاهد من بكاء عباده

• ترد هذه القصيدة فى ب ، ف ، ل ، وناضج (ما عدا ١٥ - ١٨ ، ٢٢ ،
٢٤ ، ٣٠ - ٣٣) على أنها فى رثاء ابن رجا وفى الترسل ، (الرسالة ٢٨) حديث
عن مرضى ألم به و د فجيعات وجيعات لبس بها الضحى جلاباب الدجنة
وتخذل الملك بمصرع الملك المنصور ، وطوى الظلام ما انتشر فى أيامه من بهجة
ونور ، وعدم الملاذ الذى يلجأ إليه الاسلام ، وأجذب الربيع الذى يلتجئ
الأنام . . . وقد انبعث الخاطر المخاطر ونطقت القريحة القريحة بمراثى ذكر فى
كتابه أنموذجا من كل قصيدة وعنوانا على كل عقيدة ، فأولها عندما ورد النعي =

الذى أصم وإن كان أسمع ، ورفوع قلوب المعالي بفقد ذلك الأروع ، أولها :

أصابته سهام اليأس قلب المطامع وصابت بغيث اليأس سحب الفجائع
(ذكر منها في الترسل عشرة أبيات) ، جاء بعدها : د واتبع بثانية وأن لم
تكن لعنان وجده بثانية أولها :

شق التكامل عليه ثوب سواده وأفاض طرف المجد هام فزاده
(أورد منها أربعة أبيات غير المطالع) والملاحظ أن عددا من المخطوطات
(ب ، ف ، ل ، د ، ٢) ينص على أن مرثية :

أصابته سهام اليأس قلب المطامع
قالها د يرثي السلطان المنصور ضرغام بن سوار ، أحد أمراء الدولة كان ، ثم
وزر شاور ، وانظر تعليقا لهذا الاضطراب في ثنايا الدراسة . ومنها في المختار و ب :
٣٢٠١ ، ٣ ، ٨ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، مصادره ب : د وقال يرثي محمد بن رجاء ، .

٢ - المختار و ب : وضعوه

٣ - الترسل : وانهل دمع الحزن

٥ - الترسل : صيغ سواده

وهناك اختلاف يسير في ترتيب الأبيات

٦ - ب : صنع

٢٢ - ب : بشرت . المختار و ب : وقد نشرت

(٣٠) وقال بصقلية، وكتب بها إلى الاسكندرية، ووصلت في العشر الاواخر من شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة :

(البسيط)

ما واصلت بين انهامى وإنجادهى
وتارة فى الفيافى بين آساد
أو فى قتاد على هذا واقناد
إلا مرافقة الملاح والحادى
مسلوكتان لرواد ووراد
لكن لريح وابراق وإرعاد
جدا واقلع عن موج وإزباد
كانها أخت تلك الريح فى عاد
فحيثما سرت يلقانى بمرصاد
لأن أمواجه تجرى بأطواد
أن السموات منها ذات أعواد
فاسمع حديث مقيم بيته غاد
من ضيق لحد ومن إظلام إلحاد
كان حالاتنا حالات عباد
وكم يختر جبين غير سجاد
دراهم قلبتها كف نقة — اد
كأنم — ا حملت منا بأولاد
حزنا السلامة إلا يوم ميلاد

لو لم يحرم على الايام إنجادهى
طورا أسير مع الحيتان فى لجج
إما بطائرة فى ذا وطارمة
والناس كثر ولكن لا يقدر لى
(٥) هذا وليت طريقى ما رميت به
وما أسير إلى روم ولا عرب
أقلعت والبحر قد لانت شكائمه
فعاد — لاعاد — ذازيح مدمرة
ولا أقول أبى لى أن أفارقكم
(١٠) وقد رأيت به الاشراط قائمة
تعاو فلولا كتاب الله صبح لنا
ونحن فى منزل يسرى بساكنه
أبليت إن بت منها فى مصورة
لا يستقر بنا جنب بمضجعه
(١٥) فكم يعفر نخذ غير معتفر
حقى كأننا وكف النوم تقلبنا
وإنما نحن فى احشاء جارية
فلا يعد لنا يوم السلامة إن

يا إخوتى ولنا من ودنا نسب
(٢٠) نقرأ حروف التهجي من أواخرها
ولا تلاوة إلا ما ذكره
وق تنور آفاق المنارة لى
والخط الشرفات البيض مشرقة
وأستمد من الباب القديم هوى
(٢٥) بحيث أنشد آثارا وأنشدها
(القصر فالنخل فالجماء بينهما)
على أروح وأغدو فى معامدما
مى تقرد يار الظاعنين بهم
على تباين آباء وأجداد
ونحن نخبط منها فى أبى جاد
من مبتدأ النحل أو من منتهى صاد
بكوكب فى ظلام الليل وقاد
كالبيض مشرقة فى هام انجاد
عن الكنيسة فيه جل إسنادى
فيلخ القدر نشدانى وإنشادى
فالابل فالقصببات الخضر فالوادی
كما عهدت ، سقاها الراح الغادى
والبين يطلبهم بالماء والزاد ؟

٥ دا ، وتورد فى المختار ما عدا ٢ ، ٦ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
وفى التذكرة ح ١٣ ورقة ٨٢ : ١٣ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ،
وفى مطلع ٧٧ ط والمطبوع ، ص ٢٧٠ : ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، وتورد فى الخريدة
ح ١ ص ١٥١ ما عدا ١٣ ، ١٨ ، مصدره بقول الشاعر فى كتابه الزهر الباسم :
وانى لما تسنعت الأمواج ، وتفسمت الازعاج ، من ذات الألواح ، قلت
بالسلامة ، أما ميلاد ومعاد ، أو يوم معاد ، فعجبت من محالى ، فى حالى
وترحالى ، فتشوقت الوطن والوطر ، وكلفت الخاطر وصف ذلك فقال ٥٥ ،
ويرد البيت الرابع فى الوفيات .

١ — الانجاد : من النجدة والثانية من السير إلى نجد وبمعنى الارتفاع ،

والانهام بمعنى السير إلى تهامة ، وبمعنى الانخفاض

=

٢ — المختار : طوراً أظير

- ٣ — الخريدة : في ذا ورازمة . والرازمة : الناقة أهولها السير
الطارمة : بيت من خشب يكون على ظهر السفينة وغيرها .
القنار : بمعنى الشوك ، والاقنار : خشب الرجل
٤ — الوفيات : والناس كنز
٥ — المختار : ما مرت به
٨ — عاد : اشارة لقوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عانية »
٦ الحاقة ٦٩
١٠ — الاشراف : اشراف الساعة — وفي المختار : كأطواد
١١ — المختار : السموات منه
١٣ — مطلع : إذبت (وفي المطبوع : إن بت منه)
١٦ — المختار : يقلقنا . التذكرة : يقلقنا . الجارية : السفينة
١٩ — في أبي جاد : بمعنى أننا لا نقوى على ضبط مواقع الكلام من فرط
اضطرابنا
٢١ — الخريدة : أو من مبتدا صاد
مبتدا سورة النحل « أنى أمر الله فلا تستعجلوه »
منتهى سورة ص « لا يلائن جهنم منك ومن تبعك منهم » جميعا
ولتعلن نبأه بعد حين ،
٢٢ — المنارة : منارة الاسكندرية
٢٣ — الخريدة : كالبيض مشرفة
٣٦ — دا : فالابل . الأثل شجر كثيف الأغصان ، واحده أثلة ، والشطرة
الأولى من بيت لابي قطفية (توفي نحو سنة ٥٧٠ هـ) وكان
عبد الله بن الزبير قد نفاه إلى دمشق فبقي فيها يتغنى بالحنين =

== إلى دياره إلى أعيد إليها ، ومن أبياته المشهورة في الحنين :

القصير فالنخل فالجاء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

انظر يافوت : مادة الجاء (ج ٢ ص ١٥٨)

٢٧ — الخريدة : متى أروح . دا : رواها الراح . والراح الغادى إشارة للمطر

٢٨ — المختار : متى تعود . الظاعنين : الراحين

(٢١) وقال يصف بركة بتاريخ . . . تحت قصر ملك صقلية

(الغفيف)

بركة بدوركت فنحن لديها
نظرت من قرارها بعيون
تسرق اللحظة اختلاسا وتقضى
قد صفت واعتلى الحجاب عليها
(٥) يالها أسهم بواطن لولا
أي درع مصونة النسيج تمتد (م) السواقى فيها يمثل الصفاح
في جنان له حلى العذارى
من قدودهم ودها عوض الرما (م) ن زهوا منهم — د التفاح
وربا وردت خدود شقيق
(١٠) وقداح لها اقتسمنا المسرا
ظفر الاغتياق منها — بحظ
ومغن اتساولت بسده العو
جس أوتاره فأفسد منا
بين ربح من المزامير أسرى
(١٥) وصباح قد عقدوا طراز الـ
يبعث الرقص منهم حركات
« هكذا هكذا وإلا فللا ،
نستفيد الخمار في ضحضضاح
غادرتنا بأسرع الالتـباح
نظرة الصب خلف إنكار لاح
فهي سيان مع كؤوس الراح
زرد ظاهر لايدى الرياح
ت حضورا بحضرة الاقداح
لم ينب عنه وافر الاصحاب
د فسارت بنا إلى الأفراح
صالحا صار فى يد الإصلاح
بين أجسامنا من الأرواح
ليل جمالا على وجوه الصباح
سرفت بعضها طوال الرماح
طرق الجد غير طرق المزاح

هـ فى دا ، والخريفة ١٦١/١ ، ماعدا ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ويتصدرها

« وله فى وصف بركة ،

== دا : في صحصاح . الضحضاح . الماء القليل (عكس الغمار)

٢ — الخريدة : قطرت

٣ — = : وتغنى

٦ — دا : السواقى عنها

١٠ — اشارة إلى لعبة القداح، والاستقسام فيها الاقتراع على الاقداح المغفلة.

١١ — دا : لم يجب عنه .

١٢ — دا : فمادت لنا على الاقتراح

١٣ — دا : فأفسد منها . الخريدة : فأصلح منا

١٥ — الخريدة : الوجوه الصباح

١٦ — الخريدة : بيعت الروض منهم

١٧ — الشطرة تضمين عن المتنبي

(٣٢) وقال

(الطويل)

وركب كأطراف الأسننة عرسوا على مثل أطراف السيوف الصوادم
لأمر على الإسلام فيه تحيف يجيء عليه أنه غير سالم
وقالوا بلم عند إبرام أمرهم فنجمت أن قد صادفوا جود حاتم

• أورد هذا النص ياقوت في مادة بلم

والآيات تتكىء على قول أبي تمام في مدح ابن طاهر :

وركب كأطراف الأسننة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

من قصيدة دهن عوادي يوسف وصواحيبه . انظر ديوانه (ط . عزام)

(٣٢) وقال بمدينة صقلية :

(الخفيف)

ما رأينا مثال ذا اليوم يوما صبح فيه تناقض الأمثال
صار فيه الغربال يمسك ماء من رأى الماء قط في الغربال

(٣٤) هـ وقال بمدينة صقلية :

(الكامل)

حتى كأن الدهر صيرني به في مثل ما أهواه أو مناني
قطعت فوق مناي لاستمجاره فأتى بمعجزة من المنان

هـ في دا ، مصدره ب : د وقال في . . . بمدينة صقلية سنة ، ، وبالهامش :
و أحسب البيتين اللذين على حرف النون ليسا له ، ،

وحاء بعدهما :

د وقال حين أشرف على جزيرة صقلية ، في أول وصوله اليها في شعبان سنة
ثلاث وستين وخمسمائة ،

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاورس
فكأنما الأنهار فيه سلافة وكأن ساحات الرياض كؤوس

وبالهامش : د هذان البيتان لابن اللبانة من جملة قصيدة ، ، ويردان في المختار وبر
على أنها من شعر ابن قلاقس .

والبيتان في الخريدة ، في ثنايا ما اختار العباد من كتاب « الزهر الباسم »
(دون أن يبدو من السياق ان كانا من شعر ابن قلاقس أم أنه استشهد بهما) بينما
يردان في الخريدة (قسم الأندلس) مخطوطة باريس رقم ٢٣٣٠ ورقة ١٩٤ على
أنهما من شعر ابن اللبانة ، وهما في المغرب (قسم الأندلس) ٢٠ / ٦٢ مفسوبان
كذلك لابن اللبانة في وصف جزيرة ميورقة .

وذكر المقرئ البيتين في النفع (١٥٨ / ١ ط ٠ عى الدين) على أنها بدورهما
لابن اللبانة في وصف جزيرة ميورقة ، ويردان في المصدر نفسه (١٥٨ / ٩ ط ٠) ،
دون ذكر قائمها ، وقد استشهد بها لسان المدين بن الخطيب في وصف مدينة فاس ،

== والبيتان في المكتبة العربية الصقلية ، ص ١٥١ ، وقد ساقها أماري نقلا عن مسالك الأبصار (مخطوطه بودليان) نسبوقان بـ د قال ، وجزيرة صقلية — وهي من أجل جزائر البحر . . وفيها يقول شاعرها ابن حمديس . . واستنادا إلى هذا المصدر الحقهم د أحسان عباس بديوان ابن حمديس (ص ٤٧٨) ، وفي الوقت نفسه يجمعا في كتابه د العرب في صقلية ، ص ٢٩٤ من شعر ابن قلاقس . وعلمني د. سعد شلبي في كتابه عن ابن حمديس الصقلي (ص ٩٣) على تذبذب نسبة البيتين بين ابن حمديس وابن قلاقس مرجحا : « أنها لابن حمديس ، لأن المراجع تنسبها إليه ، وقد تمثل بها ابن قلاقس . . وظن بعض الرواة أنها من انشاده ، والذي نرجحه نحن أن البيتين لابن اللبانة وقد نشرنا حول هذا النص مقالة بعنوان : « نص حائر بين ثلاثة شعراء » ، وعرضناها في مقال آخر نشرناه عن ابن حمديس الصقلي . .

الشر

(١) مقتطفات من كتاب « الزهر الباسم » .

« هذا كتاب نظمت فريده في عقد الكرم ، وجلوت فريده في غضب الهمم ،
واستخلصت بنار الطبع تيره ، وشحذت من لسن الذهن تيره ، وأثبت في روض
الشرف أزاهره ، وأثبت في سماء العز زواهره ، وسمت عوانق المجد بحمائله ،
ورقمت دماث الحمد بحمائله ، ناضرة مشرقه الآلاء ، بل مشرقه الآلام ، وهذا
السيد الأيد — وإن عظم سوره وكبر صورته ، وشرف نسبه وظرف نصبه ،
واجتلى من مجالس الفضل ومفارس النبيل — متدنى صدور ايوانها ومبتدأ مطور
ديوانها ، فان مثل واياه ، كراعى سنين عجاف ، وداعى مسبتين لا يجاف طواه
إدقاع ، وأجراه صفصف قاع ، فاحتمل بوهده ، رهين جهد ، ماله بالسحاب
واذبال السحاب من عهد ، قد لغته النكباء في شماتها ، وألغته بتفصيلها وجماتها ،
فلما لبست مراتعه ، ويشتت مطامعه ، أنت أكيلة ليث فسامها ، وعنت بخيلة غيث
فشامها ، وأصاخ ليستمع أين موقعه ، وينتجع ما ينفعه ، وإذا هو نبت في رمل
نخبت ، قد أرضعته بدرها الأمطار ، ورصعته بدرها الأزهار ، واندفت أنهاره ،
وسجعت أطياره ، بما خرق له مخارق جيب الابداع ، وانحط عنه ابن جامع عن
درجة الاجماع ، فوقح اختياره بما أداه اليه اختياره ، على شجرة أصلها في الماء ،
وفرعها في السماء :

يصيف إلى مرتقى متقى ويشق إلى مجتلى مجتنى

وتأتى على حاتنى سوماً لذا بالمنون وذا بالمنى (١)

وهو — أيده الله — تلك النخلة ذات الظل العديد ، والشعر الجديد ، من

الطلع النضيد ، ذلك الراعى الذي هجر ملاء ، ووجد كلاء ، وسائر الكرام

وإن كانوا كنيقة في تلك الحسديقة الانيقة ، ففى كل شجر نار ، واستمجد
المرخ والغفار ،
ومنها :

والعصر ، ان فى المصر ملكا استملك رق المدح ، واستهلك المحن بالمنح . نقل
الدهر إلى نقش خاتمه ، وجعل موطنه كعبه كعبه همة كعبه ، وباهى بنهضة من
عمره نهضات عمره ، وكم نقى مشار مثيره ، بمن يصول كعنبرة ، وكم استبسله فى
بأسه بمن يضحك بايائه ، فما زال مرتع أمالى فى ذراه خصيباً ، وسهم مطاوي فى
نغر النجاح مصيباً ، وأمانى لا تجد لابن لبلى دونه فى بيت نصيب نصيباً ، وإنما
القيث من وعشاء السفر ولقاء الخطر وإبغاء الظفر ، قبل حلول هذه الحضرة :
الغضرة عضرة القائد أبى القاسم الأجل ، الذى إن ألبس قلمه العداد ، عرى من
الفصاحة قس ايراد ، وانطق طرسه الرسائل ، أخرس عن الخطابة سحبان وائل ،
يلزم لديه ابن العميد سميت العميد ، ويندو عليه عبد الحميد غير حميد ، ويقول له
الصاحب أنا عبد لا صاحب ، ونهاية الصابى أنه بالفاظه صابى ، حتى لو انقلب
الديوان ديوان شعر ، والقرطى أقرط شذر ، لكان هو المقرط المعلى والمقرط
المحلى — ما أوجب ذاك الشكو الذى دخل به الشك ، وجاء بهذا الشكر فالحمد لله
حمداً أقصر الألفاظ عن حصر معانيه ، ويعني النية متناه عن قدر ومعها فتعانيه ،
وصلى الله على محمد وآله ، ما يخفق آل ، وحقق الآمال ، فى هذا الحساب
مال ومأل ،

ومنها فى وصف البحر :

انى لما نسنت فى ذات الألواح ، وتسمت الإزعاج من ذات الأرواح ،
قلت بالسلامة اما ميلاد ومعاد ، أو يوم معاد ، وعجبت من حلى ، فى حالى وترحالى ،
فتشوقت الوطن والوطر ، وكلفت الخطر وصف ذاك الخطر ، فقال :
لو لم يحرم الأيام انجادى ، فما واصلت بين انهامى وانجادى (٢)

القصيدة . . .

ومن النثر في وصف المركب وأهله :

ثم إن البحر تخبطه شيطان الموج من مس الريح ، فأورأيته وقد شاب في
عنقوان شبابه ، وشابه فروع الأطواد بأصول مضابه ، والحنية تدوى بأهلها
كالخلية بنحائها ، ونحن نصل لمؤنس يونس وعلى لوح نوح ، لا يترشدت رأى من
آثر الجبل في العصمة ، وما لحقت بأبيه — لولا وحي الله عز وجل — ولقلت
الصخر يقى أنى حضر ، هل غنى لمجنوبته عليه إلا المنية ؟ ولم يزل يدنو كالمجنون ،
وتداريه من الجنون ، حتى كسته الرضاء ثوب وقارها ، وأمسكت الزرع عنه
كاس عقارها ، فصيح وصحا بعد جنونه وسكره ، ونطق منا بلسان المجاز بالحقيقة
بعد المجاز ، فوصلنا طرف الجزيرة بمسكين ، غرة شعبان سنة ثلاث وستين
ونعمسائة :

باد أعارته الخامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاروس
فكأنما الأنهار منه سلافة وكان ساحات الديار كؤوس (٣)

ومن نثره فيه :

ولما أذن إشوال في أن تشار الكؤوس ، ويوضع في طاعة النمر بالرؤوس ،
خلفنا عن سوائف الخلاء عذار العذل ، وركبنا خيل الفتك والمجون على أرض
العذل ، وقلبنا لظهور العفة ظهر الجنى ، ومربنا لبيع نحت عجاج النذر ودراج
الذن ،

(٥) من حريدة القصر (القسم المصنوع) وقد صدر العهد هذه المقتطفات بقوله

وهم ظفرت بكتاب الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم وهو بعض القوافي
لجزيرة صقلية فاطمعت فيه ، وأطلعت في فلك الخريدة نجوم معانيه ، فأول ما بدأ
فيه بوصف الكباب كلام أصفى ديمة من ذر السحاب ، وأوفى قيمة من
در السحاب فن ذلك

(١) لم نستطيع أن نحدد أن كان البيتان لابن قلاقس أم أنه أوردتهما على سبيل

التضمنين .

(٢) انظر القصيدة في باب الوصف .

(٣) البيتان من شعر ابن اللبابة . انظر التعليق الخاص بمقطوعة :

حتى كأن الدهر صيرني به في مثل مأهواه أو مناني

من « ترسل ابن قلاقس » ،

وكتب إلى السيد الحصري بصقلية :

عرف الله المجلس بركة هذا الشهر السعيد ، وجعل ورود العيد عليه خير بعيد ،
فرو شهر عظيم البركة ، لكنه ثقل الحركة ، فالتفت تعالى يعين المجلس على صيامه ،
ويخفف عنه ، طول أيامه ، ويقرب عليه حركته ، مع توسع بركته ، ويتداركه
شوال ، ويسجى (١) بدوه بهلاله ويمده بتحرير فلك ، وتحرير هلك (٢) ، حتى
ينقضى صريحا ، ويقضى صريحا ، بخنجر هلال الفطر صريحا ، وعفا الله عن مزح
جرى فيه القلم ، ونطق به الفم ، وسوى ذلك .

(٥) من « الترسل » ، (مخطوطة النيمورية) النص رقم ٤٤

(١) بالهامش : أى يعطى

(٢) فى الاعتل مالك ، وفوقها : لعله ملك .

(٣) وكتب إلى ابن فاتح بصقلية :

علم حضرة المولى الشيخ الفقيه الأديب، دامت بهجتها، وحرصت مهجتها بأن
الشكر يستمرى الأخلاق بلا خلاق، وقد يحمل ملوكها على استعجابها واستعجابها،
ولاسيما وعنده لأياديها في نأديها، وبين أعاديتها ضراعة يقبح أن يتشبت بها اسمها،
أو يتعلق بها وسمها، وقد استمسك منها بعروة تآمن الانفصام، وآوى إلى جبل
به الاعتصام، وكانت آنفا قد أعانتها على عدوه، وزانتها بإقامة أروده، والان
فقد رجع وانتجع، فان رأت أن تيسر له أسباب سفره، وتفتح له أبواب ظفره،
قبلى خروج ركبها العالى، فلسان شكره ينقلب دعاء، ويكون له سمع الأجابة
وعاء، والله المجازى، والدافع للمخازى، وهى — ثبت الله مجدها وأعلى جدها
— أثرى خير، وأسرى إذا استمجد (١) الغير، ولأياها فضله إن شاء الله تعالى .

(٥) النص رقم ٣٨ من الترسل

(١) بالهامش : ف من تمجد إذا وقع في المرمى على العشب الكثير .

(٤) وكتب إلى القائد غارات بن جوسن ، خاصة المملكة الغليمية بصقلية :
أشواق العبد الخادم ، ثبت الله تعالى مجد الحضرة السامية الأجلية العلمية القائدية
الشجاعة ، وأطال بقاءها إطالة باعها وكثر منافعها تكثير اتباعها ، كآثر الأنفاس ،
وتستعجز الأنفاس ، وتستضيئ بحال القرطاس ، وارتياحه إلى تقبيل يديها ارتياح
الظمان إلى الماء الرلال ، والمريض إلى الإبلال ، والصائم إلى رؤية الهلال ، وغير
ذلك فقد فارق جنباتها الكريم عتلى اليد نعمة ، والفم نعمة ، والخاطر آلا ، والناظر
أموالا ، اصطناعا منها وتفضلا أبي الله أن يصدر إلا عنها .

(٥) النص رقم ٤٨ من الترسل ، ونرجع أن غارات هذا هو نفسه الذي جاء
اسمه قبلا على أنه يزجرد أو جوردانا . انظر التعليق على قصيدة :

جرت نخيل النسيم على الغدير وردت تحت قبضة العبير

القصائد المذكورة

بحسب الترتيب الهجائي

رقم النص

الهمزة

وغيادة عادة الدنيا بيهجتها ما شئت من ذات أنوار وأنوار ١٧

الباء

لذي الظلامه عد الظلم والنسب وهل إلى رفعتها لولاهما سبب ٧

التاء

قد صمينا النوى فكيف انتهانا وأطعنا الله فكيف اللهانا ٩

وهيكري كلما رمته جرد لي حب ملاحاته ٢٨

الجيم

عرضت لمعرض الصباح الأبلج حوراء في طرف الظلام الأدهج ١١

الحاء

بركة بورك فنعن لها استفيد الخوار في ضوضاع ٣١

الدال

أرقصها مطرب الأغاريد فاشتريت هزة الأماليسند ٤٤

أروه الجلبان حزن الحدود وأخفوا عنه رمان الفهود ١٢

هو القادي وأنت به أناهى فيما مروى الحيا مروى الزناه ٢٤

است أدوى أنحفه تنهادى أم عروس في حليها تنهادى ١٥

شقي الكمال عليه جيب سواده وأفاض طرف المجد ماء فؤاده ٢٩

لو لم يحرم على الأيام إنهادى ما وصلت بين إتهامى وإنهادى ٣٠

رقم النص

الندال

هذى المحاسن قد أوتيتها هذى فكل شخص تعاطى شأوها ماذى ٢٣

السراء

زهري فاعجب لروض ما له زهر
سفرت عنك أرجوه الأسفار
يا ما جـ ———— إذا أمرى إذا
وغادة عادت الدنيا ببهجتها
أقول وياض إذ ترصعها زهرا
جرت خيل المسيم على الغدير
منع الشتاء من الوضو
إلا المياهم والالحاظ والطرر ٢
وجرت بالمنى إليك الجوارى ٥
أسرى ———— إلى من ———— اره ١٨
ما شئت من ذات أنواء وأنواز ١٧
أقول سماء إذ تلمعها زهرا ١٦
وردت تحت قسطلة العبير ٢٧
ل مسع الرسول إلى ديارى ١٠

القاف

الحق بنفسج فجرى وردى شفى نافورة الصبح فتت مسكة الفسق ٢

الكاف

محسن المحاسن قد أطلعتها فلما وكل فضل والفضل بدا ملكا ١٩

الضاد

دخلوا وهم بين الضلوع خلول
وأبغضت فيك النخل والنخل يافع
ما زأينا مثال ذا اليوم يوما
أبندى الفرند نجابية النصل
أنا عهد ودك لا أضل وإن تكن
فالتقلب عقد متلوذ مخلول ١٣
ويعجبني من أجلك الدر والفضال ٢٠
صبح فيه تفاوض الأمثال ٣٣
والفرع يظهر طبيعة الأصل ٦
خليتنى فى الثغر باسم خليل

رقم النص

النسيم

- نعم هو البرق على الأنعم . . فاشق به أن شئت أو فأنعم ٤
 أندى وجهه وسيم . . وشذا عـ رى نسيم ٢١
 يقر أغليالم المليك بن غليم سليمان في ملك داود في حكم ٢٦
 وزكب كأطراف الاسنة عرسوا على مثل أطراف السيوف الصوام ٣٢

النون

- أبليت بعدك في الأنام ظنوني فظفرت عندهم بكل ضنين ٨
 بعثت به جنائبا أم جنائبا وصلت به لسانا أم سنانا ٢٢
 حتى كأن الدهر صيرني به في مثل ما أمواه أو مناني ٣٤

الهاء

- أطاع ما يأمره النـاهي وصار في حايمة أو اه ١٤

النصوص بحسب ورودها

أولا : النصوص الشعرية :

مدائح في ابن الحجر وافراده أمرته :

- ١ - أرقصها مطرب الأغنياء
- ٢ - زهرن فاعجب لزوض ناله زهر
- ٣ - ألحق بنفسج فجرى وردى شفى
- ٤ - نعم هو البرق على الأنعم
- ٥ - سفرت عنك أوجه الأسفار
- ٦ - أبدى الفرند نجابة الأصل
- ٧ - لذى الظلame عد الظلم والنسب
- ٨ - أبليت بعدك في الأنام ظنوني
- ٩ - قد عصينا النمن فكيف النهايا
- ١٠ - منع الشتاء من الوصو

مدائح في السيد الحصرى

- ١١ - عرضت لمعرض الصباح الأبا
- ١٢ - أوره الجلتار من الخدود
- ١٣ - رحلوا وهم بين الضلوع حلول
- ١٤ - أطاع مـ يا مـره الناهى

مكاتبات مع ابن فاتح :

- ١٥ - لست أدري أنحفه تـمـ
- ١٦ - أقول رياض إذ ترصعها زهرا

- ١٧ — وغادة عادت الدنيا بيهجتها
 ما شئت من ذات أنوار ونوار
 ١٨ — يا ماجد أسرى إذا
 أسرى على من — — — — —
 ١٩ — شمس المحاسن قد أطلعتها فلما
 وكل فضل وافضال بدا فلما
 ٢٠ — وأبغضت فيك النخل والنخل بانع
 ويعجبني من أجلك الدر والفضال
 ٢١ — أن — — — — — دى وجه وسيم
 وشذا — — — — — رف وسيم
 ٢٢ — بعثت به جنانا أم جننا — — — — —
 وصلت به لسانا أم سنانا

مكاتبات مع ابن خلف الصقل :

- ٢٣ — هذى المحاسن قد أوتيتها هذى
 فكل شخص تعاطى شأوها هذى
 ٢٤ — هو النادى وأنت به أنادى
 فيما مروى الحيا مروى الزناد
 ٢٥ — أنا عبد ودك لا أضل وإن تكن
 خلقتنى فى الثغر باسم خليل

فى مدح ملك صقلية :

- ٢٦ — يقر اغيلم المليك بن غيلم
 سليمان فى ملك داود فى حكم

فى وزير صاحب صقلية :

- ٢٧ — جرت خيل النسيم على الغدير
 وردت تحت قسطلة العبير
 ٢٨ — وعسكرى كله — — — — — جردته
 هرد لى حب ملاح — — — — — اته

فى رثاء ابن رجا قاضى صقلية :

- ٢٩ — شق الكمال عليه حبيب مواده
 وأفاض طرف المجد ماء فؤاده

فى أغراض متفرقة :

- ٣٠ — لو لم يحرم على الأيام انجاده
 ما وصلت بين اتاهى وانجاده
 ٣١ — بركة بوركت فنحن لدها — — — — —
 نستفيد الخمار فى ضحضاح

- ٣٢ — وركب كاطراف الالسة عرسوا على مثل اطراف السيوف الصوارم
٣٣ — ما رأينا مثال ذا اليوم يوما صح فيه تنافض الامثال
٣٤ — حق كان الدمر صيرنى به فى مثل ما أهواه أو متانى

ثانها : النصوص النثرية :

- ١ — مقتطفات من كتاب د الزهر الباسم .
٢ — من الترمذ : رسالة إلى السيد الحصرى .
٣ — د د : رسالة إلى ابن فاتح .
٤ — د د : رسالة إلى القائد غارات .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ط. القاهرة
١٨٨٢ م
- ابن أبي حجلة : ديوان الصبابة القاهرة ١٢٧٩ هـ
ابن الأثير (ضياء الدين) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط. القاهرة
١٩٣٩ م
- ابن الأثير (عز الدين) : الكامل في التاريخ ١٢ ج ، القاهرة ١٢٧٤ هـ
الللباب في تهذيب الأنساب ٣ ج ، القاهرة ١٣٦٩ هـ
- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٤ ج
القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٩ م
- ابن جبير : الرحلة. ط. القاهرة ١٩٦٨ م بتحقيق د. حسين نصار
ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان حيدر أباد الدكن
١٩٥١ م
- ابن الحسين (يحيى) : انباء الزمن من أخبار اليمن . برلين ١٩٣٦ م
- ابن حجة الحموى : خزانة الأدب : القاهرة ١٢٩٤ هـ
ثمرات الأوراق د ١٢٧٩ هـ
تأهيل الغريب د ١٢٩٣ هـ
ناضج ابن قلاؤس مخطوطة نيومهاقن د
- ابن حمديس الصقلي : ديوان تحقيق د. اجسان عباس بيروت ١٩٦٠ م
ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ ط. بغداد

- ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب قسم الفسطاط تحقيق
د. زكى حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٥٣ م
د. د. د. قسم القاهرة تحقيق
د. حسين نصار القاهرة
- ابن سناء الملك : فصوص الفصول وعقود العقول ، مخطوطة باريس
رقم ٣٣٣٣
- ابن شاکر الکتبی : فوات الوفیات جزآن ، القاهرة ١٩٥١ م
ابن ظافر الازدی : بدائع البدائہ مخطوطة باريس ٣٥١٤ ،
ط. القاهرة ١٢٧٨ هـ ، وطبعة أبي الفضل ابراهيم
١٩٦٩ م
- ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء
القاهرة ١٣٥١ هـ
- ابن العديم : مختصر بلوغ الأمل . مخطوطة بلدية الاسكندرية
ابن فضل الله العمر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . مصورة
دار الكتب رقم ٥٥٩
- ابن قلافس الاسكندري : ديوان : مخطوطات دبلن — باريس — فيينا
— لينجراد — برلين .
- د. : ديوان . طبعة خليل مطران . القاهرة ١٩٠٥
(وانظر ابن نباتة)
- د. : ترسل ، مخطوطة التيمورية ٦١٧ أدب
ابن كثير : البداية والنهاية . القاهرة ١٩٢٢ م

- ابن المجاور : صفة بلاد اليمن (المسمى بتاريخ المستنصر) ،
تحقيق أوسكر لوفقرين ، لندن ١٩٥٤
- ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ . القاهرة ١٩١٩
- ابن نباتة : المختار من ديوان ابن قلاقس ، ط خليل مطران
القاهرة ١٩٠٥
- مطلع الفوائد وجمع الفرائد مخطوطة باريس ٢٣٤٤ ،
وطبعة دمشق (١٩٧٢) بتحقيق عمر موسى باشا
- ابن واصل الحموى : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . تحقيق د.
الشيال القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٧
- أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية جزءان . تحقيق د. محمد حلمي أحمد .
القاهرة ٥٦ - ١٩٦٢
- أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٤ ج ط . القاهرة ١٣٢٥ هـ
- الادفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى
الصعيد ، القاهرة ١٣٣٢ هـ
- الاسكندري (أحمد) (وعناني) مصطفى : الوسيط الأدب العربي وتأخذه القاهرة
١٩٢٨
- أماري (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقلية . مصورة عن طبعة ليبسك
١٨٥٧ م
- الاهواني (د . عبد العزيز) : ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في
الشعر ، القاهرة

- باشا (د. عمر موسى) : أدب الدول المتتابعة . عصر الزنكيين والأيوبيين
والمماليك ، دمشق
- بدوى (د. أحمد أحمد) : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر
والشام ، القاهرة ١٩٥٤
- ، : الحياة العلمية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام
القاضي الفاضل القاهرة ١٩٥٩
- ، : ابن قلاؤس . مقالات في مجلة الرسالة ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٥ من سنة (١٩٣٢)
- ، : صلاح الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه . مجموعة
المكتبة الثقافية (القاهرة) .
- البديري (أبو البقاء) : سحر العيون . القاهرة ، ١٢٨٦ هـ
البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ١٩٤٦
- البغدادي : هدية العارفين جزءان . استامبول ١٩٦١ — ١٩٥٥ .
: ايضاح المكنون (في الذيل على كشف الظنون)
جزءان . استامبول ١٩٤٥ — ١٩٤٧
- الجمدي (أبو سيرة) : طبقات فقهاء اليمن . تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة
١٦٥٧
- الجندي (البهاء) : السلوك في طبقات العلماء والهلوک . مصورة
دار الكتب ١٩٦٦
- مهاجي خليفة : كشف الظنون عن أساني الكتب والفنون . جزءان
استامبول ١٩٤١ — ١٩٤٣

- حسن (د . حسن إبراهيم) : تاريخ الدولة الفاطمية ط ثمانية القاهرة ١٩٥٨
- حسين (د . محمد كامل) : في أدب مصر الفاطمية القاهرة ١٩٦٣
- الحفناوى (شهاب الدين) : بغية الجليس . مخطوطة باريس ٣٤٤٨
- خفاجى (د . محمد عبد المنعم) : قصة الأدب في مصر و أجزاء . القاهرة ١٩٥٦
- الرمادى (د . جمال الدين) : خليل النيل ، القاهرة لات
- الزركلى (خير الدين) : الأعلام ط ٢ ، ١٠ أجزاء القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٥٩
- زيدان (جرجى) : تاريخ آداب اللغة العربية ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٧
- السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٦ أجزاء القاهرة ١٣٢٤ هـ
- سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمصرية . القاهرة ١٩٢٨
- سرور (د . محمد جمال الدين) : مصر في عهد الدولة الفاطمية . القاهرة (مجموعة
الآلاف كتاب)
- النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب القاهرة ١٩٥٩
- سلام (د . محمد زغالول) : الأدب في عصر صلاح الدين الاسكندرية ١٩٥٩
- الادب في عصر الايوبيين القاهرة ١٩٦٨
- السافى (الحافظ) : أخبار وتراجم أندلسية تحقيق د . أحسان عباس .
بيروت
- سليم (د . محمود رزق) : الأدب العربى من عهد الفاطميين إلى اليوم .
الاسكندرية ١٩٣٨
- السمهانى : الأنساب ، نشر مرجليوث . لندن ١٩١٣
- السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
القاهرة ١٢٩٩ هـ
- شلبى (د . سعد) : ابن حمدى الصقلى . حياته من شعره . القاهرة ١٩٧٧

- الشنال (د . جمال الدين) : مجموعة الوثائق الفاطمية ج ١ القاهرة ١٩٥٨
 : أعلام الإسكندرية فى العصر الاسلامى ،
 القاهرة ١٩٦٥
- الصفدى (صلاح الدين) : أغيان العصر ، مصورة دار الكتب (الجزء الثانى)
 ١٠٨٤
- الغيث المسجى فى شرح لامية المعجم ، الاسكندرية
 ١٣٠٥
- التذكرة الصفدية مصورة دار الكتب رقم ٩٧٩٦
 الوافى بالوفيات طبع منه ٩ أجزاء أولها فى استامبول
 ١٩٣١ ومخطوطة الزيتونة
- توشيع التوشيع تحقيق د . البير حبيب مطلق ،
 بيروت ١٩٦٦
- ضيف (د . شوقي) : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، القاهرة ط ٨
 القاهرة ١٩٧٤
- العاهلى : الكشكول ط . القاهرة تحقيق الراوى ، جزءان القاهرة
 (دار احياء الكتب العربية)
- عباس (د . احسان) : الغرب فى صقلية ، القاهرة ١٩٥٩
 العياشى : معاهد التنصيص شرح شواهد التنصيص القاهرة
 ١٣٠٤
- عنان (محمد عبدالله) : مصر الاسلامية وتاريخ الخطوط . القاهرة ١٩٣٤
 عنانى (د . محمد زكريا) : نشأة الموشح فى المشرق ، مجلة كلية الشريعة — مكة
 المكرمة ، المجلد الثانى ١٩٧٨

عنانى (د. محمد زكريا) : مدخل لدراسة الموشحات والأزجال. الاسكندرية

١٩٨٢

العقاد (الاصفهاني) : خريد القصر وجريدة العصر . قسم مصر ، تحقيق

أحمد أمين . شوقي ضيف . احسان عباس .

جزءان القاهرة ١٩٥١

— قسم التمام ، تحقيق د . شكرى فيصل جزاءن ،

دمشق ١٩٥٥

— القسم الخاص بالاندلس وصقاية ، تحقيق

عمر الدسوقي وعلى عبد العظيم . القاهرة ١٩٦٤

: النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية نشر

عمارة اليمنى

هرتويغ درنبرع . شالون ١٨٩٧

— المختصر ، المفيد مخطوطة دار الكتب ٨٠٤٨ خ

: شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية من سلسلة

« مذاهب وشخصيات » رقم ١٠١ — القاهرة .

: المحمدون من الشعراء . تحقيق معامرى . الرياض

القفطى

١٩٧٠ م .

: صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزءا . القاهرة .

القلقشندى

: نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . تحقيق ابراهيم

الايارى ، الطبعة الاولى . القاهرة

: معجم المؤلفين ١٥ جزءا . دمشق ١٩٥١ - ١٩٦١ .

كبحالة (محمد رضا)

: الأدب فى عصر الحروب الصليبية . القاهرة .

كيلانى (محمود سيد)

: نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر القاهرة ١٩٥٣ .

ماجد (د عبد المنعم)

- مبارك (على) : الخطط التوفيقية ، ٢ جزءا بولاق ١٣٠٥ .
- المدني (أحمد توفيق) : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . الجزائر
١٣٦٥ هـ .
- محمود (د. حسن سليمان) : (بالاشتراك مع د. حسين المهداني) الصليحيون
والحركة الفاطمية في اليمن ١٩٥٥ .
- مشرفة (د. عطية مصطفى) : نظم الحكم في عصر الفاطميين . القاهرة ١٩٤٨ .
- مصطفى (محمود) : إعجام الاعلام . القاهرة ١٩٦٧ .
- الادب العربي في مصر من الفتح الاسلامي إلى نهاية
العصر الايوبي . القاهرة ١٩٦٧ .
- المقدمي : أحسن التقاسيم ، تحقيق دى غويه . لندن ١٩٠٦ .
- المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ١٠ اجزاء
القاهرة ١٩٤٩ .
- المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار جزءان
القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- المنافى (د. محمد حمدي) : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي . القاهرة ١٩٧٠ .
- النجار (أحمد) : الإنتاج الادبي في مدينة الاسكندرية القاهرة ١٩٦٤ .
- النواصيبي (شمس الدين) : مخارج العذار مخطوطه باريس ٣٤٠١ (١) .
- صحائف الخمسة : د ٣٤٠١ (٢) .
- تأهيل الغرب بجزء ٢ : د ٢٣٩٢ .
- حلبة الكميث ط بولاق ١٣٧٦ هـ .

النويرى : نهاية الارب في فنون الادب ١٨ جزء، القاهرة ١٩٢٣ -

١٩٥٥ .

ويجدي (محمد فريد) : دائرة معارف القرن العشرين ١٠ أجزاء، القاهرة ١٩٢٣

اليافعى : امرأة الجنان وعبرة اليقظان مخطوط باريس ١٥٩١

وطبعة خيذر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ فى ٤ أجزاء

ياقوت : ارشاد الارب الى معرفة الاديب (معجم الادباء)

ط. الرفاعى . القاهرة ١٩٢٦ .

: معجم البلدان ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٥٠ .

—————

(هـ) اضطررنا الظروف فى فترة من الزمن الى الاستعانة بطبعات غير محكمة
أو الى الرجوع الى مخطوطات عدد من المؤلفات التى كانت قد طبعت لكن طبعاتها
لم تيسر لنا فى وقتها ، وقد حرصنا — قدر الإمكان — على إضافة ما وصل
الىنا منها فى أثناء المراجعة ، ونرجو — اذ نعود الى العمل برمته فى طبعة
تالية — أن نستدرك هذا كله بإذن الله .

مراجع أجنبية :

- Amari (M.) : Storia dei Musulmani di Sicilia 2e. ed. Catania -
Roma, 1939 :
- Brockelmann : Geschichte der arabischen litteratur. Weimar—
Berlin 1898 — 1942 .
- » : Supplement band. Leiden 1937 - 1942 .
- Encyclopedie de l'Islam, 1e et 2e ed .
- Huart (C) : Litterature arabe. Paris, 1902 .
- Rikabi (J.) : La poesie profane sous les Ayyubides. Paris,
1949 .
- Rizzitano (U.) ; Ibn Qalaqis, dans: Encycl. de l'Islam, 2e., ed.
III, p, 838 .

محتويات الكتاب

مقدمة :

القسم الأول

حياة ابن قلاؤس الاسكندري ورحلاته إلى صقلية واليمن .

٩ --- الفصل الأول : مصادر ومراجع

٢٧ --- الفصل الثاني : النشأة بالاسكندرية - التتلمذ على يد الحافظ

السامي - علاقته بابن خليف - اشتغاله بالديوان -

صلاته برجالات الدولة ر آل رزيك - ضرغام -

شاور وابنه الكامل . .) صلاته بالخليفة الموحدى

عبد المؤمن - مدائحه فى القاضى الفاضل .

٦٧ --- الفصل الثالث : الرحلة الصقلية

أسباب التعمير فى الرحيل عن مصر - الاوضاع فى

صقلية بعد استيلاء النورمان عليها - وصول

الداعر لصقلية - علاقته بغايالم الثانى ملك صقلية

وبعض رجال حاشيته - مدائح فى السيد المصرى

علاقته بابن الحجر زعيم مسلمى صقلية - مراسلات

مع ابن خلف الصقلى ومع ابن فاتح - الرحيل عن

صقلية ،

٩٧ --- الفصل الرابع : العودة ،

١٠٥ --- الفصل الخامس : الرحلة اليمنية ،

النفوذ الفاطمى فى اليمن - يامر بن بلال سيد

عدن وآل زريع - العيدي صاحب ديوان الإنشاء.
بعدن - وصول الشاعر إلى عدن - الرحلة إلى
سواحل إفريقية - الوصول إلى دهمك - العودة
إلى عدن - الرحيل - وفاة الشاعر عند عيذاب .

القسم الثاني

آثاره النثرية والشعرية

١٣٧ - الفصل الأول : النثر - كتاب روضة الأزهار - هل هناك كتاب
باسم مواطر الخواطر ؟ - الزهر الباسم - ترسل
ابن قلاقس .

١٤٧ - الفصل الثاني : الشعر .

طبيعة الشعر في القرن السادس الهجري - تأثير البيئة -
غزارة إنتاج ابن قلاقس - أثر الدراسة الدينية في
شعره - تأثير الموروث في شعره وبخاصة شعر أبي
نواس والمتنبي - موضوعات القصيدة : المديح ،
الرثاء ، الوصف - شكل القصيدة بين المحافظة
والتجديد - بين الصنعة والطبع .

القسم الثالث

النصوص الصقلية .

تمهيد

١٨٩ — اختصارات .

النصوص الشعرية :

١٩١ — مدائح في أبي القاسم بن الحجر وبعض أفراد أسرته .

٢٢٧ — مدائح في السيد الحصري .

٢٣٩ — مراسلات مع ابن فاتح .

٢٥٠ — مراسلات مع علي بن أبي الفتح بن خلف .

٢٥٥ — في مدح غليالم الثاني ملك صقلية .

٢٥٩ — في مدح وزير صاحب صقلية .

٢٦٢ — في القائد غارات .

٢٦٣ — في رثاء ابن رجا .

٢٦٦ — أغراض متفرقة .

النصوص النثرية :

— مقتطفات من الزهر البتسم بمثابة تمهيد للكتاب ، ووصف الرحلة

٢٧٦ في البحر من الاسكندرية إلى صقلية

— مقتطفات من الترسل : رسالة للسيد الحصري . رسالة لابن فاتح

٢٨٠ رسالة للقائد غارات .

٢٨٣ فهرس : القصائد بحسب الترتيب الهجائي .

٢٨٦ . مرتبة بحسب ورودها .

٢٨٩ . المصادر والمراجع :

٢٩٩ . محتويات الكتاب .

تصويب

وقعت بعض أخطاء مطبعية طفيفة نعتذر عنها ونكتفي بالتنبيه إلى ما وقع

ص ٢٠٨ :

البيت	خطأ	صواب
٦	المواكب	المراكب
٨	جوابح	جوانح
١١	تموض	تعوض
١١	قار	بمد قار
١٥	بيان	بنان
١٩	بالفصل	بالفضل

رقم الايداع ١٨٦٢ / ١٩٨٢
التوقيع الدولي ٨ - ٣١ - ٧٣٥٨ - ٩٧٧



المطبعة العصرية

• شارع كافور الحضرة القبطية - اسكندرية

٣٠٠

١/ ١١٦٦-٧

دار المعارف - ١١٩ كورنيش النيل - القاهرة
الناشر منطقة الاسكندرية ٤٢ ش سعد زغلول - ميدان التحرير (المنشيد)

